حاشية

الباجوري على البردة

تأليف

شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم الباجوري

على

بردة المديح

لأبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري

رحمهما الله تعالى

وبهامشها : شرح البردة

للشيخ خالد بن عبد الله الأزهري

رحمه الله آمين

الطبعة الرابعة

١٣٧٠هـ - ١٩٥١م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

حاشية
الباجوري على البردة

تأليف

شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم الباجورى

على

بردة المديح

لأبى عبد الله محمد بن سعيد البوصيرى

رحمهما الله تعالى

وبهامشها : شرح البردة

للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى

رحمه الله آمين

الطبعة الرابعة

١٣٧٠هـ - ١٩٥١م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

(ترجمة مؤلف الحاشية)

هو : العالم الفاضل الفريد ، والإمام الكامل الوحيد ، الذى اشتهر صيته فى الآفاق ، وشهد بفضله جميع الناس بالاتفاق ، مولانا :

الشيخ إبراهيم الباجورى ابن الشيخ محمد الجيزاوى

ولد رحمه الله سنة ألف ومائة وثمان وتسعين ببلدة الباجور وهى قرية من قرى مصر المحروسة على مسافة اثنتى عشرة ساعة منها .

نشأ فى حجر والده السعيد وقرأ عليه القرآن المجيد ، فلما ترعرع ونما انتقل إلى الجامع الأزهر الأسمى وسنه إذ ذاك أربعة عشر كما سمع منه رحمه الله واشتهر . ثم لما تغلبت الفرنساوية على البلاد المصرية سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة هجرية ارتحل من مصر إلى برّ الجيزة وأقام بها مدة وجيزة ولما أخرجت الفرنساوية من تلك البلاد وقرت عيون أهلها بالصلاح بعد الفساد عاد الشيخ إلى الجامع الأزهر المنيف وبذل جهده فى تحصيل العلم الشريف ففاق أهل زمانه وسما على أقرانه واستفاد العلوم النافعة وأفاد وكان كمن قال وأجاد :

نفس عصام سوّدت عصاما وعلمته الكرّ والإقداما

وكان قد أدرك الأفاضل الأعلام المعروفين بجلالة القدر بين الأنام منهم : الفاضل الجليل الشهير الشيخ محمد الأمير الكبير والعالم العامل مغفور المساوى الشيخ عبد الله الشرقاوى والإمام الحافظ الراوى الشيخ داود القلعاوى ، وغيرهم ممن كان فى ذلك العصر الزاهر من ذوى الكمالات والمظاهر إلا أن أكثر تحصيله كان على شيخه ذى المعالى الشيخ محمد الفضالى والحبر الهمام ذى الجذبة الإلهية الشيخ حسن القويسنى الشهير بفضائله البهية واستمر على ذلك الحال إلى أن ظهرت عليه أمارات نجح الآمال فامتلأ وطابه من نفائس العلوم وتفجرت أنهار إفاداته من تلك الغيوم وفاح ندّ فضله فى كل ناد وطار ذكره فى جميع البلاد وألف التآليف العديدة المفيدة وقصدته الطلبة من البلاد القريبة والبعيدة فهو تارة يشنف المسامع بدرر الفوائد وتارة يزين سطور الطروس بمحاسن الفرائد وتآليفه مشحونة بالتحقيقات السنية ، ومن جملتها : هذه الحاشية البهية .

وقد انتهت إليه رياسة الجامع الأزهر ومحفل الدين الأنور وتقلدها فى شهر شعبان المعظم سنة ألف ومائتين وثلاث وستين من هجرة سيد الأوّلين والآخرين ، لاغرو وهو ابن بجدتها والقائم بوظائف نجدتها وفى أثنائها قرأ كتاب الفخر الرازى فى تفسير القرآن وحضره أفاضل الجامع الأزهر الأعيان لكن لم يقدر له الإتمام فإنه أصابه مرض الحمام ولم يزل ملازما له إلى أن توفى رحمه الله يوم الخميس الثامن والعشرين من ذى القعدة سنة ألف ومائتين وست وسبعين فيكون عمره قد ناهز الثمانين وصلى عليه بالأزهر وكان يوما مشهودا لم يكن لغيره من المشايخ معهودا ودفن بالقرافة الكبرى المشهورة بالمجاورين رحمة الله عليه وعليهم أجمعين .

وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ

(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن شرح بمدح نبيه قلوب أوليائه ووشحهم ببردة محاسنه وطيب سنائه وصلاة وسلاما على من خصه بخواص هباته وكمله بأكمل عناياته .

[أما بعد] فيقول راجي عفو ربه الكريم عبده الباجوري إبراهيم: اعلم أن مدحه صلى الله عليه وسلم لم يتعاطه فحول الشعراء المتقدمين لأن كمالاته صلى الله عليه وسلم لا تحصى وشمائله لا تستقصى فالمادحون لجنابه العلي والواصفون لكماله الجلي مقصرون عما هنالك قاصرون عن أداء ذلك كيف وقد وصفه الله في كتبه بما يبهر العقول ولا يستطاع إليه الوصول فلو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لعجزوا عن ضبط ماحباه مولاه من مواهبه ولقد أحسن من قال :

أرى كل مدح في النبيّ مقصرا ... وإن بالغ المثني عليه وأكثرا

إذا الله أثنى بالذي هو أهله ... عليه فما مقدار ما تمدح الورى

فكل علوّ في حقه تقصير ولا يبلغ البليغ إلا قليلا من كثير لكن المتأخرون رأوا مدحه بالشمائل والكمالات من أعظم القرب والطاعات لأجل التعلق بجنابه الشريف والتبرك بخدمة قدره المنيف فأكثروا من مدحه وتفننوا فيه فنونا كثيرة ومن أجلهم الإمام الكامل والهمام العالم العامل البليغ الأديب أشعر العلماء وأفصح الحكماء الشيخ شرف الدين أبو عبدالله محمد بن سعيد البوصيري ومما صاغه صوغ الذهب الأحمر ونظمه نظم الدر والجوهر قصيدته المشهورة بالبردة وإنما اشتهرت بذلك لأنه لما نظمها بقصد البرء من داء الفالج الذي أصابه فأبطل نصفه حتى أعجز الأطباء رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فمسح بيده عليه ولفه في بردته فبرئ لوقته كما ذكره الناظم في تعليقه.

وقال بعضهم : الأولى أن يقال لهذه القصيدة برأة لأن المؤلف برئ بها والتي حقها أن يقال لها بردة بانت سعاد التي هي قصيدة كعب بن زهير لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجازه عليها بردة حين أنشدها بين يديه. وقد سألني بعض الاخوان أصلح الله لي وله الحال والشان أن أكتب عليها حاشية تبين مقصودها وتبرز مرادها فأجبته لذلك وإن كنت

لست

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله مستحق التحميد والتكبير والتهليل والتسبيح والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الوجه المليح واللسان الفصيح والقدر الرجيح وعلى آله وأصحابه أولي الاقتباس والتضمين والحل والعقد والتلميح فيقول العبد الفقير إلى مولاه الغني خالد بن عبد الله الأزهري قد سألتني أيها الأخ النجيح أن أضع شرحا لطيفا على بردة المديح للشيخ الإمام شرف الدين محمد البوصيري رحمه الله تعالى مشتملا على بيان لغاتها وإعراب أبياتها وإيضاح معانيها أتم توضيح فأجبتك لما سألت على وفق ما اخترت مقتصرا على القول الصحيح.

قال ناظم هذه القصيدة سبب نظمي إياها أنني أصابني خلط فالج عجز عن علاجه كل معالج إذ أبطل نصفي وحير فيه وصفي فلما أيست من نفسي وقاربت حلول رمسي تذكرت في ساعة سعيدة أن أصنع قصيدة في مدح خير البرية فصح العزم والنية وشرعت في امتداح المصطفى ورجوت به البرء والشفا فأعانني ربي ويسر عليّ

لست أهلا لما هنالك فالتقطت بعض العبارات واجتنيت بعض الثمرات فقلت وبالله التوفيق لأقوم طريق: قد اشتهر ابتداء هذه القصيدة ببيت مشتمل على الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو:

الحمد لله منشى الخلق من عدم ثم الصلاة على المختار فى القدم

وهو ليس منها لأنه وإن كان ثناء حسنا فى ذاته إلا أن ابتداء القصائد به غير مستحسن عند الأدباء لما جرت به عادتهم من افتتاح قصائدهم بذكر لوازم العشق من ذكر الأحبة وديارهم ومقاساة الأحزان والأشواق وتحمل مكاره الفراق ويسمون ذلك غزلا وتشبيبا ويعدون هـذا الصنيع من حسن المطلع لاهتمامهم بشأن العشق واغتنامهم شدائده ولذلك قال بعضهم الشعر لايبدأ بالبسملة والحمدلة وقد جرت عادة الشعراء بأنهم يجردون من أنفسهم شخصا يحاورونه دلالا وعتابا وسؤالا وجوابا إيهاما لندرة خبير يظهرون رموز العشق عليه وتخييلا لقلة صديق يضمرون كنوز الحب لديه ولما كان الناظم من أبلغهم وأفصحهم صنع هذا الصنيع كما ستراه إن شاء الله تعالى (قوله أمن تذكر الخ) قد جرد المصنف من نفسه شخصا مزج دمعه الجارى من مقلته بالدم وخاطبه بذلك مستفهما عن سبب مزج الدمع الجارى من المقلة بالدم ماهو هل هو تذكر الجيران القيمين بذى سلم أو هبوب الريح من جهة كاظمة وإيماض البرق فى الليلة الظلماء من إضم وعلم من ذلك أن الهمزة للاستفهام ومن للتعليل فهى بمعنى لام الأجل وهى متعلقة بقوله مزجت وقدمها عليه تنبيها على أن الشك ليس فى نفس المزج إذ هو ثابت مشاهد بل الشك فى سببه والتذكر مصدر تذكر مأخوذ من الذكر بالضم وهو ضد النسيان والجيران بكسر الجيم جمع جار وإضافة التذكر إليه من إضافة المصدر لمفعوله بعد حذف الفاعل والأصل تذكرك جيرانا فحذف الفاعل وأقيم المفعول مقامه والمراد بالجيران المحبوبون لأن من لازم الجوار الذى هو الملاصقة فى الأصل المحبوبية فالناظم قد أطلق اسم الملزوم وأراد اللازم على سبيل المجاز المرسل والباء للظرفية فهى بمعنى فى والمراد بذى سلم موضع بين مكة والمدينة قريب من قديد وهو محل هنالك أيضا والمزج الخلط وقيل أخص منه لأنه لايكون إلا فيما يصير بعد الخلط حقيقة واحدة بخلاف الخلط فإنه لايختص بذلك وكنى بمزج الدمع بالدم عن كثرة البكاء والدمع ماء يصعد إلى الدماغ فيسيل من مجرى العيون بسبب شدة الحرارة الغريزية عند حادث سرور أوحزن ويكون باردا للسرور وساخنا للحزن فيكون حينئذ كالماء الشـديد الحرارة إذا فارق النار القوية لايبرد إلا بعد حين فإذا عظمت الحرارة قلت الرطوبة فيخرج مع الدمع دم لأنه أقرب من غيره لعمومه الأعضاء وسريانه فى سائر العروق فإذا طال البكاء جف الدم فيبيض الدمع ويقال حينئذ شاب الدمع، والجرى السيلان بشدة ولذلك عبر الناظم بجرى دون سال والمقلة شحمة العين التى تجمع السواد والبياض وفيها الحدقة التى هى السواد الذى فى وسط العين وتلك الحدقة فيها الناظر ولشدة صفائه كانت العين كالمرآة إذا استقبلها شخص رأى صورته فيها وأفرد الناظم المقـلة لأن العرب قد يطلقونها ونظائرها مفردة ويريدون بها المثنى كما قال بعضهم ✿ بكت عينى وحق لها بكاها ✿ ويحتمل أنه بنى أمره على الرجاء والخوف فإذا نظر بمقلة الخوف بكى وإذا نظر بمقلة

طلبى فلما ختمتها رأيت فى منامى المصطفى التهامى قد أتى إلىّ ومسح بيده المباركة علىّ فعوفيت لوقتى وعدت لما كان من نعتى انتهى بمعناه فدونك بردة قد غزلت من نعوت المصطفى ونسجت على نيرى الإخلاص والصفا واشتملت أولا على براعة المطلع وهى أن تفتتح القصـيدة بذكر مايلائم المقصود ثم على أسلوب آخر مشتمل على معنيين أولهما التلهف والأحزان والاعتراف بالغفلة والعصيان وثانيهما التمسـك بالموعظة الحسـنة والجدال بالبرهان ثم على أسلوب آخر مشتمل على شيئين على المديح والصفات وعلى الآثار والمعجزات ثم على أسلوب آخر مشتمل على شيئين على تصحيح الاعتقاد وتحقيق وظائف المبدأ والمعاد وعلى الدعاء والمناجاة بالابتهال وإظهار الخوف والرجاء فى العاقبة والمآل. ولما أراد ناظمها براعة المطلع جرد من نفسه شخصا مزج دمعـه بدمه فسأله عن علة ذلك فقال مخاطبا له:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ
مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ   وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

التذكر مصدر تذكر والجيران جمع جار بمعنى مجاور من الجوار وهو القرب فى المنزل وذى سلم موضع بين مكة والمدينة والمزج الخلط والدمع اسم جنس جمعى واحده دمعة وهو مايقطر من العين وجرى سال والمقلة شحمة العين التى هى السواد والبياض وهبت الريح هاجت وتلقاء بمعنى حذاء بالذال المعجمة وكاظمة اسم طريق إلى مكة وأومض لمع وإضم واد دون المدينة

[الإعراب] أمن الهمزة للاستفهام ومن بكسر الميم حرف تعليل وجر متعلقة بمزجت تذكر مجرور بمن جيران بكسر الجيم مضاف إليه من إضافة المصدر إلى مفعوله بعد حذف فاعله والأصل بتذكرك جيرانا بذى جار ومجرور نعت جيران سلم بفتحتين مضاف إليه مزجت بفتح التاء فعل وفاعل دمعا مفعول به جرى فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود على دمعا والجملة نعت له من مقلة متعلق بجرى لإفادة التوكيد لأن الدمع لايجرى من غير المقلة فهو كقوله تعالى يطير بجناحيه أو للتأسيس نظرا إلى الدم الممزوج بالدمع بدم متعلق بمزجت أيضا والأصل مزجت دمعا بدم أم حرف عطف وهو معادل للهمزة فى الاستفهام بهما عن تعيين العلة الحاملة على مزج الدمع بالدم هبت الريح فعل وفاعل فى تأويل مفرد معطوف على تذكر من تلقاء بالمد متعلق بهبت كاظمة بالمعجمة مضاف إليها وأومض البرق بالضاد المعجمة فعل ماض وفاعل معطوف على هبت الريح فى الظلماء بالمد متعلق بأومض على تقدير موصوف بين الجار والمجرور التقدير فى الليلة الظلماء من إضم بكسر الهمزة وفتح المعجمة حال من الظلماء

الرجاء سر . قال الشاعر :

ينام باحدى مقلتيه ويتقى   بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

ومن الداخلة على المقلة ابتدائية وهى متعلقة بجرى واعترض بأن هذه الجملة حشو لافائدة فيها لأن الدمع لا يكون إلا كذلك . وأجيب بأنها ليست حشوا بل للاحتراز عما يحتمله الكلام لولا هذه الجملة من أنه مزج الدمع بعد انفصاله من العين بالدم وليس مرادا وفى هذا الجواب نظر لأن هذا الاحتمال قائم مع هذه الجملة والأظهر فى الجواب أنها تأكيد والدم أحد الأمشاج الأربعة التى خلق منها الإنسان والباء الداخلة عليه للتعدية بالنظر لقوله مزجت وللمصاحبة بالنظر لقوله جرى فقد تنازعه كل منهما والمراد بدم منك كما قدره بعض الشارحين ليخرج مايحتمله الكلام لولا هذا التقدير من أنه مزج الدمع بعد انفصاله بدم أجنبى والتنوين فى قوله جيران ودمعا ومقلة ودم إما للتعظيم وإما للتنويع وفى هذا البيت براعة استهلال لأن فيه إشارة إلى أن هذه القصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم حيث ذكر فيه المواضع التى بقرب المدينة الشريفة وفيه أيضا الجناس الناقص حيث ذكر فيه الدمع والدم فإنهما مختلفان بزيادة العين ونقصانها (قوله أم هبت الريح الخ) لما كانت الهمزة لابد لها من معادل أتى المصنف بما يعادلها فقال أم هبت الريح الخ فأم متصلة وهى حرف عطف يطلب بها وبالهمزة التعيين وجملة هبت الريح فى تأويل الفرد أى أم هبوب الريح وكذا جملة أومض البرق أى وإيماض البرق فكل من الفعلين مؤول بمصدر وإن لم يكن هناك سابك لأن وجود السابك أمر أغلبى وإلا فقد لايوجد كما فى قولهم تسمع بالمعيدى خير من أن تراه فإن الفعل فيه مؤول بمصدر مع عدم وجود السابك على بعض الأقوال وواو العطف إما على حقيقتها كما هو المتبادر فيكون الترديد بين الشىء والشيئين أو بمعنى أو فيكون الترديد بين ثلاثة أشياء على سبيل منع الخلوّ فان كلا من تذكر الجيران وهبوب الريح من جهة كاظمة وإيماض البرق من إضم سبب للبكا وموجب للافراط فيه ، أما التذكر فلأنه يحصل به التحسر على مامضى من وصل الأحبة ومؤانستهم ولقد أحسن من قال :

تذكرت أياما لنا ولياليا   مضت فجرت من ذكرهن دموع
ألا هل لنا يوما من الدهر أوبة   وهل لى إلى أرض الحبيب رجوع

وأما

[وحاصل معنى البيتين] أنه أراد بالجيران الأحبة وبذى سلم وكاظمة وإضم أمكنتهم و بمزج الدمع بالدم شدة البكا فاستفهم عن علة مزج الدمع بالدم أهى تذكر الأحبة الغائبين أم هبوب الريح ولمعان البرق من ناحيتهم فأدخل الهمزة على أحد المعادلين وأم على الآخر ووسط بينهما مالايسئل عنه وهو مزج الدمع بالدم فهو كقوله تعالى ـ أأنتم أشدّ خلقا أم السماء ، لا أن الناظم جعل أحد المعادلين جملة كقوله تعالى ـ قل إن أدرى أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربى أمدا ـ

وأما هبوب الريح من جهة كاظمة فلأن المحب دائما يفكر فى محاسن محبوبه فإذا هبت الريح من جهة موضعه تخيل أنها حملت روائحه إليه وأما إيماض البرق من إضم فلأن من عادة المحبين أن يرتاحوا للبرق إذا لمع من جهة ديار الأحبة لكون البرق مما يذكر صفات المحبوبين للطافته وأيضا المحب يتخيل عند لمعان البرق أنه يرى ديار المحبوب وهبوب الريح هيجانها والريح جسم لطيف شفاف غير مرئى يهب بمقدار مخصوص فى وقت مخصوص وإذا أتت مفردة فالغالب أنها للعذاب وإذا أتت مجموعة فالغالب أنها للرحمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وذلك لأن ريح العذاب واحدة وهى الدبور وعليها خزنة فعتت عليهم فخرجت من مقدار خاتم فأهلكت عادا ولو خرجت من مقدار أنف ثور لأهلكت الدنيا وأفردها الناظم هنا لأن الحب وإن كان عذبا لكنه مختلط بعذاب وتلقاء بمعنى حذاء وكاظمة اسم موضع كما قاله الجوهرى وقال غيره اسم ماء والايماض اللمعان الخفيف وإن أطلقه بعضهم عن التقييد بالخفيف والبرق عند أهل السنة أجنحة ملك يسوق بها السحاب وقيل ضحكه فقد نقل الشافعى فى الأم عن الثقة عن مجاهد أن الرعد ملك والبرق أجنحته وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال بعث الله السحاب فنطقت أحسن النطق وضحكت أحسن الضحك فالرعد نطقها والبرق ضحكها أى لمعان النور من فمها وأما قول بعض الشارحين إنه صوت ملك يزجر السحاب إلى الجهة التى يريدها الله تعالى ففيه نظر وأما عند أهل الهيئة فهو نار تحدث عند شدة اصطكاك الهواء بعضه مع بعض ولذلك أكثر ما يكون عند انتقال الزمان من الحرارة الى البرودة وعكسه والظلماء صفة لموصوف محذوف والتقدير فى الليلة الظلماء أى ذات الظلمة وإنما خص الليلة الظلماء بالذكر لأن الضوء فى الظلمة أجلى وقد اختلف فى الظلمة فقيل أمر وجودى يضاد النور قائم بالهواء وقيل أمر عدمى وإضم بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة اسم لجبل وقيل اسم لواد بقرب المدينة الشريفة . وفائدة هذين البيتين أنهما يكتبان فى جام أى قزاز ويمحيان بماء المطر ويسقى المحو للبهيمة التى صعب تعليمها وتذليلها فإذا شربت ذلك ذلت وانقادت وتعلمت بسرعة وإذا كان عندك عبد أعجمى وعسر عليك تعليمه كلام العرب فاكتب هذين البيتين فى رق غزال ثم علقه على عضده الأيمن فإنه يتكلم بالعربية فى أسرع وقت (قوله فما لعينيك الخ) لما سأل الناظم عما ذكر ولم يرد عليه المسئول جوابا لأن من شأن المحبين أن يكتموا الحب فى أول الأمر بل جرت عادتهم بإنكاره بالمرة نزل الناظم المسئول منزلة المنكر وتعجب من حاله على فرض صدقه فى الإنكار فقال فما لعينيك الخ أى إذا صدقت فى إنكارك الحب فأى شىء ثبت لعينيك أوجب لهما أنك إن قلت لهما اكففا همتا وأى شىء ثبت لقلبك أوجب له أنك إن قلت له استفق يهم فالفاء للافصاح وجعلها بعضهم للعطف لكن الأول أظهر وما فى الموضعين اسم استفهام مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده وجملة قوله اكففا فى محل نصب مقول القول وكذلك جملة قوله استفق ومعنى اكففا أمسكا عن البكا وهمتا بمعنى سالتا مأخوذ من الهميان وهو السيلان فأصله هميتا قلبت ياؤه ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ثم حذفت الألف لالتقائها ساكنة مع التاء التى أصلها السكون وإن

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

اكففا احبسا دمعكما وهمتا من الهمى وهو الانحدار والسيلان والقلب الفؤاد وهو شكل صنوبرى موضعه وسط الصدر وهو منبع الحياة والتحقيق أنه سر لطيف به يحصل الإدراك ويعبر عنه بهذه الجارحة تقريبا للاذهان واستفق مرادف أفق ويهم مضارع هام على وجهه إذا لم يدر أين هو .

[الاعراب] فما الفاء عاطفة وما اسم استفهام فى موضع رفع على الابتداء لعينيك بالتثنية خبر المبتدا إن بكسر الهمزة وسكون النون حرف شرط قلت بفتح التاء فعل الشرط فى محل جزم اكففا بضم الفاء الأولى وفتح الثانية فعل أمر وفاعل والجملة فى موضع نصب بقلت همتا فعل ماض وفاعل والأصل هميتا قلبت الياء ألفا فصار هماتا حذفت الألف لالتقاء الساكنين وهما الألف وتاء التأنيث وتحريكها لأجل الألف عارض والجملة جواب الشرط وما اسم استفهام مبتدأ لقلبك خبره إن قلت بفتح التاء شرط استفق مقول قلت يهم جواب الشرط والأصل يهيم حذفت الياء لالتقاء الساكنين الياء والميم للجزم وتحريكها بالكسر عارض لحرف الروى

[ومعنى البيت] فيامنكر الحب أى شىء حصل لعينيك حتى إنك إن قلت لهما احبسا الدموع سالت دموعهما وأى شىء حصل لقلبك حتى إنك إن قلت له أفق من غمرة العشق هام فيه أليس كل من سيلان الدمع وهيام القلب من آثار الحب ثم التفت من الخطاب إلى الغيبة فقال :

أيحسب الصب أن الحب منكتم ... ما بين منسجم منه ومضطرم

يحسب يظن والصب العاشق لأنه إذا اشتد به العشق بكى فينصب الدمع من عينيه والحب المحبة ومتكتم مستور ومنسجم هاطل منحدر ومضطرم ملتهب مشتغل [الاعراب] ايحسب الهمزة للاستفهام التوبيخي ويحسب مضارع حسب المتعدى لاثنين الصب فاعله أن بفتح الهمزة وتشديد النون حرف توكيد ينصب الاسم ويرفع الخبر الحب بضم المهملة اسمها منكتم خبرها

وأن واسمها وخبرها فى تأويل مصدر ساد مسد مفعولى يحسب ما زائدة بين منصوب على الظرفية المكانية منسجم مضاف اليه على تقدير موصوف بين المتضايفين منه متعلق بمنسجم والهاء ضمير الصب ومضطرم بالضاد المعجمة والطاء المهملة معطوف على منسجم على تقدير موصوف بين العاطف والمعطوف

[ومعنى البيت] أيظن العاشق انكتام المحبة عن الناس وهو ما بين دمع هاطل وقلب ملتهب ثم التفت من الغيبة الى الخطاب فقال :

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل ... ولا أرقت لذكر البان والعلم

الهوى بالقصر مصدر هوى بالكسر إذا أحب وترق تصب والدمع ما يسيل من العين والطلل ماشخص من آثار الديار أى ارتفع وأرقت سهرت والبان شجر الخلاف بالتخفيف واحده بانة والعلم اسم جبل والمراد بهما ههنا موضعان بالحجاز

[الاعراب] لولا حرف يدل على امتناع الشىء لوجود غيره الهوى بالقصر مبتدأ حذف خبره وجوبا لسد جواب لولا مسده لكونه كونا مطلقا والتقدير لولا الهوى موجود لم ترق بضم التاء الفوقية وكسر الراء جازم ومجزوم دمعا مفعول به على طلل بطاء مهملة ولام مفتوحتين متعلق بترق وجملة لم ترق ومعموليها جواب لولا لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم ولا أرقت بفتح الهمزة وكسر الراء وفتح التاء معطوفة على جواب لولا ولا زائدة لتأكيد النفى لذكر متعلق بأرقت البان مضاف إليه والعلم بفتح العين المهملة واللام معطوف على البان [ومعنى البيت] لولا محبتك وهواك لما بكيت على آثار ديار الأحباب وما ذهب نومك بذكر أشجار البوادى وجبال المنازل وفى البيت من البديع الجناس الشبيه بالمشتق فى قوله لم ترق وأرقت

عرض تحركها لمناسبة الألف وفى كلامه حذف التمييز المحول عن الفاعل أى همتا دمعا والأصل همى دمعهما لحول الإسناد عن الدمع اليهما وأتى به تمييزا لكن حذفه الناظم والقلب لحم صنوبرى الشكل أى شكله على شكل الصنوبر لأنه دقيق الأسفل غليظ الأعلى كهيئة قمع السكر وقال بعضهم القلب سر وضعه الله فى هذه اللحمة فتسميتها قلبا لحلوله فيها والسين والتاء فى استفق زائدتان فمعناه أفق مما أنت فيه وقوله يهم مضارع هام يهيم إذا قام به الهيام وهو داء كالجنون ينشأ من العشق وغيره وفى هذا البيت الطباق لأنه جمع فيه بين متقابلين فى كل من الشطرين أما الشطر الأول فجمع فيه بين قوله اكففا وقوله همتا وأما الشطر الثانى فجمع فيه بين قوله استفق وقوله يهم (قوله أيحسب الصب الخ) لما سأل المصنف المخاطب السؤال المسكت وألزمه الالزام المبهت رجع إلى تغليطه فى الانكار فقال أيحسب الصب الخ والهمزة للاستفهام الانكارى ويحسب بكسر السين وفتحها أى يظن وكان مقتضى ما سبق أن يعبر المصنف بتاء الخطاب لكنه التفت الى الغيبة لما جرت به عادة الأدباء من تغيير كلامهم من أسلوب الى أسلوب آخر تكلما وخطابا وغيبة تنشيطا للسامع والصب العاشق من قولهم صب الماء لأنه لما كان كثير البكا فكأنه يصب الدمع وقال بعضهم من الصبابة وهى رقة العشق وحرارته وجملة أن واسمها وخبرها سدت مسدّ مفعولى يحسب والحب عرفه بعضهم بأنه صفاء الحال بين المحب والمحبوب وقوله منكتم أى مستتر وما اسم موصول بمعنى الذى فى محل نصب على أنه بدل من الحب أو صفة له وصدر الصلة محذوف أى الحب الذى هو بين الخ كذا قال بعض الشارحين وهو أظهر من جعل بعضهم ما زائدة وجعله بين ظرفا لقوله منكتم وكل من منسجم ومضطرم صفة لموصوف محذوف والتقدير بين دمع منسجم منه وقلب مضطرم والمنسجم السائل من قولهم انسجم الماء سال والمضطرم المشتعل من قولهم اضطرمت النار اشتعلت والمعنى لا يظن العاشق أن الحب مستتر عن الناس الذى هو بين دمع سائل وقلب مشتعل من نار الحب وكل منهما من آثار الحب مع كونهما ظاهرين وحينئذ فانكار الحب غلط (قوله لولا الهوى الخ) لما غلط المصنف المسئول فى إنكاره الحب استدل عليه بأدلة فقال لولا الهوى الخ والهوى مصدر هوى بكسر الواو إذا أحب فهو بمعنى الحب وهو مبتدأ والخبر محذوف أى موجود ولولا حرف يدل على امتناع الجواب لوجود الشرط فالمعنى امتنع عدم إراقتك دمعا على طلل لوجود الهوى وقوله لم ترق دمعا أى لم تصبه يقال أراق الماء أى صبه ويقال هراق أيضا بمعناه وكان مقتضى قوله أيحسب الخ أن يقول لم يرق بياء الغيبة لكنه التفت إلى الخطاب لما تقدم والطلل ما بقى من آثار الدار مرتفعا فان لم يكن مرتفعا

مرتفعا بأن كان ملتصقا بالأرض كان رسما وعلى الداخلة عليه للتعليل أى لأجل طلل هذا إن لم يقدر وقوفه على الطلل كما هو المتبادر وإلا كانت بمعنى فى وقوله ولا أرقت الخ عطف على قوله لم ترق الخ وأرقت بكسر الراء بمعنى سهرت والبان شجر طيب الريح و يتخذ منه دهن يعرف بدهن البان والعلم يطلق على معان منها الجبل والرمح أى ولا سهرت لذكر البان والعلم الكائنين بمحل المحبوب وعلى هذا فالبان والعلم باقيان على معناهما و يحتمل أنه شبه المحبوب بهما فى طيب الرائحة وحسن الهيئة وطول القامة وإنما أورثه ذكرهما السهر لأن النوم إنما يكون من الرطوبة الصاعدة من المعدة الى الدماغ والمحب تكثر حرارته فتنتفى عنه الرطوبة وحينئذ فلا ينام وتلك الرطوبة تنشأ غالبا عن كثرة الطعام والشراب والمحب يلهيه حبه عن أكله وشرابه فتنتفى رطوبته وتتضاعف حرارته لاسيما عند ذكر معاهد الأحباب أوما هو شبيه بالأحباب وفى هذا البيت شبه الاشتقاق حيث جمع فيه بين ترق وأرقت (قوله ولا أعارتك الخ (١)) لما ذكر المصنف دليلين أردفهما بدليل ثالث على ما فى بعض النسخ الذى شرح عليها بعض الشارحين لكن لم يوجد ذلك فى كثير من النسخ وهو معطوف على قوله لم ترق الخ ومعنى أعارتك أعطتك على سبيل العارية وقوله لونى عبرة وضنا معمول لأعارتك وفاعله ذكرى الخ والمراد باللونين هنا النوعان والعبرة بفتح العين الدموع والضنا المرض فانسجام الدموع على النحر بمثابة الدر المعلق عليه وذلك لون العبرة ورقة جسمه وصفرة لونه كثوب بديع الرقة والصبغ وذلك لون الضنا وفى الكلام استعارة بالكناية وتخييل لأنه شبه لونى العبرة والضنا بلباسين بجامع الزينة فى كل أما فى المشبه به فظاهر وأما فى المشبه فلأن آثار الحب زينة عند المحب فيتزين بها كما يتزين باللباس تشبيها مضمرا فى النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشىء من ملايماته وهو الإعارة وقوله ذكرى الخيام وذكرى ساكنى الخيم اى تذكر الخيام وتذكر ساكنى الخيم فالذكرى فيهما بمعنى التذكر وكل من الخيام والخيم جمع خيمة وهى بيت تتخذه العرب من عيدان الشجر وحذفت النون من ساكنين للاضافة ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين (قوله فكيف تنكر الخ) لما أقام المصنف على المسئول الأدلة على حبه مع صحة نتيجتها أنكر عليه دوامه بعد ذلك على الانكار فقال فكيف تنكر الخ والفاء للافصاح لأنها أفصحت عن شرط محذوف والتقدير إذا قامت عليك الأدلة فكيف تنكر الخ وكيف حال مقدمة مضمنة معنى الاستفهام على وجه الانكار ومعنى تنكر تجحد والجحد هو النفى بعد العلم بخلافه قبله وقوله حبا معمول لتنكر و بعد ظرف له وما يحتمل أن تكون مصدرية وهو الظاهر فالفعل بعدها وهو شهدت مؤول بمصدر والضمير فى به عائد على الحب والتقدير على هذا بعد شهادة عدول الدمع والسقم به عليك و يحتمل أن تكون اسم موصول بمعنى الذى وجملة شهدت صلة والضمير فى به عائد على ما والتقدير على هذا بعد الذى شهدت به عليك الخ وفى شهدت استعارة تصريحية تبعية لأنه شبه الدلالة الواضحة بمعنى الشهادة بجامع الوضوح فى كل واستعار الشهادة للدلالة واشتق من الشهادة بمعنى الدلالة شهدت بمعنى دلت ولفظ العدول ترشيح للاستعارة والعدول جمع عدل والدمع هو

كما فى قوله تعالى قال إنى لعملكم من القالين.

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدَتْ
بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

(١) قول المحشى قوله ولا أعارتك الخ هذا بيت لم يكتب عليه الشيخ خالد وهو

ولا أعارتك لونى عبرة وضنا
ذكرى الخيام وذكرى ساكنى الخيم

وَأَثْبَتَ الْوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَضَنًى ... مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالْعَنَمِ

الانكار ضد الاعتراف والحب ضد البغض وشهدت أخبرت والعدول جمع عدل بمعنى عادل والمراد بالجمع هنا الاثنان بدليل مابعده إلا أن يريد بالدمع الدموع وبالسقم الأسقام فيكون الجمع على بابه والسقم إطالة المرض والوجد الحزن وخطى تثنية خط والعبرة البكا والضنا الضعف والهزال والبهار ورد أصفر طيب الرائحة والعنم ورد أحمر [الاعراب] فكيف استفهام ومعناه هنا التعجب متعلق بتنكر بضم التاء الفوقية فعل مضارع وفاعله مستترفيه وجوبا تقديره أنت حبا بضم الحاء مفعول به بعد منصوب بتنكر ماموصول حر فى شهدت فعل ماض وتاء تأنيث به عليك متعلقان بشهدت عدول فاعل شهدت الدمع مضاف إليه والسقم بفتحتين معطوف على الدمع وجملة شهدت وما بعدها صلة ما وما وصلتها فى تأويل مصدر مجرور باضافة بعد (١٠) إليها والتقدير بعد شهادة عدول الدمع والسقم وأثبت فعل ماض معطوف على شهدت الوجد فاعل أثبت خطى بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة وسكون الياء مفعول أثبت وحذفت النون للاضافة عبرة بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة مضاف اليها وضنا بالمعجمة والقصر معطوف على خطى مثل بالنصب نعت خطى وضنا البهار بفتح الموحدة مضاف إليه على خديك فى موضع الحال من خطى وضنا والعنم بفتح العين المهملة والنون معطوف على البهار [ومعنى البيتين] كيف تنكر أيها المخاطب المحبة بعد ماشهد بها عليك عدول من الدموع الهاطلة والأسقام المتنوعة وبعد ماأثبت الوجد أمرين كائنين على خديك أحدهما صفرة الخدود والوجنات الناشئة عن الضنا وثانيهما حمرة قطرات العبرات الناشئة عن البكا وقد حكم قاضى الهوى بموجب ذلك وفيه لف ونشر مشوش فإنه شبه خطى العبرة بالعنم فى الحمرة وشبه الضنا بالبهار فى الصفرة ولما أثبت كون المخاطب محبا وكان هو المخاطب فى المعنى رجع عن التجريد واعترف بالحب فقال : مما

الماء الجارى من العين والسقم بفتحتين المرض ويقال فيه سقم بضم فسكون لكن فى غير النظم كما قاله شيخ الإسلام وإضافة عدول للدمع والسقم للبيان أومن إضافة الصفة للموصوف واستعمال الجمع فى الاثنين كاهنا كثير شائع. واعترض هذا الجمع بأن العدل مصدر وهو لايثنى ولايجمع. وأجيب بأن محل قولهم إن المصدر لايثنى ولايجمع إذا اعتبرت مصدريته وهنا قد اعتبر مانقل إليه وإنما ذكر كونهم عدولا للاشارة الى أنه لايمكن المخاطب رد شهادتهم (قوله وأثبت الوجد الخ) أى وبعد ما أثبت الوجد الخ فهو معطوف على شهدت والوجد هو الحزن بسبب الحب وقيل نيران أشواق تنشرها رياح المحبة عند سماع ذكر المحبوب وإسناد الاثبات الى الوجد مجاز عقلى من قبيل الإسناد إلى السبب كما فى قولك سرتنى رؤيتك وقوله خطى عبرة بفتح العين كما تقدم أى خطين من الدموع وقوله وضنا عطف على خطى عبرة لكن على تقدير مضاف أى وأثرضنا وقوله مثل البهار الخ صفة لكل من خطى العبرة ومن الضنا لكن على اللف والنشر المشوش لأن البهار بفتح الباء الموحدة ورد أصفر وأثر الضنا صفرة الوجه فأثر الضنامثل البهار فى الصفرة والعنم بفتح العين والنون شجرله أغصان حمر وقيل ورد أحمر والخطان من العبرة أحمران لامتزاج الدمع بالدم فالخطان من العبرة مثل العنم فى الحمرة وقوله على خديك متعلق بأثبت فتقدير البيت وأثبت الوجد على خديك خطى عبرة مثل العنم وأثر ضنا مثل البهار والمعنى وكيف تنكر حبا بعد ماأثبت الوجد على خديك علامتين ظاهرتين على الحب فكل من رآك يعرف الحب فى وجهك. وفائدة الأبيات الخمسة التى أولها فما لعينيك أن الرجل إذا اتهم زوجته أوبنته أوعيلته كتب هذه الأبيات فى ورقة من ورق الأترج ووضعها على يد المتهوم اليسرى وهونائم ويجعل أذنه على فمه فإنه ينطق بجميع مافعله فى غيبته خيرا أو شرا وكذلك إذا سرق له شىء واتهم أحدا أوشك فى أحد فليكتب هذه الأبيات فى جلد ضفدع مدبوغ ويأخذ لسان الضفدع ويصره فى الجلد المذكور ويعلق ذلك الجلد فى فى عنق المتهوم فإنه يقر فى ساعته لدهشته (قوله نعم سرى الخ) لما اتضح حال المسئول

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فَأَرَّقَنِي ... وَالْحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَّاتِ بِالْأَلَمِ

نعم حرف تصديق فى الخبر وسرى سار ليلا والطيف الخيال فى النوم والهوى المحبة والعشق وأرقنى أسهرنى والحب المحبة ويعترض يحول بينه وبين مراده واللذات بالمعجمة جمع لذة وهى مايتنعم به والألم الوجع [الاعراب] نعم حرف جواب سرى فعل ماض طيف بفتح المهملة وسكون الياء التحتية فاعل سرى من بفتح الميم اسم موصول فى موضع جربالاضافة أهوى فعل مضارع مسند الى المتكلم والجملة صلة من وعائدها محذوف أى أهواه فأرقنى معطوف على سرى وفاعله مستترفيه يعود على طيف والحب بضم الحاء المهملة مبتدأ يعترض بفتح التحتية وكسر الراء وبالضاد المعجمة فعل مضارع وفاعله مستترفيه جوازا يعود على الحب اللذات

عماهو عليه من الحب ولم يبق له سبيل الى الانـكار أقر واعترف بذلك حيث قال نعم الخ هكذا قال بعض الشارحين وعليه فالناظم لم يرجع من التجريد الى التـكلم وقال بعضهم لما انـكشف كون المسئول محبا وكان هو المتـكلم فى المعنى رجع من التجريد الى التـكلم واعترف بالحب حيث قال نعم الخ والأول أقرب ونعم حرف إيجاب لما سبق فـكأنه قال صدقت أيها السائل فيما نسبتنى إليـه من الحب وأن سبب مزج الدمع الجارى من المقلة بالدم تذكر المحبوبين كما هو الشق الأول من السؤال السابق فقال له السائل وماسبب تذكرك لهم فقال سرى الخ وصلة سرى محذوفة والتقدير سرى الىّ أى سار الىّ ليلا لأن السرى هو السير ليلا وقوله طيف من أهوى أى خيال من أحب فالطيف خيال المحبوب وأهوى مضارع هوى بكسر الواو بمعـنى أحب بخلاف هوى بفتح الواوفانه بمعنى سقط وسبب ذلك الخيال أن النفس إذاولعت بشىء حصلت صورته فى القوة المخيلة فترى خياله فى المنام كثيرا وقوله فأرقنى أى أسهرنى لأنه لما تذكر الحب ثارت عليه الحرارة وانتفت عنه الرطوبة فارتفع عنه النوم كماتقدم وقوله والحب يعترض اللذات بالألم أى يدفعها بالألم يقال اعترضه بالسهم إذا دفعه به فالألم هنا بمنزلة السهم واللذات بمنزلة الشخص المرمى ويحتمل أن المراد أن الحب يجعـل الألم عرضة فى اللذات فيصير الألم كالخشبة المعترضة فى النهر ويحتمل أيضا أن المعنى أن الحب يغيب اللذات بالألم فإنه يقال عرض الشىء إذاغيبه والمراد باللذات ما كان فيـه من النوم والتسلى عن المحبوبين وبالألم ماينشأ عن الحب من شدة الوجد . وحاصل المعنى أنه صدقه فيما نسبه إليه من الحب بقوله نعم ثم ذكرله سبب تذكره للمحبوبين بقوله سرى طيف من أهوى وذكر أنه أسهره بقوله فأرقنى وذكر أنه بعد أن كان فى لذة صار فى ألم ولذلك قال : والحب يعترض اللذات بالألم . ولبعضهم فى هذا المعنى :

وزارنى طيف من أهوى على حذر ... من الوشاة وداعى الصبح قدهتفا
فـكدت أوقظ من حولى به فرحا ... وكاد يهتك سر الحب بى شغفا

[وفائدة هذا البيت] أن من كرره بعد صلاة العشاء حتى يغلب عليه النوم فانه يرى المصطفى صلى الله عليـه وسلم فى منامه إن شاء الله تعالى (قوله يالائمى الخ) لما أقر المسئول بالحب لامه السائل فيه فرجع المسئول على السائل بوبخه فى لومه عليه فيه فقال يالائمى الخ وهذا كما ترى مبنى على بقاء التجريد وأما على أن الناظم رجع عن التجريد الى التـكلم فيكون المصنف قداستشعر لائما عليه لأن المحب إذا أقر بالحب لام عليه غيره فوبخه المصنف على لومه عليه وقوله فى الهوى العذرى بالذال المعجمة أى الهوى المنسوب الى بنى عذرة بضم العين وهم قبيلة مشهورة باليمن يؤدى بهم العشق الى الموت لصدقهم فى الحب ورقة قلوبهم والمقصود من النسبة التشبيه فالمراد أن هواه مشبه لهوى بنى عذرة وقيل الهوى العذرى هو الحب الذى من شأنه أن يقبل عذر صاحبه عند كل أحد لـكونه مفرطا وقوله معذرة أى أعتذر معذرة أو أقدم معذرة فهو بالنصب على أنه مفعول لفعل محذوف ويصح قراءته بالرفع على أنه مبتدأ خبره قوله منى اليك أى صادرة منى اليك أوعلى أنه خبر مبتدؤه محذوف والتقدير هـذه معذرة وتـكون الاشارة راجعة لقوله سابقا سرى طيف الخ فالمعذرة على هـذا خصوص ذلك بخلافه

مفعول به بالألم متعلق بيعترض

[ومعنى البيت] صدقت ولـكن لشدة كلفى بمحبوبى لما رأيت خياله فى النوم انتبهت فرقا لجاءنى الأرق وهـذا شأن الحب يحول بين المحب ولذاته بالألم من جهة ماينشأ عنه من عدم الوصل من المحبوب ثم اعتذر فقال :

يَالاَئِمِى فِى الْهَوَى الْعُذْرِىِّ مَعْذِرَةً
مِنِّى إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

عَدَتْكَ حَالِيَ لاَ سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ   عَنِ الوُشَاةِ وَلاَ دَائِي بِمُنْحَسِمِ

اللائم العاذل والعذرىّ نسبة الى بنى عذرة بالذال المعجمة قبيلة قد اشتهرت رجالهم بوفور العشق ونساؤهم بفرط العفاف ومعذرة مصدر عذرته إذا صفحت عنه ومحوت إساءته والمعذرة أيضا مايدفع به الإنسان عن نفسه مما عيب عليه فعله وأنصفت أى عـدلت بالدال المهملة واللوم العذل بالذال المعجمة عدتك أى بلغتك وجاوزتك حالى أى أمرى والسر الشيء المكتوم والوشاة جمع واش وهو الكذاب والداء المرض والمنحسم المنقطع

[الاعراب] يا حرف نداء لائمى منادى مضاف الى ياء المتكلم منصوب بفتحة مقدرة على اليم فى الهوى متعلق بلائمى العـذرى بالذال المعجمة نعت الهوى معذرة بالنصب بفعل محذوف تقديره أعتذر إن كان المراد بها المصدر أوأقول إن كان المراد بها الكلام الذى يعتذر به فهى فى معنى الجملة منى اليك متعلقان بمعذرة ولو حرف شرط أنصفت بفتح التاء فعل الشرط لم تلم بفتح التاء الفوقيـة وضم اللام جواب الشرط عدتك فعل ومفعول مقدم حالى بالمهملة فاعل مؤخر لا حرف نفى سرى بكسر السين المهملة اسم لا العاملة عمل ليس مضاف لياء المتكلم بمستتر خبرها فى موضع نصب عن الوشاة بضم الواو متعلق بمستتر ولا نافية دائى اسمها بمنحسم بمهملتين خبرها.

[ومعنى البيتين] يامن يلومنى ويعذلنى فى محبة منسوبة الى قوم من بنى عـذرة ولوكان لك إنصاف لم يكن منك ملامة فقد بلغتك حالى وتحققت لوعتى وغرامى فليس سرى مكتوما عن الواشين ولا مرضى مقطوعا وفى البيت الأول من البديع رد العجز على الصدر فى قوله لائمى ونلم وفيه أيضا الجناس الشبيه بالمشتق فى قوله العذرى معذرة ، ثم اعترف بالنصح فقال :

مَحَضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ   إِنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذَّالِ فِي صَمَمِ

المحض الخالص والنصح ضد الغش والعذال جمع عاذل أى اللوام والصمم ضد السمع واتهمت من التهمه وهى الحمل على غير المقصود والشيب بياض الشعر والتهم جمع تهمة [الاعراب] محضتنى فعل وفاعل ومفعول أول النصح مفعول ثان لكن حرف ابتداء

على ماقبله فانه يحتمل أن تكون هى ذلك وأن تكون قوله الآتى لاسرى بمستتر عن الوشاة ولادائى بمنحسم وأن تكون معذرة معروفة فى الخارج وهى أن يقول المحب للعاذل إنى محب والمحب لايلام سيما من كان حبه عـذريا وقوله ولو أنصفت لم تلم أى لأن الحب ليس اختياريا حتى يلام عليه بل هو قهرى ولايلام إلا على الأمر الاختيارى كما قال القائل :

وعيب الفتى فيما أتى باختياره   ولاعيب فيما كان خلقا مركبا

لكن كون الحب ليس اختياريا بل قهرى بعد تحكمه وإلا فمبدؤه اختيارى أو لأن اللوم على الهوى لايكون إلا ممن ذاقه والمخاطب لم يذقه ولذلك قال بعض الصوفية لاينبغى للشخص أن يتكلم على حال إلا إذا ذاقها وإلى هذا المعنى أشار ابن الفارض بقوله :

دع عنك تعنيفى وذق طعم الهوى   وإذا عشقت فبعد ذلك عنف

[فائدة هذا البيت ومابعده] أنك إذا رأيت منكرا ولم تقدر على إزالته فاكتبهما فى ورقة بزعفران ومسك وماء ورد ويكون تفصيل الورقة دائرة ثم اجعلها بين عينيك تحت العمامة فتقوى على إزالته باذن الله تعالى وإذا أردت أن تقهر نفسك على إقامة شعائر الدين تواظب على قراءتهما خلف كل صلاة (قوله عدتك حالى الخ) لما أبدى له المعذرة فى الهوى ووبخه فى اللوم عليه فيه فلم يرجع عن اللوم استعطفه بالدعاء له فقال عدتك حالى الخ أى جاوزتك حالى كما يقول الشخص لغيره لا أراك الله حالى وعلى هذا فالجملة دعائية ويحتمل أنها استفهامية بتقدير همزة الاستفهام وعليه فالمعنى أجاوزتك حالى فلم تعذرنى ويحتمل أيضا أنها خبرية وعليه فالمراد الإخبار بأنه جاوزته حاله ولم يصب بمصيبته حتى يعلم قدر ماهو فيه ولايلومه ولو أصيب لعلم قدر ماهو فيه ولم يلمه . هذا كله ان فسر عدتك بمعنى جاوزتك كما تقرر فإن فسر بمعنى تعدت اليك أى وصلت اليك كما قاله بعض الشارحين كان القصد الدعاء عليه لاله أو الاستفهام عن ذلك بتقدير همزة الاستفهام والمعنى عليه أوصلت اليك حالى حتى تلومنى وقوله لاسرى بمستتر عن الوشاة مستأنف استئنافا بيانيا لأنه واقع فى جواب سؤال مقدر فكأن اللائم قال له وماحالك التى استعظمتها فأجابه بذلك والسر مايكتمه الشخص عن غيره والوشاة جمع واش وهو الذى ينمى الحديث بين المحب والمحبوب أى يزينه ويزخرفه لأجل الفساد بينهما ومن المعلوم أن الوشاة أعداؤه فاطلاعهم على سره يسيئه وقوله ولادائى بمنحسم أى ولادائى الحاصل بسبب الحب بمنقطع بوصل المحبوب ومؤانسته كما هو شأن المحب فإنه إذا اشتد عليه الحال وواصله المحبوب وآنسه انقطع داؤه لكن هذا أمر أغلبى وإلا فهناك من يزيد عليه الحال بوصل المحبوب ومؤانسته (قوله محضتنى النصح الخ) لما لم يفد معه الاستعطاف فلم يرجع عن اللوم اعترف له بأنه أخلص له فى النصح من باب التسليم الجدلى ليستريح منه فقال محضتنى النصح الخ أى أخلصت لى

النصح

النصح عن الاغراض كالالتفات الى المحبوب فإذا كان اللائم له التفات إلى المحبوب لم يخلص النصح عن الاغراض بل له فيه غرض وهو اختصاصه بالمحبوب بخلاف ما إذا كان ليس له التفات إلى المحبوب فإنه قد أخلص النصح وماهنا من هذا القبيل على التسليم الجدلى وقوله لكن لست أسمعه استدراك على قوله محضتنى النصح والمنفى إنما هو سماع القبول والا فقد يسمعه بل قد يتلذذ به وقوله ان المحب الخ تعليل لقوله لكن لست أسمعه فكأنه قال إنما لم أسمعه لأن المحب الخ وفى الحديث حبك للشىء يعمى ويصم أى يعميك عن رؤية عيوبه ويصمك عن سماعها وقوله عن العذال على تقدير مضاف أى عن نصحهم والعذال جمع عاذل وهو اللائم فى الحب وقوله فى صمم لايخفى مافيه من المبالغة لأنه بالغ فى الصمم حتى كأنه محيط بالمحب وجعله ظرفا له والصمم ضعف فى قوة السمع فوق الوقر ودون الطرش ودون الصنج أيضا كما علم بالأولى ولذلك قال الثعالبى يقال فى أذنه وقر فإن زاد فهو صمم فإن زاد فهو طرش فإن زاد حتى لايسمع الرعد فهو صنج وإنما خص المصنف الصمم بالذكر دون غيره وإن كان كل من الطرش والصنج أعلى منه لأنه هو الذى تستقيم عليه القافية (قوله إنى اتهمت الخ) لما اعترف له على طريق التسليم الجدلى بأنه محضه النصح فلم يرجع عن اللوم اتهمه فى عذله فكأن السائل قال له كيف تتهمنى فى العذل فقال له انى اتهمت الخ أى فإذا اتهمت نصيح الشيب فى عذله علىّ فى الهوى والحال أن الشيب أبعد عن التهم فى النصح فكيف بالعاذل الذى ليس أبعد عن التهم فى النصح بل من شأنه أن يتهم فيه والاضافة فى قوله نصيح الشيب للبيان أى نصيحا هو الشيب أو من إضافة الصفة للموصوف أى شيبا ناصحا وإنما كان الشيب ناصحا لأنه يدل على قرب الأجل وحصول الموت الموجب لترك دواعى الشباب واشتغال العبد بما يقربه لمولاه زلفى وإنما دل على ذلك لأنه ليس بعد بياض الزرع إلا حصاده فهو ناصح بلسان الحال وقد قيل فى قوله تعالى وجاءكم النذير إنه الشيب وقوله فى عذل متعلق باتهمت أى اتهمته فى لومه علىّ فى الهوى ودواعى الشباب وهو بفتح الذال المعجمة لغة فى العذل بسكونها وقوله : والشيب أبعد فى نصح عن التهم أى والحال أن الشيب أبعد عن التهم فى النصح فالواو للحال [وفائدة هذين البيتين] أنك إذا أحببت شخصا فى الحلال وتستحى منه ومن الناس أن تكلمه فاكتبهما فى ساعة الزهرة فى صحفة من نحاس وامح تلك الصحفة بماء المطر واشربها فإنك تقوى على المحبوب وتجتمع به ولاتختشى من أحد أبدا وتفشى اليه سرك وتبلغ منه مقصودك إن شاء الله تعالى (قوله فإن أمارتى الخ) هذا تعليل للبيت قبله فكأنه قال إنما اتهمت نصيح الشيب فى العذل ولم أقبل نصحه لأن أمارتى الخ. واستشكل قوله أمارتى بأن فيه اتحاد الآمر والمأمور لأن نفس الشخص هى هو. وأجيب بجوابين أحدهما أن النفس باعتبار تعلقها بالمخالفة آمر وباعتبار تعلقها بالصواب مأمور فهما مختلفان بالاعتبار وثانيهما أن الآمر النفس والمأمور البدن فالنفس مستولية بسلطانها على البدن فتصرفه فى شهواتها والأمارة من أنواع النفس وهى التى تأمر بالمخالفة فلايلوح لها طمع إلا فعلته ولا برزت لها شهوة الا قضتها فلم تسلك سبيل الرشاد ولم تضئ بنور السداد وقد ذكرها الله فى قوله تعالى : إن النفس لأمارة بالسوء ، ومنها اللوامة وهى التى ترجع باللوم على صاحبها كثيرا عند الوقوع

إِنِّى اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِى عَذَلٍ
وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِى نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ

واستدراك لست بضم التاء ليس واسمها أسمعه فعل وفاعل ومفعول والجملة فى محل نصب خبر ليس إن المحب إن واسمها عن العذال بالذال المعجمة متعلق بصمم فإن قلت معمول المصدر لايتقدم عليه قلت ذلك فى غير الظروف والمجرورات على الأصح فى صمم خبر إن إنى إن واسمها اتهمت خبرها نصيح مفعول اتهمت الشيب مضاف اليه فى عذل بفتح الذال المعجمة اسم مصدر متعلق باتهمت والشيب مبتدأ أبعد خبره فى نصح عن التهم متعلقان بأبعد وهو اسم تفضيل وفصل بينه وبين المفضول المجرور بعن بالجار والمجرور قبله والجملة حال مرتبطة بالواو.

[ومعنى البيتين] قد نصحتنى أيها الناصح نصيحة خالصة لكنى من عظم محبتى لست أسمع نصح ناصح فإن العاشق أصم عن استماع نصح العذال كما قيل: حبك الشىء يعمى ويصم فانى اتهمت كل ناصح حتى اتهمت الشيب فى نصحه لى والحال أن الشيب أبعد النصحاء عن مواقع التهم فإن العاذل غيره قد يتهم بالحسد والطمع والغيرة وغيرها والشيب لايتصور شىء من ذلك فيه وفى البيت الثانى من البديع رد العجز على الصدر وهو من القسم الذى جعل فيه أحد اللفظين المتجانسين فى حشو المصراع الأول وهو جناس الاشتقاق فى قوله إنى اتهمت والتهم وفيه أيضا التكرير فى لفظى الشيب.

فَإِنَّ أَمَّارَتِى بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ
مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

وَلاَ أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قِرَى ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّى مَا أُوَقِّرُهُ كَتَمْتُ سِرًّا بَدَالِى مِنْهُ بِالْكَتَمِ

أمارتى مبالغة أى نفسى الأمارة والسوء اسم جامع للقبائح واتعظت مطاوع وعظ يقال وعظته فاتعظ أى نصحته وذكرته فى العواقب والنذير المبلغ ولا يستعمل إلا فى التخويف والهرم كبر السن وأعدت أى ادخرت والجميل الحسن والقرى بكسر القاف والقصر مصدر قريت الضيف أحسنت إليه وألم حل ونزل ومحتشم أى مستح وأوقره أعظمه وأحترمه وكتمت أخفيت والكتم بفتح التاء نبت يخضب به كالحناء [الاعراب] فان الفاء تعليلية لعدم قبول النصح وان حرف توكيد أمارتى اسمها بالسوء بضم السين متعلق بأمارتى ماحرف نفى اتعظت فعل ماض وفاعله ضمير مستتر فيه يعود إلى أمارتى والجملة خبر إن من جهلها متعلق باتعظت على أنه علة له بنذير متعلق باتعظت الشيب مضاف إليه على معنى من والهرم بفتحتين معطوف على الشيب ولا أعدت بسكون التاء معطوف على اتعظت من الفعل متعلق بأعدت الجميل نعت الفعل قرى بكسر القاف وفتح الراء بلاتنوين لأنه مضاف منصوب على المفعولية بأعدت ضيف مجرور بإضافة قرى إليه ألم بفتح الميم المشددة فعل ماض وفاعل والجملة نعت ضيف برأسى متعلق بألم غير بالنصب على الحال من فاعل ألم المستتر فيه محتشم مضاف إليه لو حرف شرط كنت بضم التاء فعل ماض ناقص والتاء اسمه وجملة أعلم خبره أنى بفتح الهمزة حرف توكيد وياء المتكلم اسمها ما نافية وجملة ماأوقره من الفعل والفاعل والمفعول خبرها وأن ومعمولاها سدت مسد مفعولى أعلم والهاء للشيب كتمت بضم التاء فعل وفاعل جواب لو سرا مفعول كتمت بدا فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على سرا والجملة نعته لى منه متعلقان ببدا والهاء لسرا بالكتم بفتح الكاف والتاء متعلق بكتمت [ومعنى الأبيات الثلاثة] أن نفسى الأمارة بالسوء لم تتعظ من فرط الجهالة لما بنذير الشيب وكبر السن البعيد من التهمة فان الشيب نذير الموت والهرم دليل الفوت ولا هيأت من ثمرات الأعمال ومحاسن الخصال ضيافة لقدوم ضيف كريم نزل برأسى من نور شيبى فلم أكرمه عند إلمامه ولا احتشمته حق احتشامه فلو كنت قبل نزوله عالما بأنى لا أرعى حرمة الشيب لكتمت أول مابدالى من سر الشيب بخضاب يستر تحته البياض ولا لحقنى زيادة الملامة والاعتراض. ثم أراد استرجاع مافات فقال:

فى المعصية لسابقة القضاء ، ومنها المطمئنة وهى التى اطمأنت للايمان وللتصديق بوعد الله فهى دائما موفقة للطاعة مصدقة بلقاء الله تعالى وقد ذكرها الله تعالى فى قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة الآية وقوله بالسوء متعلق بأمارتى والسوء القبيح وقوله مااتعظت خبر إن أى ماقبلت الوعظ وقوله من جهلها أى من أجل جهلها فهو تعليل لقوله مااتعظت وإنما وبخ نفسه على عدم الاتعاظ بسبب جهلها لأنه قادر على دفع الجهل بتحصيل أسباب العلم وقوله بنذير متعلق باتعظت أو بجهلها ونذير إما بمعنى الانذار فيكون مصدرا وعلى هذا فالاضافة فى قوله نذير الشيب والهرم من إضافة المصدر لفاعله أو بمعنى المنذر فيكون اسم فاعل وعلى هذا فالاضافة فى قوله نذير الشيب والهرم من إضافة الصفة للموصوف أو للبيان وكان عليه أن يقول بنذيرى الشيب والهرم إلا أن يقال الاضافة للجنس فيصدق النذير بالمتعدد أو أنه حذف من الثانى لدلالة الأول والأصل بنذير الشيب ونذير الهرم [وهذا البيت والاثنان بعده] خاصيتها أن من كانت نفسه غالبة عليه وامتنعت من التوبة وعجز عن مخالفة النفس فليكتب الأبيات الثلاثة يوم الجمعة بعد الفراغ من صلاتها ويمحوها بماء الورد ويشربها فاذا شربها استمر جالسا مستقبل القبلة حتى يصلى العصر والمغرب ويذكر الله تعالى ويكرر هذه الأبيات فى بعض الأوقات أيضا فانه لايفارق هذا المجلس إلا وقد انقادت نفسه وحسن حالها إن شاء الله تعالى ويوفقه الله للتوبة (قوله ولا أعدت الخ) عطف على قوله مااتعظت من قبيل عطف الخاص على العام لأن الاتعاظ يكون بالاتيان بالأعمال الحسنة والاجتناب عن الأعمال القبيحة وأما إعداد القرى فلا يكون إلا بالأول فقط والإعداد التهيئة يقال أعد واستعد بمعنى هيأ وقوله من الفعل الجميل أى من الأعمال الصالحة وهو بيان مقدم لقوله قرى ضيف مشوب بتبعيض وقرى الضيف بكسر القاف إكرامه وفيه استعارة مصرحة مرشحة لأنه شبه الشيب بالضيف بجامع الطروء فى كل فان سواد الشعر كان ملازما للانسان فلما تبدل بالشيب كان كالضيف فى طروءه على الشخص بعد أن لم يكن واستعار اسم المشبه به للمشبه وذكر القرى ترشيحا للاستعارة ولما كان الشيب نذيرا بانقضاء العمر صار بلسان حاله طالبا للأعمال الصالحة التى هى زاد الآخرة كما يطلب الضيف قراه تصريحا أو تلويحا وقوله ألم بتشديد الميم بمعنى نزل وقوله برأسى أى فى رأسى فالباء بمعنى فى وقوله غير محتشم أى غير مستحى وهو حال من الضمير الفاعل بألم وإنما كان غير محتشم لأن من آداب الضيف أن لا يكثر الإقامة عند من أضافه فمن أكثرها عنده كان غير محتشم والشيب إذا نزل لا يرتحل إلا بالموت فهو غير محتشم فعلى العاقل أن يستعد بالأعمال الصالحة لضيافته فان أخر الاستعداد إلى نزوله فقد لا يتمكن من شئ من الأعمال لسرعة الرحيل وضيق الوقت (قوله لو كنت أعلم الخ)

مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا
كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجُمِ
فَلَا تَرُمْ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا
إِنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهِمِ

لما بين أن نصح الشيب لاينبغي أن يهمل واعتذر عن عدم قبوله بالنفس الأمارة ورأى من سوء العتاب وتقبيح الفعال من الناس مالم يكن رآه قال لوكنت أعلم الخ والعلم والمعرفة بمعنى واحد على الصحيح وقوله أنى ما أوقره أى أنى ماأعظمه بفعل الجميل وترك القبيح استحياء منه وقوله كتمت سرا أى أخفيته والمراد بالسر الشيب الذى يظهر أولا وإنما سمى سرا لأنه قبل ظهوره يكون خفيا كحديث النفس الذى لم يظهر وقوله بدالى أى ظهر لى وقوله منه أى من الشيب وقوله بالكتم متعلق بكتمت والكتم بفتح التاء نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى لونه كما فى القاموس وقد قيل شيآن عجيبان هما أبرد من يخ شيخ يتصابى وصبى يتمشيخ ويخ اسم لبئر شديدة البرودة كذا نقل عن بعض الأشياخ وقال بعض أهل العلم هو اسم لدود يكون فى الثلج الذى هو شديد البرودة وذلك الدود أشد برودة من الثلج و إنما قيد بقوله لى لأنه إذا نزل الشيب بالشخص ظهر له أولا فى الغالب لاهتمامه بشأن نفسه ويحتمل أنه من البيان بعد الاجمال على حد رب اشرح لى صدرى ويسرلى أمرى وفى هذا البيت تنبيه على توقير الشيب وقد سماه الله تعالى وقارا فقد روى أن أول من رأى الشيب ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فقال ماهذا يارب فقال الله تعالى وقار ياإبراهيم فقال يارب زدنى وقارا فأصبح وقد عمه الشيب وفى الحديث القدسى الشيب نورى (قوله من لى الخ) لما لم تتعظ النفس بواعظ الشيب استفهم على سبيل الاستعطاف عمن يتكفل له برد جماحها بالمواعظ السنية والأسرار الربانية فقال من لى الخ أى من يتكفل لى الخ وقوله برد جماح من غوايتها أى بصرف قوة وغلبة ناشئة من ضلالها فالجماح بمعنى القوة والغلبة والمراد برده صرفه وغوايتها بفتح الغين المعجمة بمعنى ضلالها والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للجماح أى جماح ناشئ من غوايتها وقوله كما يرد جماح الخيل باللجم أى ردا مثل رد جماح الخيل باللجم فى القوة والعنف حيث لم ينفع واعظ الشيب فالكاف بمعنى مثل وما مصدرية واللجم جمع لجام ككتب وكتاب وفى هذا البيت إشارة إلى أن السلوك لايتم الا بشيخ عارف لأن النفس ربما تستحسن أمرا فيكون الهلاك فيه فالشيخ العارف كالطبيب الماهر [وفائدة هذا البيت والاثنين بعده] أن من أكثر تلاوتها عند شروعه فى إزالة منكر مفتتحا تلاوتها عشر مرات فإنه يرى الهيبة والقبول بالكمال باذن الله تعالى ر..له فلا ترم بالمعاصى الخ) لما استفهم عمن يرد جماح نفسه ردا عنيفا استشعر شخصا قال له لاحاجة الى ردها لأنك إذا أعطيتها ماتتمناه من المعاصى انكسرت شهوتها فرد عليه ذلك بقوله فلا ترم بالمعاصى الخ أى لاترج ولا تتوقع بتمكينها مما تتمناه من المعاصى دفع شهوتها لأنها إذا ألفت المعاصى قويت شهوتها وقد استدل على ذلك بقوله :إن الطعام يقوى شهوة النهم أى إن الطعام يزيد فى شهوة النهم بتشديد النون وكسر الهاء الذى هو شديد الشهوة إلى الطعام فتمكينه منه يزيد فى شهوته إليه وكذلك النفس تمكينها من المعاصى تزيد فى شهوتها اليها . واعترض بأن النهم إنما تقوى شهوته الى الطعام إذا لم يشبع منه وأما إذا شبع منه فقد أخذ حاجته . وأجيب بأن المعدة تنفتح ابدا لما يلقى فيها من الطعام إلا لمانع وقوتها الجاذبة لاتزال وإن امتلأت لاسيما معدة النهم

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

الجماح مصدر جمح الفرس إذا غلب فارسه وجمح الرجل إذا ركب هواه وعسر رده فهو جموح والغواية الضلالة والرد الرجوع والخيل اسم جمع واحده فرس فى المعنى واللجم جمع لجام فارسى معرّب وهو مايجعل فى فم الفرس والروم الطلب والمعاصى جمع معصية ضد الطاعة والكسر الصرف والنهم الحريص على الأكل والشرب والنفس الروح والطفل المولود والاهمال الترك وشب الغلام إذا كبر والرضاع شرب اللبن قبل حولين وفطمت المرأة ولدها فصلته عنها

[الاعراب] من بفتح الميم اسم استفهام مبتدأ لى خبره برد متعلق بما تعلق به المجرور قبله جماح بجيم مكسورة ثم حاء مهملة مضاف اليها من غوايتها بفتح الغين المعجمة متعلق برد كما الكاف جارة ومامصدرية يرد فعل مضارع مبنى لما لم يسم فاعله جماح نائب الفاعل الخيل مضاف إليه باللجم بضم اللام والجيم متعلق بيرد فلا حرف نهى ترم بضم الراء مجزوم بلا الناهية بالمعاصى متعلق بترم كسر مفعول ترم شهوتها مضاف إليه إن الطعام إن واسمها يقوى بضم الياء وفتح القاف وتشديد الواو المكسورة فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر فيه يعود على الطعام شهوة مفعول به النهم بفتح النون وكسر الهاء مضاف إليه وجملة يقوى خبر إن والنفس بسكون الفاء مبتدأ كالطفل خبره إن تهمله بضم التاء شرط شب بفتح المعجمة والموحدة جواب الشرط على حب بضم الحاء المهملة متعلق بشب الرضاع بفتح الراء وكسرها مضاف إليه وإن تفطمه ينفطم بفتح أولهما شرط وجوابه.

[ومعنى الأبيات الثلاثة] من يرد نفسى الأمارة بالسوء عما هى عليه من الضلالة والغواية بالمواعظ السنية والأسرار الربانية كما يرد الفرس الجموح باللجم فى الشديدة فلا تطلب أيها المخاطب كسر شهوة النفس بشىء من المعاصى فإن تناول الأطعمة اللذيذة يقوى شهوة الحريص على الأكل ولو منع نفسه عن ذلك لامتنعت فإن النفس تشبه الطفل الرضيع فى أنه إن ترك على الرضاع بلغ أوان الشباب وهو مستمر على الرضاع وإن فطم امتنع ولم يتضرر من الفطم . ثم تمم ذلك فقال :

فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ إِنَّ الْهَوَى مَاتَوَلَّى يُصْمِ أَوْ يَصِمِ

(قوله والنفس كالطفل الخ) شبه النفس بالطفل فى عدم الملل والسآمة بالاستمرار على المألوفات فكما أن الطفل ان تركته على ماألفه من الرضاع دام على حبه وإن منعته عنه امتنع كما ذكره بقوله ان تهمله الخ كذلك النفس إن تركتها على ماألفته من المعاصى دامت على حبه وإن منعتها عنه امتنعت وقوله ان تهمله أى تتركه على ماألفه من الرضاع وقوله شب على حب الرضاع أى كبر حال كونه مشتملا على حب الرضاع وان تفطمه ينفطم أى وان تفصله وتمنعه عن الرضاع انفصل وامتنع عنه وصار غير طالب له قال فى المصباح فطمت المرأة الرضيع فطماً من باب ضرب فصلته عن الرضاع فهى فاطمة والرضيع فطيم والجمع فطم بضمتين مثل بريد وبرد اه وعلم من ذلك أن تفطمه بكسر الطاء واعلم أن النفس لطيفة ربانية وهى الروح قبل تعلقها بالأجساد وقد خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفى عام فكانت حينئذ فى جوار الحق وقربه فتستفيض من حضرته بلا واسطة فلما أمرها الحق أن تتعلق بالأجساد عرفت الغير فحجبت عن حضرة الحق بسبب بعدها عنه تعالى فلذلك احتاجت إلى مذكر قال تعالى وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين فهى قبل تعلقها بالجسد تسمى روحا وبعد تعلقها به تسمى نفسا فالاختلاف بينهما اعتبارى والطفل بكسر الطاء المهملة الصغير ذكرا كان أو أنثى (قوله فاصرف هواها الخ) أى إذا علمت ذلك فاصرف هواها الخ فالفاء فاء الفصيحة وإنما لم يقل فاصرف النفس عن هواها كما هو مقتضى الظاهر لأنه نظر لكونها تابعة لهواها لاتخالفه أبدا فلا يمكن صرفها عن هواها وإنما الممكن صرف هواها بمعنى عدم اتباعه فهى لاتخلو عن هوى أبدا لكن الشخص لايتبعه وقوله وحاذر أن توليه أى واحذر أن تعطى هواها الولاية والإمارة عليك لأنه داع إلى الضلالة غير صالح للامارة وإنما عبر المصنف بحاذر دون احذر تنبيها على أن النفس تراقب غفلة الشخص لتقع فى هواها فهى تحاذره كما يحاذرها فالمحاذرة من الجانبين وقد علل ذلك بقوله إن الهوى الخ فهو فى قوة قوله لأنه جائر ظالم وقوله ماتولى ضبطه شيخ الاسلام بضم التاء والواو وكسر اللام مشددة على أنه مبنى للمفعول والشائع على الألسنة قراءته بفتحات على أنه مبنى للفاعل وكل صحيح فالمعنى على الأول ماولاه الشخص وعلى الثانى ماصار واليا وماشرطية وقوله يصم بضم الياء وسكون الصاد من أصميت الصيد إذا رميته فقتلته وقوله أويصم بفتح الياء وكسر الصاد من وصمه إذا عابه فالمعنى أن الهوى إن ولاه الشخص يقتله أويعيبه وفى هذا الكلام استعارة بالكناية وتخييل لأنه شبه هوى النفس بانسان طالب للولاية والامارة تشبيها مضمرا

وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الأَعْمَالِ سَائِمَةٌ ۞ وَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ الْمَرْعَى فَلَا تُسِمِ

كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً ۞ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ

الحذر التحذير والتولية الولاية والإمارة وتولى تؤمر ويصم بضم الياء يقتل وبفتحها يعيب وراعها لاحظها والسوم الرعى فى الكلأ المباح واستحلت المرعى وجدته حلوا والمرعى الكلأ والسم بتثليث السين الشىء القاتل والدسم الودك كالدهن .

[الاعراب] فاصرف فعل أمر وفاعل هواها مفعوله وحاذر

بالحاء المهملة والذال المعجمة فعل أمر بمعنى احذر أن بفتح الهمزة وسكون النون حرف مصدرى توليه فعل مضارع منصوب بأن إن بكسر الهمزة وتشديد النون حرف توكيد ونصب الهوى اسمها ما اسم شرط بمعنى إن تولى فعل ماض فى موضع جزم بما يصم بضم الياء وسكون الصاد المهملة وكسر الميم جواب الشرط أو حرف عطف لأحد الشيئين يصم بفتح الياء وكسر الصاد المهملة معطوف على يصم والشرط وجوابه خبر إن وراعها بفتح الراء وكسر العين المهملتين فعل أمر وفاعل ومفعول معطوف على اصرف وهى مبتدأ فى الأعمال بفتح الهمزة متعلق بسائمة سائمة بسين مهملة خبر المبتدا والجملة حالية مرتبطة بالواو والضمير وان حرف شرط هى فاعل بفعل محذوف يفسره استحلت هذا مذهب جمهور البصريين وذهب الأخفش والكوفيون إلى أن هى مبتدأ وجملة استحلت المرعى من الفعل والفاعل والمفعول خبره فلا حرف نهى تسم بضم التاء وكسر السين مجزوم بلا الناهية وكسر للقافية ومفعوله محذوف والجملة جواب الشرط وقرنت بالفاء لأنها طلبية كم خبرية بمعنى كثير محلها نصب على المصدرية أى كم تحسين وحسنت بتشديد السين المهملة فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود على النفس لذة بفتح اللام والذال المعجمة مفعول حسنت للمرء متعلق بحسنت قاتلة نعت للذة من حيث بتثليث المثلثة متعلق بقاتلة لم يدر جازم ومجزوم أن بفتح الهمزة حرف توكيد السم اسم أن فى الدسم بفتحتين خبرها وأن ومعمولاها مفعول يدر ويدر ومعموله فى موضع خفض بإضافة حيث إليه [ومعنى الأبيات الثلاثة] أمسك عنان النفس واصرف هواها عما هى عليه من طلب اللذات والانهماك على الشهوات وجاهد فى الحذر عن سلطان الهوى وولايته فإن الهوى مادام واليا على المرء فإما أن يقتله معاصة وإما أن يعيبه وأحسن رعى النفس فى حال كونها سائمة فى رياض

فى النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو منعه من الولاية والإمارة حيث قال: فاصرف هواها وحاذر أن توليه. ورشحها بذكر أنه جائر ظالم لأنه إن تولى قتل أو عاب حيث قال إن الهوى ما تولى يصم أو يصم فهى مرشحة لأنها قرنت بما يلائم المستعار منه ولما كان الهوى سببا للهلاك أجمع على ذمه العارفون ووردت بذمه الآيات والأحاديث لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها ويظهر من الأفعال فضائحها ويجعل ستر المروءة مهتوكا ومدخل الشر مسلوكا وقال ابن عباس الهوى إله يعبد من دون الله وتلا قوله تعالى ــ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ــ الآية وقال الشعبى إنما سمى هوى لأنه يهوى بصاحبه إلى النار وبالجملة فالهوى أصل كل بلية والخلاص منه عسر جدا إلا بتوفيق من الله تعالى (قوله وراعها وهى الخ) لما كان ظاهر كلامه أن هوى النفس يصرف حق عن الطاعة شرح الحال بقوله وراعها وهى الخ أى لاحظها والحال أنها فى الأعمال الصالحة سائمة كالبهيمة السائمة فى الكلأ فالواو للحال وأل فى الأعمال للعهد والمعهود الأعمال الصالحة أعم من أن تكون واجبة أو مندوبة وفى سائمة استعارة تصريحية تبعية لأنه شبه أخذ النفس فى الأعمال واشتغالها بها بسوم البهيمة فى الكلأ بجامع عدم معرفة الصلاح فى كل واستعار السوم للأخذ والاشتغال واشتق منه سائمة بمعنى آخذة ومشتغلة وإنما أمر بملاحظتها وهى مشتغلة بالطاعة لأنه قد يكون لها حظ فيها كرياء وحب محمدة وشهرة ولذلك قال وإن هى استحلت المرعى فلا تسم بضم التاء وكسر السين أى وإن هى وجدت المرعى حلوا فلا تبقها فيه لأنها لا تميل الى الطاعة لذاتها بل لغرض فيها فتنقلب الطاعة معصية بل قد تكون أعظم مفسدة من المعصية كما يشير لذلك قول صاحب الحكم: رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا، وفى بعض الآثار أوحى الله الى داود عليه السلام ياداود قل للعاصين المذنبين أبشروا وقل للعابدين المعجبين اخشوا ومن المعلوم أن أداة الشرط وهى إن هنا من خواص الفعل فقوله وإن هى أصله وإن استحلت حذف الفعل فانفصل الضمير وقوله استحلت مفسر للفعل المحذوف على حد قوله تعالى وإن أحد من المشركين استجارك وفى قوله فلا تسم استعارة بالكناية وتخييل لأنه شبه النفس بالبهيمة بجامع عدم معرفة الصلاح فى كل تشبيها مضمرا فى النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الاسامة وذكر المرعى ترشيح (قوله كم حسنت الخ) هذا البيت استشهاد على البيت قبله وكم خبرية بمعنى

الأعمال لئلا تتباعد وتتمادى فى رعيها فتستحلى المرعى وإن استحلته فلاتسمها فيه فتتمرد عليك ولاتطيعك بعد ذلك وإياك وتلبيس النفس فكم زينت وحسنت للمرء لذة قاتلة له بحيث لايعلم أن فيما يلتذ به من الطعام الدسم سما قاتلا لآكله وفى البيت الأول من البديع الجناس المحرف فى قوله يصم أويصم وفى البيت الثانى رد العجز على الصدر فى سائمة وتسم وهو من القسم الذى جعل أحد متجانسى الاشتقاق فى آخر المصراع الأول .

وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ
فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ

كثيرا ومميزها محذوف والتقدير كم مرة أى كثيرا من المرات وقوله حسنت لذة للمرء قاتلة أى عدت لذة قاتلة حسنة للشخص رجلا كان أوامرأة فلذة مفعول لحسنت وقاتلة صفة لها وهذا الصنيع أولى من جعل لذة تمييزا لكم وجعل مفعول حسنت محذوفا وإن جرى عليه بعض الشارحين وقد بين وجه كون اللذة قاتلة بقوله من حيث لم يدر أن السم فى الدسم أى من جهة وتلك الجهة هى كونه لم يعلم أن السم بتثليث أوله مدسوس فى الدسم الذى هو الدهن وخص السم بالذكر لأنه قاتل وخص الدسم بالذكر لأنه يعلو الأشياء فيستر ما تحته والمراد بالسم هنا حظ النفس والمراد بالدسم هنا الطاعة ففى كلامه استعارتان مصرحتان أما الأولى فلأنه شبه حظ النفس بالسم بجامع الضرر فى كل واستعار اسم المشبه به للمشبه وأما الثانية فلأنه شبه صورة الطاعة بالدسم بجامع أن كلا ساتر لغيره واستعار اسم المشبه به للمشبه . والحاصل أن النفس لها حظ فى الطاعة كما أن لها حظا فى المعصية بل حظها فى الطاعة أشد لأن حظها فى المعصية ظاهر جلى وحظها فى الطاعة باطن خفى [وفائدة هذه الأبيات الثلاثة التى أولها فاصرف هواها الخ] أن من واظب على قراءتها خلف كل صلاة مكتوبة عشرين مرة استقام أمره على الكتاب والسنة وجعله الله آمنا من الأهواء والبدع (قوله واخش الدسائس الخ) أى خف المكايد التى تخفيها النفس فى الجوع والشبع فالدسائس من الجوع كالحدة وسوء الخلق والدسائس من الشبع كالكسل عن العبادة والكلام فى الجوع والشبع المفرطين لأن المذموم منهما ليس إلا المفرط وأما المعتدل الذى بين الافراط والتفريط فممدوح كما يشير لذلك قوله تعالى وكلوا واشربوا ولاتسرفوا هذا على كون الجوع والشبع على ظاهرهما ويحتمل أن المصنف كنى بالجوع عن قلة العبادة وبالشبع عن كثرتها لأن قلة العبادة تئول إلى الجوع فى الآخرة وكثرة العبادة تئول إلى الشبع فى الآخرة فالدسائس من الجوع بمعنى قلة العبادة كالميل الى الراحة وترك العبادة بالكلية والدسائس من الشبع بمعنى كثرة العبادة كحب الشهرة والمحمدة وهو مفسدة عظيمة لأنه حينئذ يكون قاصدا بالعبادة غير وجه الله تعالى . ولما كان قد يقع فى بادىء الرأى أن الجوع لادسائس فيه لأن العرب والحكماء تمدح بقلة الأكل وتذم بكثرته وحينئذ فلاوجه للتحذير من مكايد الجوع دفع المصنف ذلك بقوله فرب مخمصة شر من التخم فكأنه قال لاتستبعد ذلك إذ رب مجاعة مفرطة شر من كثرة الأكل باعتبار الآفات المترتبة عليهما فالعبادة قد لاتحصل بالكلية مع الجوع المفرط وتحصل مع كثرة الأكل و إن كان فيها كسل ولاشك أن ترك العبادة بالمرة شر من الكسل فيها هذا على أن المراد بالجوع والشبع حقيقتهما وأما على أن المراد بالجوع قلة العبادة وبالشبع كثرتها فكأنه قال لاتستبعد ذلك إذ رب عمل قليل شر من عمل كثير فإن النفس قد تزين له قليل العبادة كأن تقول له لازم القليل من العبادة وداوم عليه لأن الكثير يضر البدن فيؤدى الى العجز بالكلية وربما يكون فيه الرياء وقصدها بذلك الراحة وقد تزين له كثير العبادة كأن تقول له عليك بالكثير من العبادة ليكثر ثوابك وقصدها بذلك أن تمجد عند الناس وتعظم عندهم وهذه مفسدة عظيمة لكن مع الاستكثار من العبادة قد يسلم كثير منها بل قد ينصلح باطنه فى آخرة أمره وقد كان

وَاستفرِغِ الدمعَ مِن عينٍ قدِ امتلأت مِنَ المحارِمِ والزمْ حِميَــــةَ الندمِ

الخشية الخوف والدسائس جمع دسيسة وهى الفتنة الخفية من الدساسة وهى الـكيد والـمكر الخفى والمخمصة الجاعة والتخم جمع تخمة وهى فساد الطعام فى المعدة من الامتلاء واستفرغ من التفريغ وهو التخلية والمحارم جمع محرم وهو الحرام والحمية المنع مما يضر والندم الأسف .

[الاعراب] واخش الدسائس فعل أمر وفاعل ومفعول به من جوع ومن شبع فى موضع الحال من الدسائس ومن لبيان الدسائس فرب حرف جر مخمصة مجرور برب فى موضع رفع على الابتداء شر خبره كقوله :

ورب قتل عار من التخم

بضم التاء الفوقية وفتح الخاء المعجمة متعلق بشر واستفرغ الدمع فعل أمر وفاعل ومفعول من عين فى موضع الحال من الدمع قد حرف تحقيق امتلأت فعل ماض وفاعله مستتر يعود الى عين من المحارم متعلق بامتلأت والزم بفتح الزاى فعل أمر معطوف على استفرغ حمية بكسر الحاء المهملة مفعول به الندم مضاف إليه .

[ومعنى البيتين] واخش المهالك الخفية الحاصل بعضها من الجوع كسوء الخلق والحدة والذبول وضعف قوى البدن وغير ذلك وبعضها من الشبع كالـكسل وغلبة الشهوة وإظلام القلب وغير ذلك وكل من هــذه الأمور مشوش للعبادة وقد تحصل العبادة مع الشبع دون الجوع فيكون الجوع شرا من الشبع فانظر فى مصلحتك وأكثر البكاء على خطيئتك وأفرغ الدموع من عين قد امتلأت من الا لتذاذ بالحرام والزم الورع والاحتراز عما يجب أن يحتمى منه التائب النادم على مافرط لعل الله تعالى يقبل توبتك ويجعل البكاء كفارة لذنبك :

بعض المشايخ يقول عليكم باصلاح ظواهركم فانه يوشك أن تتصلح بواطنكم . وحكى أن رجلا تعبد سنين ليشتهر بذلك وتودع عنده الأمانات فينتفع بها فلم يودع عنده شىء فلما طال عليه الأمر وبخ نفسه وتاب الى الله تعالى فلما أصبح أتى بأمانة فقال لصاحبها ما كان بيننا وبينها إلا ظلام الليل اذهب بسلام ورب هنا للتقليل والمخمصة الجاعة والتخم بضم التاء وفتح الخاء جمع تخمة وهى فساد المعدة بالطعام وقيل فساد الطعام فى المعدة وفسرت أيضا بأنها ضد المخمصة وهذا قد يقتضيه كلام المصنف وتعقب بأن ضد المخمصة الشبع وإن لم يحصل تخمة [وهذا البيت والذى بعده خاصيتهما] أن من قساقلبه واستولت عليه نفسه وكررهما ليلة الجمعة عند السحر فانه لايصبح إلا وقد رأى رقة فى قلبه وكسرا فى نفسه ونهوض أعضائه فى العبادة وندم على مافرط وتاب الله عليه (قوله واستفرغ الدمع الخ) أى أفرغ الدمع بالبكاء أواطلب فراغه بذلك فالسين والتاء إما زائدتان وهو الأظهر أوللطلب وقوله من عين قد امتلأت من المحارم من الأولى ابتدائية والثانية تبعيضية وامتلاء العين من المحارم كناية عند الفقهاء عن كثرة النظر بها لما لايجوز شرعا وعند الصوفية وأهل الحب رؤية الأغيار بها ولذلك يقال للعارف أدب عينيك بدمع الندامة إذا نظرت لغير ذلك الجمال واقصر نظرك على كمال الـكبير المتعال ولم يزل السلف الصالح يبكون على ماحصل منهم والبكاء على الخيبة معظم العزم حتى قال بعضهم لولم يبك الإنسان إلا على ماضاع من عمره النفيس من غير طاعة لـكفاه . وقال سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم طوبى لمن بكى على خطيئته وكان عليه الصلاة والسلام كثير البكاء وقيل فى قوله تعالى فيهما عينان تجريان إنهما لمن له فى الدنيا عينان تجريان وقوله والزم حمية النـدم أى والزم حماية الندم لك عن المحارم ويحتمل والزم النـدم الحامى لك عن عقاب المحارم والمراد من الندم التوبة المستكملة للشروط الشرعية وإنما عبر بالندم لأنه العمدة فى التوبة ولذلك ورد الندم توبة (قوله وخالف النفس والشيطان الخ) أى إذا أمرتك نفسك والشيطان بشىء أونهتك نفسك والشيطان عن شىء فخالفهما لأنهما عدواك وقوله واعصهما أشار به الى أنه لا يكفى مجرد مخالفتهما لأنه قد يخالفهما الى مايرضيان به بل لابد من عصيانهما وان خصت المخالفـة بالمكروه والعصيان بالمحرم كان من عطف المغاير وإن أبقيت المخالفة على عمومها وخص العصيان بالمحرم كان من عطف الخاص على العام للاهتمام بذلك الخاص وإنما قدم المصنف النفس على الشيطان لأنها أضر منه وفتنتها أعظم من فتنته إذ هى عدو فى صورة صديق والإنسان لايتنبه لمكايد الصديق وأيضا هى عدو من داخل بخلاف الشيطان فإنه عدو ظاهر وقد قيل الخروج عن النفس هو النعمة العظمى لأنها أعظم حجاب بين الشخص وبين الله تعالى وقد سئل بعض الأشياخ عن الإسلام فقال ذبح النفوس بسيف المخالفـة وقال سهل بن عبدالله ماعبد الله بشىء مثل مخالفة النفس والهوى وبالجملة فمخالفة النفس رأس العبادة

وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا وإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ

وَلاَ تُطِـعْ مِنْهُمَا خَصْماً وَلاَ حَكَماً فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ وَالحَكَمِ

النفس الروح وقيل الدم وقيل جميع البدن وقيل غيرذلك والشيطان إن كان من شطن فمعناه البعد وإن كان من شاط فمعناه الهالك أوالمحترق ووزنه على الأول فيعال وعلى الثانى فعلان ومحضاك أخلصاك والخصم النازع والحكم المحكم

[الاعراب] وخالف النفس فعل أمر وفاعل ومفعول والشيطان معطوف على النفس واعصهما فعل أمر وفاعل ومفعول معطوف على خالف النفس والجمع بين المخالفة والعصيان للتأكيد بالمرادف وعطف الجمل فى التأكيد خاص بثم كما صرح به الشيخ أبوحيان فى الارتشاف وإن حرف شرط هما فاعل فعل محذوف يفسره المذكور والتقدير وان محضك هما ويجوز عند الكوفيين والأخفش أن يكون مبتدأ محضاك فعل وفاعل ومفعول أول النصح مفعول ثان والجملة على الأول لامحل لها لأنها مفسرة وعلى الثانى محلها الرفع لأنها خبر المبتدا فاتهم جواب الشرط وقرن بالفاء لأنه فعل أمر وحرك بالكسر لموافقة حرف الروى ولاحرف نهى تطع مجزوم بلا الناهية منهما متعلق بتطع وضمير التثنية للنفس والشيطان خصما مفعول تطع ولا حكما بفتحتين معطوف على خصما وزيدت لابعد العاطف لإفادة التأكيد فى النفى فأنت مبتدأ تعرف خبره كيد مفعول تعرف الخصم مضاف إليه والحكم بفتح الحاء والكاف معطوف على الخصم .

[ومعنى البيتين] أن النفس والشيطان عدوان مبينان لك فخالفهما فيما يأمرانك به وينهيانك عنه واعصهما فى ذلك وإن أخلصا لك النصح فاتهمهما فيه ولاتعتقد نصحهما فإن أحدهما خصمك والآخر حاكم عليك ومثلك لايخفى عليه مكر الخصم وجور الحاكم المتعصب وفى البيت الثانى من البديع رد العجز على الصدر فى تكرير الخصم والحكم . ولما استكمل مابذل فيه النصح لمخاطبه بطريق التخليص مما أحاط به أثبته لنفسه حيث لم يعمل بما قاله وطلب الغفران من هذه المقالة فقال :

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلاَ عَمَلٍ لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِى عُقُمِ

وأول مراتب السعادة وانظر فعل الشيطان مع أبيك وقد أقسم إنه له لمن الناصحين فكيف بك وقد أقسم انه ليغوينك وقوله وإن هما محضاك النصح فاتهم أى وإن هما أخلصالك النصح فيما أبدياه لك كأن يقولا لك تمتع بهذه الشهوة لكى تتوجه إلى الطاعة فارغ القلب أويقولا لك ارفق على نفسك فى العبادة لتدوم عليها أو أكثر من العبادة لتفوز بالدرجات العلا أونحو ذلك فاتهمهما بأن تنسبهما الى الخيانة لأن مرادهما بذلك الخديعة والمكر وقد تقدم أن أداة الشرط وهى هنا إن من خواص الفعل فقوله وإن هما أصله وان محضا حذف الفعل فانفصل الضمير والفعل المذكور تفسير للمحذوف على حد قوله تعالى وإن أحد من المشركين استجارك وعبر المصنف بإن التى للشك إشارة الى أن إخلاصهما النصح أمر مشكوك فيه بل لايفرض إلا كما يفرض المحال إذ لايصدر منهما إلا الغش ولذا قيل إن الشيطان يفتح للانسان تسعا وتسعين بابا من الخير ليوقعه فى باب من الشر [وخاصية هذا البيت والذى بعده] أن من واظب عليهما غلب نفسه وشيطانه ورزقه الله الحفظ منهما إن شاء الله تعالى (قوله ولا تطع منهما الخ) هذا البيت تأكيد للبيت قبله ومعناه أنه إذا تخاصم العقل مع النفس وجعلا الشيطان حكما أوتخاصم العقل مع الشيطان وجعلا النفس حكما فلا تطع واحدا من النفس والشيطان لاالخصم ولاالحكم لأن كلا منهما يدعو إلى الشر وأما العقل فيدعو إلى الخير فإذا تخاصم العقل مع أحدهما كان الحكم مع خصم العقل لأنه من ناحيته فلا يحكم إلا بما هو على مراده وقيل صورة كون أحدهما خصما والآخر حكما أن أحدهما يزين لك الاقدام على المعصية وأنت تمتنع من ذلك لما تعلم من سوء العاقبة فقد صار خصما لك ثم بعد الاقدام على المعصية يزين أحدهما لك البقاء عليها وأنت تريد الخروج منها فيضرب لك أجلا بعد أجل كما يفعله الحكام فقد صار حكما فى ذلك ومما تقرر علم أن الخصم قد يكون النفس والحكم الشيطان وبالعكس ومن فى قوله منهما للتبعيض والضمير فيه عائد للنفس والشيطان ولا فى قوله ولاحكما زائدة لتأكيد النهى وقوله فأنت تعرف كيد الخصم والحكم أى لأنك تعرف كيد الخصم والحكم من الناس وكيد النفس والشيطان أشد (قوله أستغفر الله الخ) لما كان المصنف معترفا بأنه غير عامل بقوله وقد قال تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون استغفر من ذلك حيث قال أستغفر الله الخ والمقصود من قوله أستغفر الله الانشاء وهو يطلب مفعولين ثانيهما مجرور بمن كما هنا ويجوز حذف من نحو أستغفر الله ذنبا أى من ذنب وقوله من قول بلا عمل أى من قول مصحوب بعدم العمل أومتلبس بعدم العمل فالباء للملابسة أوالمصاحبة ومن للتعدية أوللتعليل وذلك كأن يأمر ولايأتمر وينهى ولاينتهى وظاهر كلام المصنف أن

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به
وما استقمت فما قولي لك استقم

أن الاستغفار من القول المذكور ووجهه بعضهم بأن المتبادر من الأمر والنهى أن يكون الشخص مؤتمرا بما أمر به منتهيا عما نهى عنه فان لم يكن كذلك فى الواقع كان أمره ونهيه رياء ونفاقا فيحتاج للاستغفار منه وبعضهم جعل الاستغفار منصبا على القيد فقط أعنى عدم العمل لأن القول فى ذاته طاعة فلايحتاج للاستغفار منه وعدم العمل ترك طاعة فيحتاج للاستغفار منه وهذا هو الموافق لمذهب أهل السنة من أنه لايتوقف الأمر والنهى على العمل بهما لأن عدم الأمر والنهى معصية وعدم العمل معصية أخرى وتقليل المعاصى مطلوب ماأمكن ولذلك قالوا يجب على مدير الكاس الإنكار على الجلاس ويجب على الزانى بامرأة أن يأمرها بستر وجهها ومن هذا يعلم أن العالم الذى لايعمل بعلمه خير من الجاهل ، وأما قول صاحب الزبد :

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن

فمحمول على علماء أهل الكتاب الذين غيروا وبدلوا وكتموا الحق وقيل إن تعذيبه من قبل عباد الوثن ليس لكونه أسوأ حالا منهم بل للاسراع بتطهيره وقوله لقد نسبت به نسلا لذى عقم مستأنف استئنافا بيانيا لأنه واقع فى جواب سؤال مقدر فكأنه قيل له لم استغفرت من ذلك القول فقال لقد نسبت به نسلا لذى عقم أى لقد نسبت بهذا القول نسلا وهو الذرية لشخص صاحب عقم بضم القاف كما هو لغة فى العقم بسكونها وليس جمع عقيم لأن اضافة ذى إليه تمنع من ذلك لايقال إن المصنف لم يقع منه نسبة نسل لذى عقم فكيف يقول لقد نسبت به نسلا الخ لأنا نقول المعنى على التشبيه أى كأنى قد نسبت به نسلا الخ ووجه ذلك أن المتبادر من الأمر والنهى أن يكون الآمر والناهى مؤتمرا منتهيا فذلك القول يتضمن نسبة العمل الى القائل فإذا كان بلا عمل فقد أشبه نسبة النسل لذى العقم وهو الذى لايولد لمثله وذلك كذب يستغفر منه فكذا ماأشبهه وهذا يؤيد أن الاستغفار من القول المذكور وفى ذكر فضل الاستغفار طول يخرجنا عن المقصود ، وما أحسن قول القائل :

ولو أن فرعون لما طغى وقال على الله إفكا وزورا
أناب الى الله مستغفرا لما وجد الله إلا غفورا

(قوله أمرتك الخير الخ) هذا البيت بيان للبيت قبله وأمر يتعدى لمفعولين ثانيهما بنفسه تارة كما هنا وبالباء تارة أخرى كما فى قولك أمرت زيدا بكذا ومراده بالأمر مايشمل النهى كما فى قولهم أمر السلطان أن لا يؤذى أحد أحدا وأن يجامل فى المعاملة فاندفع مايقال لم خص الأمر بالذكر مع أنه سبق منه أمر ونهى والمراد أمرتك بفعل الخير ونهيتك عن تركه والخير ماله عاقبة محمودة وقوله لكن ماائتمرت به أى لكن ماعملت به وقوله وماااستقمت أى بفعل المأمورات وترك المنهيات لأن الاستقامة هى الاعتدال وعدم الاعوجاج وذلك يكون بفعل المأمورات وترك المنهيات وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بها فى صورة هود وأخواتها قال تعالى فاستقم كما أمرت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم شيبتنى هود وأخواتها وقيل قال ذلك لما فيها من الإخبار عن إهلاك الأمم الماضين وقوله فما قولى لك استقم أى فما ثمرة قولى لك استقم حيث

وَلاَ تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً   وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

الاستغفار طلب المغفرة ونسبت عزوت والنسل الولد وعقم مصدر عقمت الرحم أى لم تقبل الولد والأمر الطلب والخير ضدالشر وائتمرت أى امتثلت واستقمت اعتدلت والزاد فى الأصل الطعام المتخذ للسفر والمراد هنا الطاعات النافعة فى الآخرة والموت مفارقة الروح الجسد والنافلة الزيادة على الواجبات وسوى بمعنى غير [الاعراب] أستغفر بفتح الهمزة فعل مضارع وفاعله مستترفيه وجوبا الله منصوب بأستغفر من (٢٢) قول متعلق بأستغفر بلا عمل نعت قول لقد اللام مؤكدة لجواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق والتقدير والله لقد نسبت بفتح المهملة وسكون الموحدة وضم التاء فعل وفاعل به متعلق بنسبت والهاء لقول نسلا مفعول نسبت لذى بكسر اللام والذال المعجمة جار ومجرور متعلق بنسبت عقم بضمتين مضاف إليه وأصل القاف السكون وضمها لغة جارية فى الثلاثى المضموم أوله كعسر ويسر . أمرتك الخير فعل ماض وفاعل ومفعولان لكن حرف ابتداء واستدراك مانافية ائتمرت بضم تاء المتكلم فعل ماض وفاعل والأصل ائتمرت بهمزتين مكسورة فساكنة قلبت الساكنة ياء لانكسار ماقبلها به متعلق بائتمرت والهاء للخير وما نافية استقمت بالضم فعل وفاعل فما اسم استفهام مبتدأ قولى بفتح القاف خبره لك متعلق بقولى استقم فعل أمر وفاعل فى موضع نصب على المفعولية لقولى ولاحرف نفى تزودت بالضم فعل وفاعل قبل ظرف زمان منصوب بتزودت الموت مضاف إليه نافلة بالفاء مفعول تزودت ولم حرف نفى أصلّ فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الياء سوى مفعول أصلّ لاظرف مكان فرض مضاف إليه ولم أصم معطوف على أصلّ ومفعوله محذوف مماثل لما قبله والتقدير ولم أصم سوى فرض لحذف من الثانى لدلالة الأول عليه

[ومعنى الأبيات الثلاثة] إنى أستغفر الله من قولى هذا فإنى عقيم عن تقديم عمل يناسب مقالى فان نتيجة القول العمل فلما لم ينتج قولى عملا فهو كالرحم العقيمة التى لم تنتج ولدا ووالله لقد عزوت بهذا القول الخالى عن العمل ولدا لعقيم فقد أمرتك بالعمل الصالح ومافعلت أنا ماأمرتك به وماعتدلت باقامة نفسى على الاستقامة فما فائدة قولى لك اعتدل أنت إذا لم أعتدل أنا وقد قال الله العظيم ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون كبر مقتا عندالله أن تقولوا مالا تفعلون وماتزودت قبل نزول الموت زادا من النوافل واقتصرت من الصلاة والصوم على الفرض منهما .

لم أستقم والاستفهام إنكارى بمعنى النفى أى لاثمرة له ولافائدة له لأنه لاينفع غالبا إلا إذا استقام القائل ولذلك قيل فى هذا المعنى :

يأيها الرجل المعلم غيره   هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى   كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها   فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ماتقول ويشتفى   بالقول منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلق وتأتى مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

فان قيل لم يتقدم منه أمر بالاستقامة حتى يظهر قوله فما قولى لك استقم أجيب بأنه تقدم ضمنا لأنه يعلم من كلامه السابق (قوله ولاتزودت قبل الموت الخ) المراد بالتزود هنا العمل وإنما عبر بالتزود نظرا لكون الموت سفرا طويلا محتويا على الأهوال والمشاق والسفر المذكور يناسبه التزود قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى والذى عليه المحققون من المفسرين أن المراد بالتزود أخذ الزاد الذى هو مايوصلهم لقصودهم والمراد بالتقوى فى هذه الآية مايتقى به ذل السؤال وقوله نافلة أى مستقلة فاندفع مايقال إن الفرائض مشتملة على النوافل فلا يتم قوله ولا تزودت قبل الموت نافلة مع كونه كان يفعل الفرائض وقد اشتهر أن النافلة يجبر بها مانقص من الفرائض لكن نقل القرطبى فى التذكرة عن الشافعى رضى الله تعالى عنه أن ذلك فيما نقص من الفرائض سهوا وأما مانقص منها عمدا فلا يجبر بالنافلة وإن كثرت جدا وقوله ولم أصلّ سوى فرض ولم أصم إنما خص الصلاة والصوم بالذكر لأنهما محض عبادة بدنية وإنما سكت عن الايمان لأنه لايتنفل به وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الأول أى ولم أصم سوى فرض . لايقال يبعد أنه لم يقع منه صلاة السنن كالوتر وغيره وصوم السنن كصوم عاشوراء وغيره . لأنانقول إنما نفى ذلك تنزيلا لما فعله من النوافل منزلة العدم لاتهامه نفسه فى الاخلاص فيه وماقيل من أنه كان إذا صلى نافلة نذرها أوصام نفلا نذره فهو بعيد [وخاصية هذا البيت والاذين قبله] أن من دخله العجب أوالرياء فى علم أوعمل كتبها عند طلوع الفجر وكررها إحدى وسبعين مرة ثم علق ذلك المكتتب على عضده الأيسر مائلا لجهة جنبه فانه يتواضع حينئذ ويصير آمنا من العجب

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى
أَنِ اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ
وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى
تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الْأَدَمِ

العجب والرياء (قوله ظلمت سنة من الخ) هذا تخلص للشروع فى المقصود وهو مدحه صلى الله عليه وسلم ولم يشرع فيه إلا بعد الوعظ والاستغفار والندم تأهيلا لمدح هذا الجناب الشريف ولما أخبر عن نفسه بما أخبر من كثرة التفريط وأخبر بأنه لم يتزود من النافلة حكم بأنه ظلم سنة سيد المرسلين أى جار فيها ووضعها فى غير موضعها لأن الظلم هو الجور ووضع الشىء فى غير محله والسنة لغة الطريقة وشرعا الطريقة المسلوكة فى الدين من غير إفتراض ولاوجوب ومن واقعة على نبى وهو نبينا صلى الله عليه وسلم وقوله أحيا الظلام أى أنار الليل المظلم بالصلاة فالمراد بالظلام المظلم والمراد باحيائه إنارته بالصلاة إذ العبادة كما تؤثر النور فى وجه العابد تؤثره فى زمنها ولايخفى أن فى كلامه استعارة تصريحية تبعية أواستعارة مكنية فيكون قد شبه الانارة بالإحياء بجامع النفع فى كل واستعار الإحياء للانارة واشتق من الإحياء بمعنى الانارة أحيا بمعنى أنار أوشبه الظلام بمعنى الليل المظلم بميت يحيى تشبيها مضمرا فى النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الإحياء وقوله الى أن اشتكت قدماه الضر من ورم أى واستمر إحياؤه صلى الله عليه وسلم للظلام الى ذلك فهو غاية فى الإحياء لكن لامفهوم لهذه الغاية واشتكاء القدمين كناية عن شدة الألم الحاصل لهما من كثرة القيام على وجه المبالغة والورم ازدياد الحجم على غير اقتضاء طبيعى وسبب ورم القدمين من كثرة القيام انصباب المواد التى فى أعالى الجسم اليهما لطول القيام فإنه صلى الله عليه وسلم وإن لم يكن يزيد بالليل على اثنتى عشرة ركعة لكن كان يطيل القيام فيها وقد روى المغيرة أنه قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وفى رواية أنه قال جبريل أبق على نفسك فان لها عليك حقا فأنزل الله سبحانه وتعالى طه ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى وفى هذا البيت مزيد التقريع لنفسه فكأنه يقول لها مابالك فى هذا التقصير وعدم الاقتداء به صلى الله عليه وسلم فى كثرة عبادته وغلبة طاعته ولهذا اختار هذه الصفة من بين الصفات [وخاصية هذا البيت والأربعة بعده] أن من ثقل عليه قيام الليل وغلب عليه النوم والكسل ولا زالت نفسه تمتد لراحة الدنيا فليكتب هذه الأبيات فى لوح و يجعله عند رأسه فيتزين له حينئذ العمل الصالح وتحدثه نفسه بأمور الآخرة (قوله وشد من سغب الخ) عطف على أحيا الظلام الخ فهو عطف على الصلة فيكون صلة وإنما أتى بذلك نظرا لقوله فى البيت السابق ولم أصم عقب قوله ولم أصل سوى فرض و بهذا ظهر حكمة تخصيصهما فيما تقدم والشد العصب والربط والسغب بسين مهملة وغين معجمة الجوع ومن الداخلة عليه للتعليل أى عصب وربط من أجل جوع وقوله أحشاءه مفعول لشد والأحشاء جمع حشا وهو كما فى الصحاح ماانضمت عليه الضلوع وقيل القلب وقيل الأمعاء وفائدة هذا الشد انضمام الأحشاء على المعدة فتخمد الحرارة بعض خمود لأن المعدة إذا امتلأت بالطعام اشتغلت الحرارة بهضمه وإذا خلت عن الطعام طلبت الحرارة رطوبة الجسم فيتألم الإنسان فبالشد تضعف تلك الحرارة وقد روى الشد مسلم عن أنس قال جئت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته جالسا مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة فقالوا من الجوع . وقوله وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الأدم عطف أيضا على الصلة والطى اللف والكشح الخاصرة والمترف الناعم من الترف وهو النعومة المفرطة والأدم الجلد أى ولف تحت الحجارة خاصرة ناعمة الجلد نعومة مفرطة وفائدة هذا الطى أن برودة الحجر تخفف حرارة الباطن وقد روى البخارى الطى عن جابر قال مكث صلى الله عليه وسلم لم يذق الطعام ثلاثا وهم يحفرون الخندق فقالوا يارسول الله إن ههنا كدية من الجبل قد عجزت معاولنا عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رشوها بالماء فرشوها به ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ المعول ثم قال بسم الله فضرب ثلاثا فصارت كثيبا قال جابر فحانت منى التفاتة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شد على بطنه حجرا . واستشكل ماذكر من الشد والطى بقوله صلى الله عليه وسلم أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى لأن من هذا حاله لايعصب أحشاءه ويطوى كشحه تحت الحجارة من الجوع . وأجيب بأن معنى الحديث أبيت مستحضرا جلال ربى فيعطينى قوة الطعام والشراب والمراد بذلك أنه ضمن له قوة بدنه ونضارة جسمه حتى إن من رآه لايظن به جوعا ولاعطشا كما أشار الى ذلك الناظم بقوله مترف الأدم فهو من قبيل الاحتراس وحينئذ فحصول الجوع له صلى الله عليه وسلم لاينافيه الإطعام فى الحديث (قوله وراودته الجبال الخ) لما كان قد يتوهم من قوله وشد من سغب الخ أنه صلى الله عليه وسلم كان فقيرا من المال دفع ذلك التوهم بقوله وراودته الجبال الخ والمراودة المطالبة يقال راوده أى طلب منه أن يكون على مراده وإسناد المراودة للجبال مجاز لأن الله هو الذى خيره فى ذلك ويحتمل أن يكون حقيقة إذ لامانع من أن يخلق الله فيها إدراكا وتراوده حقيقة وأل فى الجبال للعهد الذهنى والمعهود هنا هو جبال مكة كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فإذا شبعت حمدتك وإذا جعت تضرعت إليك ودعوتك ، وروى أن جبريل عليه السلام نزل عليه صلى الله عليه وسلم فقال له إن الله يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن تكون لك هذه الجبال ذهبا وفضة تكون معك حيثما كنت فأطرق ساعة ثم قال ياجبريل إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له يجمعها من لاعقل له فقال له جبريل ثبتك الله بالقول الثابت وقوله الشم أى المرتفعة وهى جمع أشم مشتق من الشمم وهو الارتفاع وقوله من ذهب أى أن تكون من ذهب فهو خبر لتكون المحذوفة وليس حالا خلافا لبعضهم لأنها لم تكن من ذهب حين المراودة وإنما طلبت منه أن تكون كذلك وقوله عن نفسه أى من أجل نفسه فعن للتعليل وقوله فأراها أيما شمم أى فأراها شمما أيما شمم أى شمما عظيما أى إعراضا شديدا علما منه بأن ماعند الله خير وأبقى

وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ
عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ

(قوله

وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ   إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصَمِ

ظلمت تركت والسنة السيرة والطريقة وأحيا الظلام قام فى الليل على قدميه واشتكت أى أظهرت الشكاية والقدم طرف الرجل ممايلى الأصابع والضر الألم والهزال والورم الانتفاخ والسغب الجوع والأحشاء جمع حشا وهو ماانضمت عليه الضلوع والطى الثنى والكشح مابين الخاصرة إلى الضلع والمترف المنعم والأدم جمع أدمة وهى باطن الجلد والبشرة ظاهره وراودته أى دعته الى نفسها والشم جمع أشم وهو العالى فأراها أيما شمم أى أعرض عنها وارتفع عنها غاية الارتفاع وأكدت قوّت والزهد ضد الرغبة والضرورة الحاجة ولاتعدو أى لاتظلم والعصم جمع عصمة وهى المنع والحفظ [الاعراب] ظلمت بضم التاء فعل وفاعل سنة بضم السين مفعول به من بفتح الميم موصول اسمى مضاف إليه أحيا الظلام فعل وفاعل ومفعول والجملة صلة من وعائدها فاعل أحيا المستتر فيه إلى حرف جر وغاية أن بفتح الهمزة وسكون النون وكسر لالتقاء الساكنين موصول حرفى اشتكت قدماه فعل وفاعل صلة أن الضر بضم الضاد المعجمة مفعول اشتكت من ورم جار ومجرور فى موضع الحال من الضر أومتعلق باشتكت على أن من للتعليل وشد بفتح الشين المعجمة فعل وفاعل مستتر من سغب بفتح السين المهملة والغين المعجمة متعلق بشد ومن للتعليل أحشاءه مفعول شد وطوى بفتح الطاء والواو معطوف على شد تحت ظرف مكان منصوب بطوى الحجارة مضاف إليها كشحا بفتح الكاف وسكون الشين (٢٥) المعجمة وبالحاء المهملة مفعول طوى مترف بالتاء الفوقية الساكنة والراء المهملة المفتوحة وبالفاء نعت كشحا الأدم بفتح الهمزة والدال المهملة مضاف إليه من إضافة اسم المفعول إلى نائب الفاعل والأصل مترفا أدمه أى منعما جلده وراودته الجبال فعل وفاعل ومفعول الشم بضم الشين المعجمة نعت من ذهب فى موضع الحال من الجبال عن نفسه متعلق براودته فأراها بفتح الهمزة والراء المهملة فعل وفاعل مستتر ومفعول أيما بفتح الياء التحتية المشددة نعت لمصدر محذوف وما زائدة شمم بفتح الشين المعجمة والميم مضاف إليه والتقدير فأراها شمما أى شمم وأكدت فعل ماض وتاء تأنيث زهده مفعول أكدت ومضاف إليه فيها متعلق بزهده ضرورته بالرفع فاعل أكدت ومضاف إليه إن الضرورة إن واسمها لانافية تعدو بالعين المهملة فعل وفاعل مستتر خبر إن على العصم بكسر العين وفتح الصاد المهملتين متعلق بتعدو [ومعنى الأبيات الأربعة] تركت طريقة نبى أحيا الليالى المظلمة مع علوّ قدره وارتفاع مكانه لإقامة وظائف العبودية على قدميه الكريمتين حتى ظهر الوجع والورم عليهما وشد وسطه المبارك بالحجر وطوى خصره الناعم الشريف تحت الحجارة تخفيفا لألم الجوع لاللعجز والقصور عن تدبير مالابد منه فى أمر المعيشة فإن الجبال العوالى من الذهب الخالص كانت تدعوه إلى نفسها فكان يعرض عنها ويظهر لها أعلى ترفع واستغناء ومما يؤكد زهده فى زخارف الدنيا حاجته الضرورية وفاقته الزائدة والضرورات تبيح المحظورات فكيف المباحات المحتاج إليها والضرورة لا تمنع العصمة ، أما إحياؤه الليل فمن قوله تعالى ـ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ـ الآية ، وأماتورم قدميه فمن قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ماتقدّم من ذنبك وماتأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا رواه الشيخان وأما شده الحجر على بطنه من الجوع فقد وقع له فى حفر الخندق رواه البخارى ، وأما مراودة الجبال له فمأخوذة من حديث إن جبريل قال له إن الله تعالى يقول لك أتحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فأطرق ساعة ثم قال ياجبريل إن الدنيا دار من لادار له الحديث بطوله فى الشفاء .

(قوله وأكدت زهده فيها الخ) التأكيد التقوية والزهد ترك الشىء وقلة الرغبة فيه والضمير المجرور بفى راجع للجبال التى تكون من ذهب وبعضهم جعله راجعا للدنيا والأول أولى لعدم تقدم ذكر الدنيا وإن كانت معلومة من المقام والضرورة شدة الحاجة ولايخفى أن زهده مفعول مقدم وضرورته فاعل مؤخر وإنما أكدت ضرورته زهده فيها لأن الإعراض عن الشىء وقلة الرغبة فيه مع شدة الاحتياج إليه دليل جلىّ وبرهان قطعىّ على الزهد فى ذلك الشىء وقوله إن الضرورة الخ مستأنف استئنافا بيانيا لكونه واقعا فى جواب سؤال مقدر فكأنه قيل له كيف تؤكد ضرورته زهده فيها مع أن الضرورة تقتضى الاقبال عليها وعدم الإعراض عنها فقال إن الضرورة الخ وقوله لاتعدو على العصم أى لاتتعدى عليها يقال عدا عليه أى تعدى عليه وفى كلامه حذف مضاف أى على ذوى العصم وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هذا إن قرئ العصم بكسر العين وفتح الصاد كما هو المشهور على أنه جمع

وَكَيفَ تَدْعُو إلى الدُّنيا ضَرُورَةُ مَنْ
لَوْلاهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ
مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْـ
ـنِ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

العدم المراد به هنا التقدم على الممكنات قبل وجودها والسيد الجليل العظيم والكونان الدنيا والآخرة والثقلان الإنس والجن والثقل بالفتح النفيس من الشيء وأنفس ماعلى وجه الأرض الإنس والجن فلذلك سميا ثقلين والفريقان العرب والعجم والفريق الجماعة الكثيرة والعربي مافصح بلغة العرب والعجمي بخلافه .

[الاعراب] وكيف متعلق بتدعو بمعنى ماالنافية تدعو فعل مضارع إلى الدنيا متعلق بتدعو ضرورة فاعل تدعو من موصول اسمى مضاف إليه لولاه جار ومجرور عند سيبويه لم تخرج بضم التاء وفتح الراء جازم ومجزوم الدنيا نائب فاعل تخرج من العدم متعلق بتخرج وجملة لم تخرج الى آخره جواب لولا ولولا وجوابها صلة من وعائدها الهاء من لولاه محمد بالرفع بدل من فاعل أحيا فى البيت السابق أومبتدأ وسيد نعته أوخبره الكونين مضاف إليهما والثقلين والفريقين معطوفان على الكونين من عرب بضم أوله وسكون ثانيه حال من الفريقين ومن عجم بفتحتين معطوف على من عرب ومن فيهما للبيان .

[ومعنى البيتين] أنه صلى الله عليه وسلم لاتدعوه الضرورة الى حطام الدنيا الفانية فإن الدنيا ماأخرجت من العدم إلى الوجود إلا لأجله وكيف لا يكون كذلك وهوسيد أهل الدنيا والآخرة وسيد الإنس والجن وسيد العرب والعجم .

عصمة فان قرئ العصم بفتح العين وكسر الصاد كما استصوبه ابن مرزوق على أن أصله عصيم بمعنى معصوم حذفت ياؤه للضرورة فلا حذف فى كلامه وعلم من ذلك الفرق بين ضرورة من عصمه الله تعالى وضرورة غيره لأن ضرورة من عصمه الله لاتدعوه إلى أحسن الأشياء فضلا عن أخسها وضرورة غيره تدعوه إلى أخس الأشياء حتى إنها تبيح له تناول مالاينبغى تناوله ولوكان محرم الأصل كالميتة وفى كلام المصنف إشارة الى جواز وصفه صلى الله عليه وسلم بالزهد وهو الحق خلافا لمن منعه معللا بأن الزهد فى الشيء فرع عن التعلق به لكن قد عيب على هذا البيت والذى بعده فى إثبات الضرورة له صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يثبت له عليه الصلاة والسلام أصل الحاجة فضلا عن الضرورة ، وما أحسن قوله فى الهمزية :

مستقل دنياك أن ينسب الامساك منها إليه والإعطاء

(قوله وكيف تدعو الخ) استفهام إنكارى بمعنى النفى أى لاتدعو الخ والدعاء الطلب والميل وقوله الى الدنيا متعلق بتدعو والدنيا صفة فى الأصل ثم نقلت الى الاسمية فجعلت اسما لهذه الدار التى نحن فيها وقد تطلق على أعراضها وزخارفها من المال والجاه وما أشبههما وهذا هو المراد هنا وقوله ضرورة من أى ضرورة نبي أورسول فمن واقعة على نبي أورسول وقد تقدم الكلام على الضرورة وقوله لولاه لم تخرج الدنيا من العدم ببناء الفعل وهو تخرج للمفعول أوللفاعل وإن اقتصر بعضهم على الأول أى لولا وجوده صلى الله عليه وسلم لاستمرت الدنيا على عدمها ولم توجد فوجوده صلى الله عليه وسلم علة فى وجودها فلو كانت ضرورته تدعو الى الدنيا لكان وجوده معلولا لوجودها وهو خلف والأصل فى ذلك مارواه الحاكم والبيهقى من قول الله تعالى لآدم لما سأله بحق محمد أن يغفر له مااقترفه من صورة الخطيئة وكان رأى على قوائم العرش مكتوبا لاإله إلا الله محمد رسول الله سألتنى بحقه أن أغفر لك وقد غفرت لك ولولاه ماخلقتك فوجود آدم عليه السلام متوقف على وجوده صلى الله عليه وسلم وآدم أبوالبشر وقد خلق الله لهم مافى الأرض وسخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار وغيرذلك كما هونص القرآن قال تعالى خلق لكم مافى الأرض جميعا وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وإذا كانت هذه الامور إنما خلقت لأجل البشر وأبوالبشر إنما خلق لأجله صلى الله عليه وسلم كانت الدنيا إنما خلقت لأجله فيكون صلى الله عليه وسلم هو السبب فى وجود كل شيء (قوله محمد الخ) أى الممدوح محمد الخ فهو خبر مبتدأ محذوف على قراءته بالرفع ويصح فيه النصب على أنه مفعول لفعل محذوف أى أمدح محمدا ويجوز الجر على أنه بدل من الموصول الذى فى قوله وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من الخ وقوله سيد الكونين أى أشرف أهل الكونين فهو على تقدير مضاف والمراد بالكونين الدنيا والآخرة وقوله والثقلين أى الإنس والجن وإنما سميا ثقلين لاثقالهم الأرض أولثقلهما بالذنوب والعطف فى ذلك من عطف الخاص على العام وكذلك العطف فى قوله والفريقين ونكتته التصريح به فى مقام المدح ونصف البيت الياء من الثقلين فزيادة بعض الناس

نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فَلاَ أَحَــدٌ ... أَبَرَّ فِي قَوْلِ لاَ مِنْهُ وَلاَ نَعَمِ

هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ ... لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأَهْوَالِ مُقْتَحِمِ

النبي بالهمز من النبوة وهي الارتفاع وبالهمز من النبأ وهو الخبر فهو على الأول المرتفع عند الله تعالى وعند الناس وعلى الثاني المخبر عن الله تعالى والآمر اسم فاعل من الأمر وهو طلب الفعل والناهي من النهي وهو طلب الترك وأبر أصدق اسم تفضيل والرجاء الأمل والشفاعة السؤال للغير في الخلاص من الأمر المهول والهول المخافة والاقتحام الوقوع بغتة في الشدة .

[الاعراب] نبينا الآمر الناهي نعوت لمحمد أو أخبار له فلاحرف نفي عامل عمل ليس أحد بالرفع اسمها وأبرّ بالنصب خبرها ويجوز رفعهما على إهمال لا ورفع مابعدها على الابتداء والخبر وعلى الوجهين لاينوّن لأنه غير منصرف للوصف والوزن لكونه اسم تفضيل في قول بلا تنوين متعلق بأبر وهو مضاف ولامضاف إليه من إضافة المصدر الى المفعول بعد حذف فاعله . فإن قلت الحروف لايضاف إليها . قلنا المراد لفظها منه متعلق بأبر والضمير له صلى الله عليه وسلم ولاحرف نفي نعم بفتح النون والعين في محل جر بمضاف محذوف مماثل للمذكور والتقدير ولابقول نعم ولا ونعم من أحرف الجواب أي لاأحد أبر منه في قوله لا ولا في قوله نعم ، هو الحبيب مبتدأ وخبر الذي نعت الحبيب ترجى فعل مضارع مبني للمفعول شفاعته نائب الفاعل والجملة صلة الذي والعائد الهاء المجرورة بالإضافة لكل متعلق بترجى هول مضاف إليه من الأهوال نعت هول مقتحم بضم الميم وسكون القاف وفتح التاء والحاء المهملة نعت هول أيضا [ومعنى البيتين] نبينا الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر ومن عادة أولي الأمر والنهي التجافي والغلظة على المأمور والمنهي ونبينا صلى الله عليه وسلم مع شدة بأسه في الحق والغلظة فيه فهو ألطف الناس وألينهم جانبا بالبر والشفقة فلا توجد منه غلظة في قول لا عند المنع ولا في قول نعم عند السؤال ومصداق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وهو الحبيب الذي تؤمل شفاعته يوم القيامة لكل خوف وفزع يرمي الإنسان نفسه فيه من شدة الدهشة من رؤيته .

لفظ خير قبل الفريقين خطأ وقوله من عرب ومن عجم بيان للفريقين والعرب بضم العين وسكون الراء لغة في العرب بفتحهما والمراد بالعجم جميع غير العرب (قوله نبينا الخ) يجري في قوله نبينا أوجه الاعراب الثلاثة كما تقدم في محمد والإضافة في نبينا لتشريف المضاف إليه وقوله الآمر الناهي أي عن الله تعالى وهذا يستلزم كونه رسولا فهو في قوة أن يقول الرسول وقوله فلا أحد أبر في قول لامنه ولانعم أي إذا أمر ونهى فلا أحد أصدق منه في الأمر والنهي وقدعبر عن النهي بقول لا وعن الأمر بقول نعم ويحتمل أنه كنى بلا عن الخبر المنفي وبنعم عن الخبر المثبت إما مطلقا أو عن الثواب والعقاب وبالجملة فهو صلى الله عليه وسلم أصدق الناس في الخبر ولا في قوله ولانعم زائدة لتأكيد النفي وما ورد من أنه لم يقل لاقط محمول على أنه لم يقل لافي شيء سئل عنه من حوائج الدنيا بل إن كان عنده شيء أعطاه للسائل وإن لم يكن عنده شيء سكت أو وعده وبالغ بعضهم حتى قال :

ماقال لا قط إلا في تشهده ... لولا التشهد كانت لاؤه نعما

وهذا باعتبار الغالب وإلا ففي صحيح البخاري إن الأشعريين جاءوا إليه صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه أن يحملهم فقال والله لا أحملكم الى آخر الحديث [وهذا البيت والذي بعده] خاصيتهما التخلص من الوقوع في الشدائد فمن واظب على قراءتهما خلص من الوقوع في الشدائد ومن وقع في شدة قبل قراءتهما وكرر قراءتهما في جوف الليل وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم رفعت عنه تلك الشدة (قوله هو الحبيب الخ) الضمير راجع لمحمد أولنبينا والحبيب إما بمعنى محب فيكون اسم فاعل أو بمعنى محبوب فيكون اسم مفعول وعلى كل فالمراد هو الحبيب لله أو لأمته لأنه أعظم محب لله وأفضل محبوب له وهو أيضا محب لأمته ومحبوب لها إذ من شرط كمال الإيمان أن يكون أحب من المال والولد والنفس فقد قال عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنت أحب اليّ من مالي وولدي والناس أجمعين دون نفسي فقال له عليه الصلاة والسلام لايكمل إيمانك حتى أكون أحب اليك من نفسك التي بين جنبيك فقال عمر رضي الله عنه أنت أحب اليّ من نفسي فقال له عليه الصلاة والسلام قد كمل إذا إيمانك وهذا ترق لسيدنا عمر في الحال ببركته صلى الله عليه وسلم أو أن ذلك كان كامنا في نفسه غير أنه لحدته لم يتنبه لذلك إلا بعد أن نبهه صلى الله عليه وسلم وهذا هو اللائق بالأدب لكنه بعيد جدا وقوله الذي

ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم أى الذى تتوقع شفاعته وهى طلب الخير للغير عند كل هول فاللام بمعنى عند والهول هو الأمر المخوف حال كون ذلك الهول بعض الأهوال المفزعة موصوف ذلك الهول بأنه مقتحم فيه أى واقع فيه الناس فهو من باب الحذف والإيصال لحذف الجار واتصل الضمير والاقتحام هو الوقوع فى الشيء كرها يقال اقتحم زيد الأمر إذا وقع فيه كرها وإنما عبر بالرجاء مع أن شفاعته صلى الله عليه وسلم مقطوع بها إشارة الى أنه لاينبغى للشخص أن ينهمك فى المعاصى ويتكل على الشفاعة وله صلى الله عليه وسلم شفاعات منها شفاعته فى فصل القضاء حين يتمنى الناس الانصراف من المحشر ولو للنار لشدة الهول وهذه هى الشفاعة العظمى وتسمى المقام المحمود لأنه يحمده عليها الأولون والآخرون وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى دخول جماعة الجنة بغير حساب بل يقومون من قبورهم لقصورهم وهذه مختصة به صلى الله عليه وسلم أيضا ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى جماعة استحقوا النار أن لايدخلوها بل يدخلون الجنة وكذلك هذه مختصة به صلى الله عليه وسلم ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى جماعة دخلوا النار أن يخرجوا منها وهذه غير مختصة به صلى الله عليه وسلم بل تكون لغيره أيضا من العلماء والأولياء ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى رفع درجات أناس فى الجنة وهذه لم يثبت اختصاصها به صلى الله عليه وسلم لكن جوزه النووى ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى تخفيف العذاب عن بعض الكافرين كعمه أبى طالب على القول بأن الله لم يحيه فآمن به صلى الله عليه وسلم وهو المشهور والذى يحب أهل البيت يقول بأن الله أحياه وآمن به صلى الله عليه وسلم والله قادر على كل شيء ولاينافى شفاعته صلى الله عليه وسلم فى تخفيف العذاب عن بعض الكافرين قوله تعالى لايخفف عنهم لأن المنفى إنما هو تخفيف عذاب الكفر فلاينافى أنه يخفف عنهم عذاب غير الكفر على أحد الأجوبة فى ذلك (قوله دعا إلى الله الخ) أى دعا الى دين الله كما قال تعالى ادع الى سبيل ربك وهو الإسلام ففى كلام المصنف حذف مضاف والمفعول محذوف أى عباده وهو شامل للملائكة فقد دعاهم صلى الله عليه وسلم تشريفا لهم وتعريفا لما لم يكونوا يعرفونه لأنهم إذا عرفوا من آدم عليه السلام مالم يكونوا يعرفونه فليعرفوا منه صلى الله عليه وسلم مالم يكونوا يعرفونه بالطريق الأولى وقوله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم أى كما قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والمراد من الحبل السبب كما هو أحد إطلاقيه والفصم بالفاء القطع من غير إبانة بخلاف القصم بالقاف فإنه القطع مع الإبانة ونفى الأضعف يستلزم نفى الأقوى فكونه غير منفصم يستلزم كونه غير منقصم وإنما لم يقل فالمجيبون له الخ وإن كان هو المناسب للدعاء تنبيها على أن مجرد الإجابة بالقول ونحوه لايكفى فى النجاة من المهالك بل لابد من الاستمساك به صلى الله عليه وسلم كما يفعل من يصعد من مهوى فى تعلقه بالحبل

دَعَا إِلَى اللهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ
مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

أى دعا المرسل اليهم الى دين الله تعالى والاستمساك الاعتصام والحبل السبب والمنفصم بالفاء المنقطع .

[الاعراب] دعا فعل ماض وفاعله مستتر فيه جوازا يعود إلى النبى صلى الله عليه وسلم إلى الله متعلق بدعا فالمستمسكون مبتدأ به متعلق بالمستمسكون ، مستمسكون خبر المبتدا وسوغ ذلك اختلافهما تعريفا وتنكيرا ومتعلقا بحبل بالحاء المهملة والباء للوحدة متعلق بمستمسكون غير بالجر نعت حبل منفصم بالفاء والصاد المهملة مضاف إليه .

[ومعنى البيت] دعا صلى الله عليه وسلم الإنس والجن الى دين الإسلام فمن اعتصم به صلى الله عليه وسلم وآمن بما جاء به فهو معتصم بسبب متصل غير منقطع .

والتزامه

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ
وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلاَ كَرَمِ
وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ
غَرْفاً مِنَ الْبَحْرِ أَوْرَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

والتزامه به وإن قصر فى الاستمساك ولو لحظة هوى [وفائدة هذا البيت] حفظ الإيمان والأمان من سلبه بأن يقال بعد كل صلاة عشر مرات مفتتحة بالصلاة والسلام على النبى بصيغة مخصوصة وهى اللهم صلّ وسلم على نبيك البشير الداعى اليك بإذنك السراج المنير (قوله فاق النبيين الخ) أى زاد صلى الله عليه وسلم على النبيين وكذا على غيرهم بالطريق الأولى فى خلق بفتح الخاء وسكون اللام وهو الصورة والشكل وفى خلق بضمهما وهو ماطبع عليه الإنسان من الخصال الحميدة كالعلم والحياء والجود والشفقة والحلم والعدل والعفة وأمثال ذلك فقد اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم ماتفرق فى غيره من تلك الخصال وقد ذكر بعضهم أن من تمام الإيمان أن يعتقد الإنسان أنه لم يجتمع فى أحد من المحاسن الظاهرة والباطنة مثل ما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم . واعترضَ على الناظم بأن مقتضى كلامه أنه صلى الله عليه وسلم فاق النبيين فى بعض الخلق بفتح الخاء وسكون اللام وبعض الخلق بضمهما لأن كلا منهما نكرة وهى فى سياق الإثبات لاتعم وهذا ليس بمدح تام لأنه يحتمل بعد ذلك أن يساويهم فى البعض الآخر ويحتمل أن يفوقوه فيه وعلى هذا فان كان مافاقوه فيه مثل مافاقهم فيه حصلت المعادلة وإن كان أكثر انعكس ماقصده المصنف من المدح . وأجيب بأن المراد فى خلقهم وفى خلقهم فهما مضافان فى المعنى فيعمان على أن النكرة فى سياق الإثبات قد تعم ولما لم يلزم من كونه فاقهم فى ذلك نفى مقاربتهم له نفاها بقوله ولم يدانوه أى لم يقاربوه وقوله فى علم ولا كرم أى ولاغيرهما وإنما اقتصر المصنف عليهما لأن العلم رأس الفضائل والكرم رأس الفواضل ولايرد على ذلك ماورد من النهى عن التفضيل بين الأنبياء كقوله صلى الله عليه وسلم لاتفضلوا بين الأنبياء لأنه محمول على تفضيل يؤدى الى تنقيص وليس فى ذلك تنقيص لأحد من النبيين لأنا نعتقد أنهم متصفون بالكمال والنبى أكمل قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض قال ابن عباس المراد بالبعض الأول محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وكلهم من رسول الله الخ) هذا البيت كالدليل للبيت قبله والجار والمجرور متعلق بقوله ملتمس والإضافة فى رسول الله للعهد والمعهود وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من قوله ملتمس آخذ وإن كان الالتماس معناه فى الأصل الطلب وقوله غرفا من البحر أورشفا من الديم أى حال كون بعض الملتمسين مغترفا من البحر وبعضهم مرتشفا من الديم فهو إشارة إلى اختلاف أحوال الملتمسين فأولو العزم مثلا أكثر التماسا من غيرهم فأو فى ذلك للتنويع والتقسيم والغرف مصدر غرف بمعنى أخذ والبحر ضد البرسمى بذلك لعمقه واتساعه والرشف المص والديم جمع ديمة وهى المطر الدائم يوما وليلة من غير رعد والمراد من البحر والديم هنا علمه وحلمه صلى الله عليه وسلم فكل منهما استعارة تصريحية وكل من الغرف والرشف ترشيح وإنما عبر فى جانب البحر بالغرف وفى جانب الديم بالرشف لأن الغرف مناسب للبحر لكثرته دون الديم لأنها تجرى على وجه الأرض

وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمُ مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكَمِ

فاق أى علا والخلق بفتح الخاء وسكون اللام الخلقة ، والخلق بضمتين السجية والطبيعة ويدانوه يقاربوه وملتمس أى أخذ غرفا مصدر غرفت بيدى من البحر والرشف المص والديم جمع ديمة المطر الذى ليس فيه رعد ولابرق ولديه عنده والحد هنا الغاية والنقطة واحدة النقط والشكلة واحدة الشكل من شكلت الكتاب أى قيدته بحركات الاعراب مأخوذ من شكالت الدابة إذا قيدتها بالشكال والحكم بكسر الحاء وفتح

الكاف جمع حكمة بفتحتين مأخوذ من حكمة اللجام لأنها تمنع الفرس من الجماح ويسمى العلم حكما لأنه يمنع من الخطأ .

[الاعراب] فاق النبيين فعل وفاعل ومفعول فى خلق بفتح الخاء وسكون اللام وفى خلق بضمهما متعلقان بفاق ولم يدانوه جازم ومجزوم وعلامة الجزم حذف النون فى علم بكسر العين متعلق بيدانوه ولا كرم معطوف على علم وأعاد لا لتأكيد النفى وكلهم مبتدأ من رسول الله متعلق بملتمس ملتمس خبر المبتدا وأفرده مراعاة للفظ كل غرفا بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وبالفاء مفعول ملتمس من البحر متعلق بغرفا أورشفا بفتح الراء وسكون الشين المعجمة وبالفاء معطوف على غرفا من الديم بكسر الدال المهملة وفتح الياء التحتية متعلق برشفا وواقفون معطوف على ملتمس وجمعه مراعاة لمعنى كل لديه عند متعلقان بواقفون حدهم بفتح الحاء المهملة مضاف إليه من نقطة بضم النون وسكون القاف وبالطاء المهملة متعلق بحدهم أى بغايتهم العلم بكسر العين مضاف إليه أو حرف عطف وتقسيم من شكلة بفتح الشين المعجمة وسكون الكاف معطوف على من نقطة الحكم بكسر الحاء المهملة وفتح الكاف مضاف إليه ،

فلا يجتمع منهما ماء غالبا حتى يفترق (قوله وواقفون الخ) عطف على قوله ملتمس لكن نظر فى أحدهما للفظ كل وفى الآخر لمعناه ومعنى كونهم واقفين لديه عند حدهم أنهم ثابتون عنده صلى الله عليه وسلم فى العلم والحكم عند الحد الذى حد لهم من ذلك فلايتجاوزونه وأما هو صلى الله عليه وسلم فلم يزل يترقى بعد ذلك فنهاية مراتبهم فى العلم والحكم مبدأ ماأوتيه صلى الله عليه وسلم منهما فوقوفهم لديه صلى الله عليه وسلم وقوف ذى الغاية عند مبدإ غيره وقوله من نقطة العلم أومن شكلة الحكم بيان لحدهم والمعنى على التشبيه والإضافة فى الموضعين على معنى من أى الذى هو كنقطة من العلم أوكشكلة من الحكم والمراد من العلم والحكم علم الرسول وحكمه كما قاله بعض الشارحين وقيل المراد بهما علم الله وحكمه . وحاصل المعنى على الأول أنهم ثابتون لديه صلى الله عليه وسلم فى العلم والحكم عند حدهم الذى هو كالنقطة من علم الرسول أوكالشكلة من حكمه صلى الله عليه وسلم . وحاصل المعنى على الثانى أنهم ثابتون لديه فى العلم والحكم عند حدهم الذى هو كالنقطة من علم الله أوكالشكلة من حكمه تعالى فعلمهم بالنسبة لعلمه صلى الله عليه وسلم كنقطة من علم الله وحكمهم بالنسبة لحكمه صلى الله عليه وسلم كشكلة من حكمه تعالى وهذا أبلغ فى مدحه صلى الله عليه وسلم من الأول لكن الأقرب الأول وعلى كل فأو للتنويع والتقسيم وإنما خص النقطة بالعلم والشكلة بالحكم لأن النقطة غير الحروف المشتبهة الصور والعلم خاصته التمييز لأنه صفة تقتضى تمييزا لايحتمل النقيض بوجه والشكلة بها يضاف الحكم لصاحبه مع زوال اللبس والاختلال والحكمة فأشبهتها وضع الشىء فى المكان الذى يستحقه على أكمل وجه لئلا يختل النظام (قوله فهو الذى تم الخ) مفرع على قوله فاق النبيين الخ لكن على اللف والنشر المشوش لأن معناه يرجع للخلق بضمتين وصورته ترجع للخلق بفتح الخاء وسكون اللام فإن المراد من معناه كمالاته الباطنية كما هو المراد من الخلق بضمتين والمراد بصورته صفاته الظاهرية كما هو المراد بالخلق بفتح الخاء وسكون اللام وقوله ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم أى ثم اختاره حبيبا خالق الخلق والنسم بفتح النون المشددة جمع نسمة بفتحات وهى الإنسان وإنما خص الوصف المذكور من بين أوصافه تعالى تنبيها على أنه تعالى خلقه

[ومعنى الأبيات الثلاثة] أنه صلى الله عليه وسلم علا جميع النبيين فى الخلقة والسجية ولم يقاربوه فى العلم ولا فى الكرم كما سيأتى بيانه فى قوله ياأكرم الرسل وفى قوله ✲ ومن علومك علم اللوح والقلم ✲ وكل النبيين آخذ من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدار غرفة من البحر أومصة من المطر الغزير وكلهم واقفون عند غايتهم من نقطة العلم أومن شكلة الحكم وخص الشكلة بالحكم لزيادة التفهم بها على النقطة .

فَهُوَ الَّذِى تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِئُ النَّسَمِ

على تلك الصورة ووفقه لتلك الأخلاق الحميدة ومن ذلك يعلم أن ثم ليست للترتيب في الصفات كما قاله بعضهم بل للترتيب في الذكر والاخبار ويمكن حمل كلام بعضهم على ذلك بأن يحمل على تقدير مضاف والأصل للترتيب في ذكر الصفات (قوله منزه الخ) أى وهو منزه الخ وقوله عن شريك أى عن كل شريك لأنه نـكرة في سياق النفى معنى فإن المعنى لايوجد له شريك والنكرة في سياق النفى ولومعنى تعم وقوله في محاسنه أى صورة ومعنى وقد تنازعه كل من منزه وشريك والمحاسن جمع محسن على القياس وقيل جمع حسن على غير قياس . واعترض على المصنف بأن النبيين مشاركون له صلى الله عليه وسلم في المحاسن كالنبوة والرسالة فكيف يقول منزه عن شريك في محاسنه . وأجيب بأن ماعندهم من المحاسن مثل النقطة أوالشكلة كما يدل عليه ماذكره سابقا في العلم والحكم وحينئذ فلا مشاركة وقوله فجوهر الحسن الخ مفرع على قوله منزه عن شريك الخ والمراد من جوهر الحسن ذاته وحقيقته وقوله فيه أى الكائن فيه وقوله غير منقسم أى بينه و بين غيره لاختصاصه به بخلاف يوسف فإنه أعطى شطر الحسن وإنما لم يفتتن به صلى الله عليه وسلم كما افتتن بيوسف عليه السلام لأن جماله صلى الله عليه وسلم ستر بجلاله فلم يمكن أحدا أن يتأمل فيه حق يفتتن به (قوله دع ماادعته النصارى الخ) هذا البيت احتراس عما يوهمه قوله منزه عن شريك في محاسنه من شموله لصفات الإله فدفع ذلك بهذا البيت وفيه إشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم لاتطرونى كما أطرت النصارى المسيح ولكن قولوا عبد الله ورسوله والمراد بما ادعته النصارى في نبيهم قولهم بأنه إله لأنهم يقولون بأن الله إله وعيسى إله ومريم إله وبعض فرقهم يقول بأنه ابن الله كما قال تعالى وقالت النصارى المسيح ابن الله والنصارى هم قوم عيسى وسموا بذلك لأنهم نصروه والإضافة في نبيهم للرد عليهم في دعواهم الألوهية له مع أنهم يسلمون أنه نبيهم والنبى ليس إلها فلاتنافق الإضافة أن سيدنا محمدا نبيهم أيضا خلافا لما قد يتوهم من ظاهر الإضافة من أنه صلى الله عليه وسلم ليس نبيا لهم وقوله واحكم بما شئت مدحا فيه أى احكم بماشئت مما يدل على شرفه وعلو شأنه وعظم جاهه من جهة المدح فيه صلى الله عليه وسلم ذاتا وصفات أخذا من قوله وانسب الخ وقوله واحتكم أى راع الحكمة في مدحك له صلى الله عليه وسلم بأن تأتى بالمدح اللائق بجنابه الشريف وقدره المنيف دون غير اللائق بذلك الجناب فليس قوله واحتكم حشوا كما قيل لأنه أفاد أنه وإن جاز لك مدحه صلى الله عليه وسلم بماشئت غير ماادعته النصارى في نبيهم يتعين عليك مراعاة الحكمة في مدحه عليه الصلاة والسلام ومن هذا يعلم أن مايقع من التغزل بأبيات مشتملة على صفات الأحداث لايجوز حمله على النبى صلى الله عليه وسلم لأن ذلك إساءة أدب لكونه لايليق بالجناب الشريف ولذلك لم يقع مثل هذا من أحد من مداحه صلى الله عليه وسلم كحسان والمصنف وابن رواحة

ثمّ أى كل بتثليث الميم ومعناه حالة باطنه وصورته حالة ظاهره واصطفاه اختاره والبارئ الخالق والنسم جمع نسمة بفتحتين وهى الإنسان والتنزه البعد والمحاسن جمع محسن بمعنى الحسن والبهاء وجوهر الشىء أصله والانقسام الافتراق .

[الاعراب] فهو مبتدأ الذى خبره وسوغ ذلك صلته تمّ بفتح التاء المثناة فوق فعل ماض معناه فاعله والجملة صلة الذى وصورته بالرفع معطوف على معناه وبالنصب على المفعول معه ثم بضم المثلثة حرف عطف اصطفاه معطوف على تمّ معناه حبيبا حال من الهاء بارئ فاعل اصطفاه النسم مضاف إليه منزه خبرثان لهو عن شريك متعلق بمنزه فى محاسنه متعلق بشريك فجوهر مبتدأ الحسن مضاف إليه فيه متعلق بمحذوف خبر المبتدا غير بالرفع خبر بعد خبر وبالنصب على الحال من ضمير الاستقرار المنتقل الى الجار والمجرور وقبله منقسم مضاف إليه .

[ومعنى البيتين] هو الذى كل باطنه فى الكمالات وظاهره فى الصفات ثم اختاره خالق الإنسان حبيبا ليس له فى محاسنه شريك من البشر وجوهر حسنه لايقبل القسمة بينه و بين غيره كما أن الجوهر الفرد الذى يتوهم فى الجسم ويقول المتكلمون إن الجسم مركب منه غير منقسم بوجه من الوجوه لابالفرض ولابالوهم ومن كان موصوفا بكمال الصفات باطنا وظاهرا كان محبوبا .

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِى نَبِيِّهِمُ ۝ وَاحْكُمْ بِمَاشِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكِمِ

وَأُنْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ ۝ وَانْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَاشِئْتَ مِنْ عِظَمِ

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ ۝ حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

دع أي اترك والنصارى جمع نصران كسكارى جمع سكران وقيل نصران اسم قرية والنسب اليها نصرانى وقيل نصرانى منسوب الى ناصرة قرية المسيح وقيل الياء فى نصرانى للمبالغة سموا نصارى لأنهم نصروا المسيح واحكم أى اقض والمدح الثناء الحسن والاحتكام الاختصام وانسب اعز والشرف الرفعة والذات الحقيقة وقدر الشىء ومقداره مبلغه والعظم التعظيم والحد الغاية فيعرب أى يبين .

[الإعراب] دع فعل أمر وفاعل ما موصول اسمى فى محل نصب على المفعولية لدع ادعته فعل ومفعول النصارى فاعل والجملة صلة ما والعائد ضمير المفعول فى نبيهم متعلق بادّعته واحكم فعل أمر وفاعل بما متعلق باحكم وما موصول اسمى شئت بفتح التاء فعل وفاعل صلة ما وعائدها محذوف أى شئته مدحا منصوب بنزع الخافض أى من مدح على وزان مايأتى بعده فيه متعلق بمدحا واحتكم وانسب بضم المهملة فعلا أمر معطوفان على دع ذاته بالدال المعجمة متعلق بانسب ماسم موصول فى موضع نصب على المفعولية بانسب شئت بفتح التاء فعل وفاعل صلة ما والعائد محذوف تقديره شئته من شرف بيان لما متعلق بانسب وانسب إلى قدره ماشئت من عظم بكسر العين وفتح الظاء المعجمة المشالة واعرابه على وزان اعراب صدره حرفا بحرف فإن حرف توكيد ونصب فضل اسمها رسول مضاف إليه ومضاف أيضا الله مضاف إليه ليس فعل ماض ناقص له خبره مقدم حد بفتح الحاء المهملة اسمه مؤخر والجملة الفعلية خبر إن فيعرب فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية فى جواب النفى عنه متعلق بيعرب ناطق فاعل يعرب بفم متعلق بناطق على تقدير مضاف أى بلسان فم [ومعنى الأبيات الثلاثة] اترك ماقالته النصارى فى نبيهم عيسى ابن مريم عليهما السلام إنه ابن الله كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم فإن نبينا صلى الله عليه وسلم نهى عن مثل ذلك حيث قال لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى أى لاتصفونى بذلك واحكم بعد ذلك له صلى الله عليه وسلم بماشئت من أوصاف الكمال اللائقة بجلال قدره وخاصم فى إثبات فضائله من شئت من الخصماء واعزالى ذاته الشريفة ماشئت من شرف والى علو قدره العظيم ما أردت من التعظيم والرفعة فقد وجدت للقول بابا واسعا فان فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له غاية يوقف عندهافيبينها ناطق بلسان فم فأوصافه لاتحصى وفضائله لاتستقصى .

(قوله وانسب الى ذاته الخ) هذا البيت تفصيل لما أجمله فى قوله واحكم بما شئت مدحا الخ و يؤيد ذلك مافى بعض النسخ من التعبير بالفاء بدل الواو وبعض الشارحين حمل قوله واحكم بما شئت الخ على أن المراد أنك تحكم بصحة ماشئت مما سمعته من جهة المدح الكائن من غيرك وحمل قوله وانسب الى ذاته الخ على أن المراد أنك تباشر المدح وتنشئه والأول أقرب كما لايخفى وقوله ماشئت من شرف أى الذى شئته من صفات الشرف كتناسب الأعضاء من البياض المشرب بحمرة ونظافة الجسم وطيب العرق وفصاحة اللسان وبلاغة القول ووفور العقل وذكاء اللب وغير ذلك وقوله وانسب الى قدره ماشئت من عظم أى وانسب الى كماله الذى شئته من صفات العظم كالكرم والعفو والصفح والحلم والعلم وأمثال ذلك ومن فى الموضعين لبيان الجنس وخص الذات بالشرف لمناسبته لها فى العلو وخص القدر بالعظم لمناسبته له فى عدم النهاية (قوله فإن فضل رسول الله الخ) هذا البيت تعليل للبيت قبله فكأنه قال لأن فضل رسول الله الخ وقوله ليس له حد أى ليس له غاية ومنتهى لأنه صلى الله عليه وسلم لم يزل يترقى فى الكمال كل لحظة قال سيدى على وفى ويشير لهذا قوله تعالى وللآخرة خير لك من الأولى لأن معناه الاشارى وللحظة المتأخرة خير لك من اللحظة المتقدمة لأنه صلى الله عليه وسلم يترقى فى المتأخرة الى كمالات زائدة عما ترقى إليه فى المتقدمة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبى فأستغفر الله أى انه لتراكم الأنوار على قلبى فأستغفر الله مما قبل ذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لأبى الحسن الشاذلى لما رآه فى النوم وسأله عن معنى هذا الحديث إنه غين أنوار لاغين أغيار يامبارك وقوله فيعرب عنه ناطق بفم أى فيفصح عن فضله صلى الله عليه وسلم متكلم بلسان فمعنى يعرب يفصح وهو بالنصب فى جواب النفى والضمير راجع لفضل رسول الله ومعنى ناطق متكلم والمراد من الفم اللسان وعبر عنه بالفم لأنه محله فهو مجاز مرسل من باب اطلاق اسم المحل على الحال فيه وقوله بفم بعد ناطق للتأكيد على حد قولك سمعت بأذنى ونظرت بعينى أوللاشارة الى التعميم

التعميم فى الناطق فيشمل العرب والعجمى كما قيـل به فى قوله تعالى ومامن دابة فى الأرض ولاطائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم فان كلا من قوله فى الأرض بعد دابة وقوله يطير بجناحيه بعد طائر للتعميم فيهما (قوله لو ناسبت الخ) كأن المصنف ادعى أن آياته لم تناسب قدره فى العظم وذكر هذا البيت استدلالا على ذلك فإنه أشار إلى قياس استثنائى نظمه هكذا : لو ناسبت آياته قدره فى العظم لـكان من جمـلة آياته أن يحيى اسمه دارس الرمم حين يدعى به لـكن لم يكن من آياته أن يحيى اسمه دارس الرمم حين يدعى به فلم تناسب آياته قدره فى العظم وهو المطلوب لأن الواقع أن قدره صـلى الله عليـه وسلم أعظم من آياته حتى من القرآن المتلو بخلاف القرآن غـير المتلو وهو المعنى القائم بذاته تعالى فإنه أعظم منه لأن القديم أفضـل من الحادث وما شاع على الألسنة من أن كل حرف من القرآن أفضـل من محمد وآل محمد فـكلام باطل ولايصح حمله على القرآن القـديم لأنه ليس بحرف ولاصوت خلافا لمن زعم ذلك وقد ذكـر المصنف الشرطية وحذف الاستثنائيـة والنتيجة ووجه الملازمة فى الشرطية أن الإحياء المذكور أعظم آية وبه تـكون الآيات مناسبـة لقدره صـلى الله عليـه وسلم أى يكون مجموعها بواسطة كون الإحياء المذكور منه مناسبا لقدره الشريف لا كل فرد منها لأنه لايلزم من جعل الإحياء المذكور منها أن يكون كل فرد منها مناسبا لقدره صلى الله عليه وسلم. لايقال كيف لم يجعل الإحياء من آياته صـلى الله عليه وسلم مع جعله من آيات عيسى عليه السلام . لأنا نقول الـكلام فى إحياء اسمه دارس الرمم حين يدعى به وهـذا كما لم يجعل من آياته صلى الله عليه وسلم لم يجعل من آيات عيسى عليـه السلام وإنما الذى جعل من آيات عيسى إحياؤه الموتى بإذن الله ولايخفى أن قدره مفعول مقدم وآياته فاعل مؤخر والمراد من قدره كمال قربه من الله تعالى والمراد بآياته أعلام نبوته كالمعجزات وقوله عظما منصوب على نزع الخافض كما أشرنا إليه ويصح أن يكون تمييزا بل هو الأولى لأن النصب على نزع الخافض سماعى لـكن كثر فى كلام المؤلفين حتى جرى مجرى القياسى وقوله أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم أى أحيا الله بسبب اسمه دارس الرمم حين يدعى به كأن يقال يا ألله بمحمد أحى هـذا الميت فاسناد الإحياء الى اسمه مجاز عقلى وصلة يدعى محـذوفة أى به والظرف متعلق بقوله أحيا ودارس الرمم مفعول أحيا فهو منصوب وجوز بعضهم أن يكون مرفوعا على أنه نائب فاعل يدعى ودعاؤه باسمه كأن يقال يا ميت احى باسم محمد صـلى الله عليه وسـلم ودارس بمعنى مدروس وإضافته لما بعده من إضافة الصفة للموصوف أى الرمم المدروسة والرمم جمع رمة وهى الشىء البالى والمدروسة التى زيد فى بلائها [وخاصية هذه الأبيات] التى أولها محمد سيد الـكونين الى آخر هذا البيت شدة قلب المغازى فى سبيل الله فإنه يكتبها ويمحوها بالماء الموجود فى شهر برمودة ويشربها فإنه بعد ذلك لايخاف من الحرب ولايزول وكذلك من كتبها بماء ورد وزعفران وشربها فان الله يثبته عنـد سؤال منكر ونـكير

لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَماً
أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ

ناسبت أى ماثلت قدره أى مبلغه من الرفعة وآياته علاماته الدالة على عظم قدره واسمه أى تسميته ويدعى ينادى والدارس الذاهب والرمم جمع رمة بكسر الراء العظم البالى .

[الاعراب] لوحرف شرط لامتناع الثانى لامتناع الأول ناسبت فعل ماض وتاء تأنيث قدره بالنصب مفعول مقدم آياته بالرفع فاعل مؤخر عظما بكسر العـين المهملة وفتح الظاء المشالة تمييز أحيا فعـل ماض جواب لو اسمه فاعل أحيا حين ظرف زمان منصوب بأحيا يدعى فعـل مضارع مبنى للمفعول ونائب الفاعل مستتر فيه عائد على اسمه والأصل يدعى به فحذفت الباء واتصل الضمير بالفعل واستترفيه دارس مفعول أحيا الرمم بكسرالراء وفتح الميم مضاف إليه والأصـل أحيا اسمه دارس الرمم حين يدعى به .

[ومعنى البيت] لوكانت علاماته الدالة على رفعته مماثلة لعظيم قدره كان منها إحياء الموتى إذا دعا الله تعالى أحد باسمه أن يحى الموتى بأن يقال ياألله بمحمد صلى الله عليـه وسلم أحى هـذا الميت فيحيا ولم يقع ذلك إذ لو وقع لنقل إلينا ولم ينقل فلم يكن إحياء الموتى بالتوسل باسمه من آياته فليست آياته مماثلة لقدره فى تعداد التعظيم بل قدره أكثر من آياته

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا الْعُقُولُ بِهِ   حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ

يمتحنا أى يختبرنا ويبتلينا بما تعيا أى بما لم تهتد العقول لوجهه حرصا أى شدة طلب ونرتب نشك ونهم من هام الرجل فى أمره إذا لم يدر له مخرجا [الاعراب] لم حرف نفى وجزم يمتحنا بالحاء المهملة فعل وفاعل مستتر ومفعول به بما متعلق بيمتحنا وما موصول اسمى تعيا بسكون العين المهملة وفتح المثناة التحتية فعل مضارع العقول فاعل تعيا به متعلق بتعيا والجملة صلة ما وعائدها الهاء المجرورة بالباء حرصا مفعول لأجله علينا متعلق بحرصا فلم حرف جزم نرتب بفتح النون وسكون الراء وفتح المثناة الفوقية وبالموحدة فعل مضارع مجزوم بلم ولم نهم بفتح النون وكسر الهاء جازم ومجزوم معطوف على ماقبله والأصل نرتاب ونهيم حذفت الألف والياء لالتقاء الساكنين وكسر حرف الروى للقافية .

[ومعنى البيت] لم يبتلنا بخطاب لاتهتدى عقولنا الى المراد منه حرصا علينا أن لانضل فلا نشك فيما أتانا به ولانهيم فيه .

أَعْيَا الْوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى   لِلْقُرْبِ وَالْبُعْدِ مِنْهُ غَيْرُ مُنْفَحِمِ

كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ   صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ

أعياه الأمر إذا أعجزه والورى الخلق والفهم المعرفة ومعناه حاله ويرى يبصر ومنفحم من انفحم الرجل إذا سكت عن المجادلة ولم يجب والبعد ضد القرب وتكل الطرف أى توقف البصر عند رؤيتها والأمم القرب .

[الاعراب] أعيا بسكون العين المهملة فعل ماض الورى بفتح الواو والراء مفعول به فهم بسكون الهاء فاعل أعيا معناه مضاف إليه فليس فعل ماض ناقص واسمه أى ضمير الشأن مستتر فيه يرى بالبناء للمفعول خبره للقرب متعلق بيرى واللام بمعنى فى أو بمعنى مع والبعد معطوف على القرب فيه متعلق بيرى والهاء لمعناه غير بالرفع نائب فاعل يرى منفحم بكسر الحاء المهملة مضاف إليه كالشمس يحتمل أن يكون فى موضع نصب على الحال من فاعل أعيا ولأن يكون نعتا لمصدر محذوف أى إعياء كاعياء الشمس أوخبر لمبتدإ محذوف أى هو كالشمس تظهر

(قوله لم يمتحنا الخ) أى لم يختبرنا بشىء تعجز عنه عقولنا ولا تهتدى لوجهه لشدة رغبته فى هدايتنا بل أتى بالحنيفية الواضحة فلم نتردد فيما أتانا به ولم نتحير فيه فالامتحان الاختبار وما واقعة على شىء والعىّ بالأمر العجز عنه وعدم الاهتداء لوجهه والعقول جمع عقل وهو قوّة يميز بها بين المصالح والمفاسد والحرص على الشىء شدة الرغبة فيه والارتياب الشك والهيام التحير ولايخفى أن قوله حرصا علينا على تقدير مضاف أى حرصا على هدايتنا وهو مفعول لأجله وقد كان صلى الله عليه وسلم يضرب الأمثال بالمحسوسات ليتضح مايخفى ادراكه على بعض العقول ، فان قيل كيف يصح قول المصنف لم يمتحنا بما تعيا العقول به مع أن فى القرآن المتشابه الذى لا يعلم تأويله الا الله . أجيب بأن المراد لم يمتحنا فيما كلفنا به بما تعيا العقول به وحينئذ فلا يرد المتشابه لأنه لايتعلق به تكليف لا يكلف الله نفسا الا وسعها على أن التحقيق أن الوقف على قوله تعالى والراسخون فى العلم فهم يعلمون تأويله ويعلمونه لغيرهم (قوله أعيا الورى الخ) لما أخبر المصنف فيما تقدم بعجز اللسان عن التعبير بفضائله صلى الله عليه وسلم بقوله فان فضل رسول الله ليس له حد الخ أخبرهنا بعجز العقول عن إدراك كمالاته بقوله أعيا الورى الخ والاعياء الاعجاز والورى الخلق وقوله فهم معناه أى إدراك حقيقته صلى الله عليه وسلم مع ماخصه الله به من المعارف الإلهية والأسرار الربانية واسناد الإعياء الى الفهم مجاز عقلى لأن الذى أعياهم إنما هو الله تعالى وقوله فليس يرى الخ تفريع على قوله أعيا الورى الخ وفى ليس ضمير الشأن وهو مفسر بما بعده كما هو القاعدة ويرى بالبناء للمفعول وهى بصرية وفى القرب والبعد متعلق بيرى وفيه متعلق بمنفحم وفى بمعنى عن والضمير المتصل بها راجع لفهم معناه وقوله غير منفحم نائب فاعل يرى والمنفحم العاجز . وحاصل المعنى أنه أعجز الخلق فهم حقيقته فليس يبصر شخص غير عاجز عنه فى القرب والبعد منه صلى الله عليه وسلم والتبادر أن المراد القرب والبعد بحسب المكان أى فليس يرى فى المكان القريب والمكان البعيد منه صلى الله عليه وسلم غير عاجز عن ادراكه ويحتمل أن المراد القرب والبعد بحسب الزمان أى فليس يرى فى الزمان القريب والزمان البعيد منه صلى الله عليه وسلم غير عاجز عن ادراكه ويحتمل أيضا أن المراد القرب والبعد فى المعنى فأهل الباطن الناظرون له صلى الله عليه وسلم فى عالم الشهود تضعف بصائرهم عن ادراكه صلى الله عليه وسلم لقوة إشراقه عليه الصلاة والسلام مع قربهم منه صلى الله عليه وسلم وأهل الظاهر والناظرون له صلى الله عليه وسلم فى عالم الحس لايدركون الا شخصا مصورا وجسما مقدرا لبعدهم منه صلى الله عليه وسلم (قوله كالشمس الخ)

بالتاء الفوقية فعل وفاعل للعينين متعلق بتظهر من بعد بضم العين على لغة لاتبعا لضم الباء متعلق بتظهر أيضا صغيرة بالنصب حال من فاعل تظهر المستتر فيه العائد الى الشمس وتكل بضم التاء المثناة الفوقية وكسر الكاف فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يعود الى الشمس الطرف بالطاء المهملة مفعول به من أمم بفتح الهمزة والميم الأولى متعلق بتكل. [ومعنى البيتين] أعجز الخلق معنى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصل أحد منهم إليه ولا يبصره أحد في حالق القرب والبعد إلا انفحم وبالعجز اتسم فهو كالشمس تظهر في العين صغيرة قدر المرآة أوالترس وتوقف البصر عند رؤيتها من قرب لوفرض ذلك لأنها كبيرة جدا ولكبرها تكاد تخطف البصر وتعميه فلا تدرك بكمالها وإن شوهدت من بعد فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم لايدرك معناه وان شوهدت صورته

وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ ... قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلُمِ

كيف استفهام معناه الإنكار والإدراك حصول صورة الشيء في العقل والدنيا ضد الآخرة والحقيقة الماهية وتسلوا قنعوا والحلم مايراه الإنسان في المنام. [الاعراب] وكيف متعلقة بيدرك يدرك بضم الياء التحتية وكسر الراء فعل مضارع في الدنيا متعلق بيدرك حقيقته بالنصب مفعول يدرك والضمير المضاف إليه لمعناه قوم فاعل يدرك نيام نعت قوم تسلوا بفتح التاء الفوقية والسين واللام المشددة فعل ماض وفاعل عنه بالحلم بضم الحاء واللام متعلقان بتسلوا.

[ومعنى البيت] كيف يدرك حقيقة معناه صلى الله عليه وسلم قوم قنعوا برؤيته في النام ان حصلت لهم في الدنيا.

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ ... وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ

مبلغ العلم غايته والبشر الإنس يقع على الواحد والجمع والخلق المخلوق. [الاعراب] فمبلغ مبتدأ العلم مضاف إليه فيه متعلق بمبلغ أنه أن المفتوحة واسمها بشر بفتحتين خبرها وأن ومعمولاها في تأويل مصدر خبر المبتدا وأنه خير بفتح أن جملة معطوفة على خبر المبتدا خلق مضاف إليه ومضاف أيضا الله مضاف إليه كلهم توكيد يفيد الاحاطة والشمول. [ومعنى البيت] وغاية مايصل إليه علم الخلق فيه صلى الله عليه وسلم أنه بشر وأنه خير خلق الله تعالى أجمعين.

أي هو كالشمس الخ فهو خبر لمبتدا محذوف والمقصود تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالشمس في أنه لايحاط بكنهه وحقيقته في حالق القرب والبعد كما وضح ذلك المصنف بقوله تظهر للعينين الخ لأنه قصد بذلك بيان وجه الشبه وقوله من بعد أي في حالة البعد فمن بمعنى في وبعد بضمتين كما هو لغة في بعد بضم الباء وسكون العين وقوله صغيرة أي حال كونها صغيرة بقدر المرآة مثلا فهو حال من فاعل تظهر وقوله وتكل الطرف بضم التاء وكسر الكاف من تكل وسكون الراء من الطرف أي وتعي البصر وتضعفه لقوة شعاع نورها وهذا هو الأقرب وقيل لعظم جرمها فإنه قيل إنها قدر كرة الأرض مائة مرة ونيفا وستين مرة فلا يمكن الطرف أن يحيط بها وقوله من أمم أي في حالة القرب فمن بمعنى في والأمم بفتح الهمزة القرب والمراد القرب منها فرضا فهو فرضي فقط وأما بعدها فهو واقع مطلقا وقيل إن البعد يكون في حال طلوعها وغروبها والقرب يكون في غير ذلك والأول أقرب ولذلك اقتصر عليه بعض الشارحين (قوله وكيف يدرك الخ) هذا البيت في قوة التعليل لقوله أعيا الورى فهم معناه الخ وكيف للاستفهام الإنكاري وهو بمعنى النفي أي لايدرك الخ واحترز بقوله في الدنيا عن الآخرة فانهم يدركون فيها حقيقته صلى الله عليه وسلم لأنه يحصل لهم إذ ذاك الانتباه ويكمل نور أبصارهم وبصائرهم فيدركون الحقائق والدقائق والأسرار فيظهر لهم حينئذ قدره صلى الله عليه وسلم ومنزلته ولذلك قدروا حينئذ على رؤية الحق سبحانه وتعالى فعدم رؤيتهم له تعالى في الدنيا الضعف قواهم وكونها عرضة للفناء فإذا رزقوا قوى قوية مثبتة رأوا الباقي بالباقي والمراد بحقيقته صلى الله عليه وسلم قدره ومنزلته وقوله قوم نيام أي قوم غافلون عن النظر في حقيقته وهذا وصف لازم لامخصص كما يؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا والمراد بالقوم جميع الورى وقوله تسلوا عنه بالحلم بضم اللام كما هو لغة في الحلم بسكونها أي اكتفوا عن النظر في حقيقته تفصيلا بما يشبه الحلم مما أدركوه بالخبر جملة كذا يؤخذ من كلام بعض الشارحين ويحتمل أنه على ظاهره من أنهم اكتفوا عن النظر في حقيقته بما يرونه في منامهم إن صحت لهم رؤيته في النوم وقد اقتصر على هذا بعض الشارحين والأصح أن رؤيته صلى الله عليه وسلم في النوم حق وإن رؤى على غير هيئته التي كان عليها في الدنيا لحديث من رآني فقد رآني حقا وقيل لاتكون حقا الا إن رؤى على هيئته الشريفة (قوله فمبلغ العلم فيه الخ) هذا البيت مفرع على

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الْكِرَامُ بِهَا
فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ
فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا
يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

آى جمع آية بمعنى علامة وأتى أى جاء والرسل جمع رسول وهو إنسان أوحى إليه بالعمل والتبليغ والكرام جمع كريم والاتصال ضد الانقطاع والنور ضد الظلام .

[الاعراب] وكل مبتدأ آى بعد الهمزة مضاف إليه أتى فعل ماض الرسل فاعل الكرام نعت الرسل بها متعلق بأتى فإنما حرف حصر اتصلت فعل ماض وفاعله ضمير مستترفيه يعود على آى من نوره بهم متعلقان باتصلت فانه شمس إن واسمها وخبرها فضل مضاف إليه هم كواكبها مبتدأ وخبر والضمير المضاف إليه للشمس يظهرن بضم الياء التحتية وكسر الهاء فعل مضارع وفاعل والنون ضمير الكواكب أنوارها مفعول يظهرن والضمير المضاف إليه للشمس للناس فى الظلم متعلقان بيظهرن.

[ومعنى البيتين] أن جميع الآيات التى جاءت بها المرسلون إنما اتصلت بهم من نور النبى صلى الله عليه وسلم لأن خلق نوره سابق عليهم وهو صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى الفضل والشرف كالشمس والمرسلون كالكواكب ونور الكواكب مستفاد من نور الشمس فان الكواكب تظهر أنوار الشمس للناس فى الظلام فإذا ظهرت الشمس لايبق للكواكب نور يرى بل تستتر عن العيون .

قوله أعيا الورى فهم معناه الخ فيترتب على ذلك أن مايبلغه علم الناس فى حقه صلى الله عليه وسلم أنه بشر لا إله ولاملك وأنه خير مخلوقات الله كلهم إنسا وجنا وملكا وغيرهم وقوله فيه أى فى حقه من حيث الذات ومن حيث الصفات وقوله أنه بشر راجع للذات وقوله وأنه خير خلق الله كلهم راجع للصفات فعلم من ذلك القصور عن إدراك الكنه فى الجانبين والبشر اسم لبنى آدم سموا بذلك لبدوّ بشرتهم وهى ظاهر الجلد وخير أصله أخير حذفت منه الهمزة لكثرة الاستعمال ثم نقلت حركة الياء للخاء فصار خير فهو أفعل تفضيل ولذلك لايثنى ولايجمع وأما قوله تعالى ـ وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ـ فالمجموع فيه خير مخفف خير بالتشديد والخلق بمعنى المخلوقات على سبيل المجاز المرسل بحسب الأصل لكن صار حقيقة عرفية (قوله وكل آى أتى الرسل الخ) أى وكل المعجزات التى أتى بها الرسل الكرام لأنهم فلم تتصل بهم الا من معجزاته صلى الله عليه وسلم أومن نوره الذى هو أصل الأشياء كلها فالسموات والأرض من نوره والجنة والنار من نوره ومعجزات الأنبياء من نوره وهكذا فالآى بمعنى المعجزات جمع آية بمعنى المعجزة والرسل بسكون السين ويقال فى غير النظم رسل بضمها جمع رسول والكرام جمع كريم وقوله بها متعلق بأتى والضمير راجع للآى وإنما للحصر والمراد بنوره معجزاته وسميت نورا لأنه يهتدى بها ويصح حمله على النور المحمدى الذى هو أصل المخلوقات كلها كما حمله عليه بعض الشارحين ومن للابتداء والباء للالصاق . لايقال كيف تكون المعجزات التى أتى بها الرسل الكرام لأنهم من نوره صلى الله عليه وسلم مع أنهم متقدمون عليه فى الوجود. لأنا نقول هو صلى الله عليه وسلم متقدم على جميع الأنبياء من حيث النور المحمدى (قوله فانه شمس فضل الخ) هذا البيت تعليل للبيت قبله والمعنى على التشبيه أى فانه كالشمس فى الفضل وقوله هم كواكبها أى الرسل كواكب الشمس والمعنى على التشبيه أيضا أى مثل كواكبها ووجه التشبيه فيهما أن الشمس جرم مضىء بذاته والكواكب أجرام غير مضيئة بذاتها لكنها صقيلة تقبل الضوء فإذا كانت الشمس تحت الأرض فاض نورها من جوانبها فيطلب الصعود لأن النور يطلب مركز العلو فيصادف أجرام الكواكب الصقيلة المقابلة له فيرتسم فيها فتضىء فى الظلمات وتظهر أنوار الشمس فيها للناس من غير أن ينقص من نور الشمس شىء فنوره صلى الله عليه وسلم لذاته ونور سائر الأنبياء ممتد من نوره من غير أن ينقص من نوره شىء فيظهرون ذلك النور فى الكفر الشبيه بالظلم فلذلك قال المصنف يظهرن أنوارها للناس فى الظلم وكما أن الشمس إذا بدت لم يبق أثر للكواكب فكذلك شريعته صلى الله عليه وسلم لما بدت نسخت غيرها من سائر الشرائع كما يشير لذلك قوله فى بعض النسخ :

حتى إذا طلعت فى الأفق عم هدا ... ها العالمين وأحيت سائر الأمم

وظاهر هذا البيت أنه صلى الله عليه وسلم مرسل للأمم السابقة لكن بواسطة الرسل فهم نواب عنه صلى الله عليه وسلم وبهذا قال الشيخ السبكى ومن تبعه أخذا من قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق

لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والذى عليه الجمهور أنه صلى الله عليه وسلم مرسل لهذه الأمة دون الأمم السابقة فالمسئلة خلافية والحق الأول (قوله أكرم بخلق نبى الخ) أى ما أكرم خلق نبى الخ فأكرم فعل تعجب لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر وفاعله ظاهر وهو الخلق بفتح الخاء وسكون اللام لكن دخلت عليه الباء الزائدة لتحسين اللفظ وقوله زانه خلق أى حسنه خلق بضم الخاء واللام بمعنى زاده حسنا قال الله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم وقال أنس كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وقوله بالحسن مشتمل بالبشر متسم أى متصف بالحسن فاشتماله به من اشتمال الموصوف بالصفة متصف بالبشر وهو بكسر الباء وسكون الشين المعجمة بشاشة الوجه وطلاقته والاتسام والاتصاف ولايخفى أن قوله بالحسن متعلق بمشتمل وهو بالجر على أنه صفة لنبى فهو من باب الوصف بالمفرد بعد الوصف بالجملة وكذا يقال فى قوله بالبشر متسم وحاصل المعنى ماأحسن صورة نبى حسنه خلق متصف بالحسن متصف بالبشاشة وطلاقة الوجه (قوله كالزهر فى ترف الخ) صفة رابعة لنبى وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالزهر فى الترف وبالبدر فى الشرف راجع الى صورته الشريفة وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالبحر فى الكرم وبالدهر فى الهمم راجع الى خلقه الكريم والزهر نور النبات بفتح النون والترف بفتح التاء المثناة الفوقية والراء المهملة النعومة قال أنس مامسست حريرا ولاديباجا ألين من كف النبى صلى الله عليه وسلم والبدر هو القمر ليلة كماله وهى ليلة أربعة عشر وإنما سمى فى تلك الليلة بدرا لأنه يبدر الشمس بالطلوع والشرف بفتح الشين المعجمة والراء المهملة العلو وشرف البدر على سائر الكواكب الليلية وشرف النبى صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق وكرم البحر مذكور فى قوله تعالى وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وكرم النبى صلى الله عليه وسلم مذكور فى الأحاديث الكثيرة منها حديث أنس قال ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام أى لأجل الإسلام شيئا إلا أعطاه إياه قال فسأله رجل غنما بين جبلين فأعطاه إياها فأتى قومه فقال ياقوم أسلموا فوالله إن محمدا يعطى عطاء من لايخاف الفقر والدهر الزمن والهمم جمع همة وهى العزم على الشىء والارادة له ونسبة الهمم الى الدهر على عادة العرب فانهم يجعلون للدهر عزمات وإرادات ويشبهون الممدوح به فى تلك العزمات والارادات وسبب ذلك أن الحادثات الدقيقة إنما تقع فى الدهر فينسبونها إليه على سبيل المجاز العقلى كقولهم نهاره صائم وليله قائم ولقد غلا أى تجاوز الحد من قال :

له همم لامنتهى لكبارها ... وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لوأن معشار عشرها ... على البر كان البر أندى من البحر

ووجه الغلو أى مجاوزة الحد أنه أثبت لممدوحه هما صغرى وكبرى وجعل همته الكبرى لامنتهى لها وجعل همته الصغرى أجل من الدهر أى من هم الدهر والمصنف جعل همم النبى مثل همم الدهر فيلزم من ذلك أن همم الممدوح أجل من هممه صلى الله عليه وسلم وهو باطل وبعضهم نسب هذين البيتين لحسان يمدح بهما النبى صلى الله عليه وسلم

أَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ ... بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمِ
كَالزَّهْرِ فِى تَرَفٍ وَالْبَدْرِ فِى شَرَفٍ ... وَالْبَحْرِ فِى كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِى هِمَمِ

كَأَنَّهُ وَهْوَ فَرْدٌ فِى جَلَالَتِهِ فِى عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِى حَشَمِ

أكرم فعل تعجب والخلق الايجاد وزانه أى زاده حسنا والخلق بضمتين السجية والحسن البهاء ومشتمل أى مرتد والبشر بكسر الموحدة طلاقة الوجه ومتسم أى متصف والزهر النور بفتح النون وسكون الواو والترف اللطافة والنضارة والبدر القمر عند تمامه والشرف الرفعة وعلو المنزلة والبحر الواسع العطاء والكرم الجود والدهر الزمان والهمم جمع همة والعسكر الجيش الكثير والحشم الخدم

[الاعراب] أكرم بكسر الراء فعل تعجب لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر بخلق الباء زائدة لاتتعلق بشىء وخلق بفتح الخاء وسكون اللام فاعله نبى مضاف إليه زانه بالزاى فعل ماض ومفعول خلق بضمتين فاعل زانه والجملة نعت أول لنبى بالحسن متعلق بمشتمل مشتمل بالجر نعت ثان لنبى بالبشر بكسر الموحدة وسكون المعجمة متعلق بمتسم متسم بضم الميم وفتح المثناة الفوقية المشددة وكسر السين المهملة نعت ثالث لنبى كالزهر نعت رابع لنبى فى ترف بفتح المثناة الفوقيـة والراء المهملة وبالفاء متعلق بالكاف لما فيها من معنى التشبيه والبدر فى شرف والبحر فى كرم والدهر فى همم معطوفات بالجر على ما قبلها كأنه كأن واسمها وهو فرد مبتدأ وخبر والجملة حال من مفعول تلقاه لامن اسم كأن من جلالته مفعول من أجله فى عسكر خبر كأن حين منصوب بكأن لما فيه من معنى التشبيه تلقاه فعل وفاعل ومفعول وفى حشم بفتح الحاء المهملة والمعجمة معطوف على فى عسكر

[ومعنى الأبيات الثلاثة] ما أكرم خلق نبى مزين بالخلق مشتمل بالحسن متسم بالبشر مثل الزهر فى اللطافة ومثل البدر فى الشرف ومثل البحر فى الكرم ومثل الدهر فى الهمم والمنطق كأنه لجلالته فى عسكر وفى حشم حين تلقاه فردا وفى البيت الثانى من البديع التشطير وهو أن يقسم البيت شطرين ثم يصرع كل شطر ويخالف بينهما فى قافية التصريع كقول الصفى : بكل منتصر للفتح منتظر وكل معتزم بالحق ملتزم

كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِى صَدَفٍ مِنْ مَعْدِنَىْ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ

وعليه فلا غلو لأنه صلى الله عليه وسلم كان كذلك وهذا أبلغ فى مدحه صلى الله عليه وسلم من كلام الناظم لكن لم يوجد ذلك فيما جمع من شعر حسان (قوله كأنه وهو فرد الخ) صفة خامسة لنبى وكأن للتشبيه والضمير اسمها وجملة وهو فرد حال من المفعول فى تلقاه قالوا وللحال ومن جلالته أى من أجل جلالته فهو تعليل للتشبيه المستفاد من كأن وحين تلقاه ظرف لما هو معنى كأن من التشبيه وقوله فى عسكر وفى حشم خبر كأن وتقدير البيت كأنه حين تلقاه وهو فرد فى عسكر وفى حشم من أجل جلالته وقصد المصنف تشبيهه صلى الله عليه وسلم وهو منفرد بنفسه إذا كان فى عسكر وفى حشم وهو صلى الله عليه وسلم إذا كان فى عسكر وفى حشم له هيبة ووقار فكذلك وهو منفرد فيكون له أيضا هيبة ووقار ومن أجل جلالته والجلالة العظمة والعسكر الجيش والحشم بفتح الحاء والشين المعجمة الخدم والخطاب فى تلقاه لكل من صلح للخطاب وحكى أن بعضهم رأى فى المنام أن الصديق رضى الله عنه يزف النبى صلى الله عليه وسلم بهذا البيت والذى بعده (قوله كأنما اللؤلؤ المكنون الخ) صفة سادسة لنبى وقد جرى المصنف فى البيت السابق وهو قوله كالزهر فى ترف الخ على ماجرت به العادة فى التشبيه وجرى فى هذا البيت على عكسه لأنه شبه اللؤلؤ المكنون فى صدفه بكلامه وثغره صلى الله عليه وسلم اللذين يبرزان من معدنى منطقه ومبتسمه والأصل أن يشبه كلامه وثغره صلى الله عليه وسلم اللذان يبرزان من معدنى منطقه ومبتسمه باللؤلؤ المكنون فى صدفه بجامع الحسن فى كل فالمصنف عكس التشبيه كما فى قول الشاعر :

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

وفى ذلك إشارة الى أن الفرع لقوة وجه الشبه فيه صار أصلا والأصل لضعف وجه الشبه فيه صار فرعا ويسمى التشبيه المقلوب وهو أبلغ فى المدح واللؤلؤ هو الدر المسمى بالجوهر والمكنون المصون وفى صدف متعلق بالمكنون والصدف المحار الذى يتولد فيه وهو وعاء له يحفظه حتى ينشق عنه كما أن القلب وعاء للكلام النفسى حتى يبرزه اللسان وكما أن الشفتين المنضمتين على الثغر كالوعاء له وإنما قيد اللؤلؤ بالمكنون فى صدف لأنه يكون فى الصدف أحسن منظرا منه خارج الصدف والإضافة فى معدنى منطق منه ومبتسم للبيان أى من معدنين هما منطق منه ومبتسم ويصح أن تكون من إضافة المشبه به للمشبه أى من منطق ومبتسم شبيهين بالمعدنين

والمنطق محل النطق وهو راجع لكلامه صلى الله عليه وسلم والمبتسم بفتح السين محل الابتسام لا بكسرها خلافا لبعض الشارحين وهو راجع لثغره صلى الله عليه وسلم ومعنى البيت كأنما اللؤلؤ المصون فى صدفه كلامه وثغره صلى الله عليه وسلم اللذان يبرزان من معدنى منطق منه ومبتسم وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الأول أى ومبتسم منه (قوله لاطيب يعدل الخ) لما مدحه صلى الله عليه وسلم بما اتصف به من المحاسن قبل مفارقته الدنيا مدحه بما اتصف به من المحاسن بعدها فقال لاطيب الخ والطيب مايتطيب به من مسك ونحوه والترب بسكون الراء لغة فى التراب والضم الجمع والأعظم جمع عظم وطوبى إما مصدر بمعنى التطيب أو اسم لشجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ولايقطعها وعلى الأول فهو بدل من اللفظ بفعله وهو طاب والأصل طاب المنتشق والملتثم فحذف الفعل وأتى بالمصدر بدلا من التلفظ به وزيدت اللام لتبيين الفاعل وعلى الثانى فهو مبتدأ خبره مابعده وعلى كل فيحتمل أنه اخبار وأنه دعاء ، وحاصل المعنى لاطيب يساوى التراب الذى جمع الجسد الشريف وهو تراب قبره صلى الله عليه وسلم تطيب أوالشجرة التى فى الجنة لمنتشق منه وملتثم على التفسيرين السابقين فى طوبى ولما كان الطيب يستعمل على وجهين تارة يستعمل بالشم وتارة يستعمل بالتضمد أشار للأول بقوله منتشق وللثانى بقوله وملتثم والمراد بالملتثم هنا المعفر موضع اللثام وهو الوجه وليس المراد المقبل أخذا له من الالتثام وهو التقبيل لأن تقبيل القبر الشريف وكذا مافيه من التراب مكروه ومعلوم أن طيب التراب المذكور إنما سرى له من طيبه صلى الله عليه وسلم الذى هو أعلى أنواع الطيب ولذلك قال أنس ماشممت عنبرا ولامسكا ولاشيئا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إن أطيبية ذلك التراب يحتمل أنها باعتبار ماعند الله تعالى ويحتمل أنها باعتبار ما عند غيره أيضا لكن لايدرك ذلك الامن كشف له الغطاء من الأولياء المقربين لأن أحوال القبر من الأمور التى لا يدركها الا من ذكر فاندفع ما يقال لوكان التراب المذكور من الطيب لزم أن يدرك طيبه كل أحد كالمسك فانه يدرك طيبه كل أحد على أنه لايلزم من قيام المعنى بمحل ادراك كل أحد له لجواز انتفاء شرط أووجود مانع وعدم الإدراك لايدل على انتفاء المدرك ألا ترى أن المزكوم لايدرك رائحة المسك مع أنها قائمة به وقد قال عليه الصلاة والسلام القبر أول منزل من منازل الآخرة فاما روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النار ولا شك أن قبره صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة بل أفضلها وقد قال أيضا عليه الصلاة والسلام مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة وكل من القبر والمنبر داخل فى حكم مابينهما أما القبر فللخبر العام الذى ذكر وأما المنبر فلقوله صلى الله عليه وسلم فى آخر الحديث ومنبرى على حوضى والحوض من الجنة وإذا تقرر كون هذا المكان من الجنة لم يبق عند العاقل المصدق بالشريعة امتراء فى أنه لا طيب يعدله

اللؤلؤ جمع لؤلؤة وهى الدرة والمكنون المصون والصدف المعدن ومعدن الشىء موضع إقامته والمنطق الكلام والابتسام أول الضحك والطيب اسم لما يتطيب به ويعدل يساوى والترب التراب وضم حوى والأعظم جمع عظم والمراد جميع بدنه من تسمية الكل باسم الجزء لأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء وطوبى مصدر كبشرى والانتشاق الشم والالتثام التقبيل .

[الاعراب] كأنما حرف تشبيه وما زائدة اللؤلؤ مبتدأ المكنون نعته فى صدف بفتحتين متعلق بالمكنون من معدنى بفتح النون خبر المبتدا منطق بكسر الطاء مضاف إليه منه نعت منطق والضمير له صلى الله عليه وسلم ومبتسم بكسر السين معطوف على منطق لانافية طيب بكسر الطاء وسكون الياء التحتية اسم لامبنى معها على الفتح يعدل بكسر الدال فعل مضارع وفاعل خبر لا تربا بضم المثناة الفوقية وسكون الراء مفعول يعدل ضم بفتح المعجمة فعل وفاعل نعت تربا أعظمه مفعول ضم طوبى بضم الطاء مبتدأ وفيه معنى الدعاء لمنتشق بكسر الشين المعجمة خبر طوبى منه متعلق بمنتشق والضمير لتربا وملتثم بكسر المثلثة معطوف على منتشق .

[ومعنى البيتين] كأن اللؤلؤ المكنون المصون فى صدفه كائن من معدن كلامه ومعدن ابتسامه وهو حاصل ما قال البحترى :

فمن لؤلؤ يبديه عند ابتسامه   ومن لؤلؤ عند الكلام يساقطه

لاشىء من أنواع الطيب يماثل طيب التراب الذى ضم جسده صلى الله عليه وسلم وهذا التراب أشرف تراب الأرض طوبى لمن شمه وقبله

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ   يَا طِيبَ مُبْتَدَإٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ

أبان أى كشف والمولد زمن الولادة والعنصر الأصل والمراد بطيب العنصر طهارته وخلوصه عن الرذائل ومبتدأ الشىء أوله ومختتمه انتهاؤه [الإعراب] أبان مولده فعل ماض وفاعل عن طيب متعلق بأبان عنصره بضم العين والصاد المهملتين مضاف إليه يا حرف نداء والمنادى محذوف طيب بكسر الطاء مفعول بفعل محذوف والتقدير ياعقلاء انظروا طيب مبتدأ مضاف إليه منه نعت مبتدأ ومختتم بفتحتين معطوف على مبتدا ونعته محذوف تقديره منه والهاء للنبى صلى الله عليه وسلم .

[ومعنى البيت] أظهر الله تعالى عند ولادته طهارة حقيقته الخاصة به بخوارق العادات الدالة على كمال العنايات فيا أولى البصائر انظروا غرائب مباديه واعتبروا وتدبروا عجائب نهاياته وتفكروا فيه وفيه من البديع نوعان الأول التكرير فى قوله عن طيب وياطيب والثانى مراعاة النظير فى قوله مبتدأ ومختتم .

يَوْمٌ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمُ   قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنِّقَمِ

اليوم قطعة من الزمان وتفرس تفطن من الفراسة وهى قوة يدرك بها الإنسان بالمخايل الظاهرة المعانى الباطنة والفرس أمة عظيمة كان مسكنهم فى شمال العراق سموا بذلك لأنهم من ولد فارس من نسل سام بن نوح والانذار الاعلام بالشىء المخوف والبؤس الشدة والنقم جمع نقمة وهى العقوبة .

[الاعراب] يوم خبر مبتدأ محذوف أى يوم ولادته يوم تفرس بفتح التاء الفوقية والفاء والراء المشددة فعل ماض فيه متعلق بتفرس وفى بمعنى من الفرس بضم الفاء وسكون الراء فاعل تفرس والجملة صفة يوم أنهم بفتح الهمزة والهاء والميم اسمها قد حرف تحقيق أنذروا بضم الهمزة وكسر الذال المعجمة فعل ماض والواو نائب الفاعل والجملة خبر أن وأن ومعمولاها فى تأويل مصدر منصوب على المفعول لتفرس بحلول متعلق بأنذروا البؤس بضم الموحدة وسكون الواو مضاف إليه والنقم بكسر النون وفتح القاف معطوف على البؤس. [ومعنى البيت] يوم ولادته صلى الله عليه وسلم تفطن فيه الفرس أنهم قد نزل بهم الشدة والعقوبة .

وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الأول أى ومختتم منه كما تقدم فى البيت السابق (قوله أبان مولده الخ) الإبانة الكشف والاظهار والمولد مصدر ميمى يصلح لأن يراد به الولادة أوزمانها أومكانها وعلى كل من الاحتمالات الثلاثة لابد من تقدير مضاف والأصل أبان آيات مولده وعن للتعدية والطيب الخلوص عما لاينبغى فى النسب والعنصر بضم العين المهملة وسكون النون وضم الصاد هو الأصل والمراد به آباؤه الذين تناسل هو منهم وقوله ياطيب الخ نداء للطيب على سبيل التعجب لأن العرب إذا استعظمت شيئا نادته على سبيل التعجب أى ياطيب مفتتح الخ احضر ليتعجب منك والمراد بالمفتتح بفتح التاءين الثانيين من فوق آدم عليه السلام وبالمختتم كذلك سيدنا عبدالله خلافا لما قاله بعض الشارحين من أن المراد بالمفتتح هاشم وبالمختتم النبى صلى الله عليه وسلم لأن افتتاح عنصره ليس بهاشم بل بآدم واختتامه ليس بالنبى صلى الله عليه وسلم بل بسيدنا عبد الله وإذا تعجب من طيب المفتتح والمختتم لزم أن يتعجب من طيب مابينهما وفى بعض النسخ بدل المفتتح المبتدأ والضمير فى قوله منه راجع للعنصر وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الأول أى ومختتم منه كما فى البيتين قبله . وحاصل معنى البيت أظهرت وكشفت آيات مولده عن خلوص آبائه صلى الله عليه وسلم عما لاينبغى فى النسب ياطيب مفتتح الخ احضر ليتعجب منك ومن آيات مولده صلى الله عليه وسلم ماذكروه عن أمه أنها قالت لقد أخذنى الطلق وإنى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه يوم الاثنين فسمعت وجبة أى سقطة هالتنى ورأيت كأن جناح طير أبيض مسح فؤادى فذهب رعبى وكل وجع أجده وكنت عطشى فإذا بشربة بيضاء فشربتها فأصابنى نور عال الى آخر الحديث وقد ذكره بطوله القسطلانى (قوله يوم الخ) أى هو يوم الخ خبر مبتدا محذوف والضمير راجع لمولده بمعنى زمان الولادة فقط وإن كان محتملا فيما تقدم للحدث وللزمان وللمكان وقوله تفرس فيه الفرس أى ظهر لهم بطريق الفراسة بكسر الفاء وهى قوة يدرك بها الإنسان المعانى اللطيفة بسبب المخايل الظاهرة بخلاف الفراسة بفتح الفاء فإنها الحذق فى ركوب الخيل والفرس بضم الفاء وسكون الراء أهل مملكة فارس وكانوا مجوسا يعبدون النار بعد رفع كتابهم حين بدلوه وإنما سموا فرسا لأنه ولد لأبيهم بضعة عشر رجلا كل منهم شجاع فارس فسموا الفرس لذلك وقوله أنهم بالاشباع وقوله قد أنذروا أى أعلموا بالبناء للمجهول وقوله بحلول البؤس والنقم أى بنزول البؤس والنقم

وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهْوَ مُنْصَدِعٌ كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ

بات أمسى والإيوان لفظ معرّب اسم لسقف لا يكون لبعض جوانبه جدر وكسرى لقب لكل ملك من ملوك الفرس والصدع الشق وشمل القوم مجمع عددهم وملتئم مجتمع [الاعراب] وبات فعل ماض تام يكتفى بمرفوعه ايوان بهمزة مكسورة وياء مثناة تحتية ساكنة فاعل بات كسرى بفتح الكاف وكسرها وسكون السين المهملة مضاف إليه وهو منصدع مبتدأ وخبر فى موضع الحال من ايوان كشمل بفتح الشين المعجمة فى موضع نصب على النعتية لمصدر محذوف والتقدير انصداعا مثل انصداع شمل أصحاب مضاف إليه ومضاف أيضا كسرى مضاف إليه ونقل من الإضمار الى الإظهار لإهانة الاسم غير بالنصب على الحال من شمل ملتئم بضم الميم وفتح المثناة الفوقية وكسر الهمزة مضاف إليه [ومعنى البيت] أنه شبه وقوع الانصداع فى منزل كسرى بوقوع التفرقة بين أصحابه وما انهدم جميعه على التمام ليكون عبرة للأنام وإنما سقط منه أربع عشرة شرافة وقوصرته التى يقال لها القنطرة باقية الآثار الى الآن على ماقال من شاهدها .

وَالنَّارُ خَامِدَةُ الأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ

خمدت النار سكن لهيبها ولم يطفأ جمرها فان طفىء قيل همدت والأنفاس جمع نفس بفتح الفاء وهو مايخرج من داخل الرئة إلى خارجها والأسف الحزن والنهر هنا الفرات فإنه كان ضل الطريق ووقع فى وادى سماوة وهى بادية بين دمشق والعراق وذلك أن دجلة انقطعت وانتشرت فى بلاد فارس وطفح الفرات حتى ملأ سماوة وساهى ساكن عن الجريان والسدم الحزن وفى البيت استعارتان بالكناية حيث ذكر المشبهين وهما النار والنهر واستعارتان تخييليتان حيث أثبت الأنفاس للنار والعين للنهر [الاعراب] والنار خامدة بالخاء المعجمة مبتدأ وخبر الأنفاس بفتح الهمزة مضاف إليه من أسف بفتحتين متعلق بخامدة على أنه علة لها عليه متعلق بأسف والضمير للايوان أو للكفر الدال عليه المقام والنهر بفتح النون وسكون الهاء مبتدأ ساهى خبره العين بفتح المهملة مضاف إليه من سدم بفتح السين والدال المهملتين متعلق بساهى على أنه علة له [ومعنى البيت] أن النار التى كانت فارس تعبدها خمدت بعد التوقد ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام أسفا على ضعف الكفر وسكن النهر الجارى حزنا عليه .

والنقم بهم والجار والمجرور متعلق بأنذروا والحلول من حل يحل بالضم أو بالكسر إذا نزل والبؤس هو الشدة المؤثرة فى القلب الهم والحزن والنقم جمع نقمة وهى العقوبة والمراد بالبؤس والنقم ماحصل لهم من خراب ملكهم وتشتيت أمرهم وتفريق قبائلهم وتمزيقهم كل ممزق كما دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصل المعنى أن يوم ولادته صلى الله عليه وسلم يوم ظهر للفرس فيه أنهم أنذروا بنزول الشدة والعقوبات بهم حيث قارنه ماسيذكره الناظم من الارهاصات المؤسسة لنبوته صلى الله عليه وسلم (قوله وبات ايوان كسرى الخ) عطف على قوله تفرس الخ أى وبات فى ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ايوان كسرى الخ والايوان كديوان بناء يبنى طولا غير مسدود الوجه يعده الملك لجلوسه فيه لتدبير ملكه وقد كان سمك ذلك الايوان مائة ذراع فى مثلها ومكث فى بنائه نيفا وعشرين سنة ولهذا كان يظن أنه لايهدمه الانفخة الصعق وقد أراد هرون الرشيد هدمه لما بلغه أن تحته مالا عظيما فعجز عنه فأبقاه على حاله وكسرى بكسر الكاف لقب لكل من ملك الفرس والمراد به هنا أنو شروان بن قباذ بن فيروز وقوله وهو منصدع أى والحال أنه منشق شقا بينا أشرف به على الهدم لاالخلل فى بنائه بل ليكون آية من آياته صلى الله عليه وسلم ومع انصداعه سقط منه أربع عشرة شرافة من شرافاته وكانت اثنتين وعشرين وقد روى أنه لما ارتج ايوان كسرى وسقط منه الأربع عشرة شرافة أحزنه ذلك فوجه الى النعمان ملك العرب يستفسره عن سر مابدا فرفع النعمان الخبر الى سطيح وقد أشرف على الضريح وهو القبر فقال يكون سبى وسبايات ويموت ملوك وملكات بعدد الشرافات ثم قضى على سطيح وقوله كشمل أصحاب كسرى بفتح الشين أى حالهم وقوله غير ملتئم خبر بات . وحاصل المعنى وصار ايوان كسرى والحال أنه منصدع غير ملتئم كشمل أصحاب كسرى فانه بات أيضا غير ملتئم بل تفرق ولم يتفق لأحد مثل ما اتفق لكسرى فى كثرة جيوشه وأعوانه ولم يزالوا فى تفرق وتشتت حتى جاءت بشائر الإسلام (قوله والنار خامدة الأنفاس الخ) يجوز رفع الجزأين على الابتداء والخبر والعطف حينئذ من عطف الجمل لأن هذه الجملة معطوفة على جملة قوله بات ايوان كسرى الخ ويجوز رفع الأول على أنه معطوف

وَسَاءَسَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا
وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمِي

ساء أحزن وساوة مدينة في طريق همدان بينها وبين الري اثنان وعشرون فرسخا تقريبا وغاضت ذهب ماؤها ونضب وبحيرة ساوة ماء مجتمع واسع الطول والعرض بقرب ساوة كبحيرة طبرية ورد أي رجع والوارد هنا الذي يأتي الماء للسقي والغيظ بالمشالة الغضب وظمي أي عطش .

[الاعراب] وساء بالمد فعل ماض ساوة بفتح الواو مفعول به على حذف مضاف أي أهل ساوة على حد واسأل القرية أي أهلها أن بفتح الهمزة وسكون النون موصول حرفي مؤول مع صلته بمصدر مرفوع على الفاعلية بساء غاضت بالغين والضاد المعجمتين فعل ماض وتاء تأنيث بحيرتها بضم الموحدة وفتح الحاء المهملة فاعل غاضت والهاء لساوة ورد بضم الراء المهملة فعل ماض مبني للمفعول واردها نائب الفاعل به بالغيظ بالغين والظاء المعجمتين متعلق برد حين ظرف زمان منصوب برد ظمي بفتح المعجمة وكسر الميم وسكون الياء المبدلة من الهمزة فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود الى واردها

[ومعنى البيت] وأحزن أهل ساوة غيض ماء البحيرة ورجوع وارد البحيرة بالغضب حين جاء البحيرة ولم يجد بها ماء وقد عطش وقد كان حواليها بيع وكنائس معتبرة وغيضها كان سببا لخرابها ولم تعمر بعد ذلك .

على ايوان ونصب الثاني على أنه معطوف على غير ملتئم وهكذا يقال في قوله والنهر ساهي العين الخ على لغة من أعرب المنقوص نصبا كإعرابه رفعا وجرا والعطف حينئذ من عطف المفردات والمراد من النار نار الفرس التي كانوا يعبدونها وكان لها خدمة يوقدونها ولم تخمد قبل تلك الليلة بألف عام وفي عبارة بعضهم بألفي عام ومعنى كونها خامدة الأنفاس كونها منطفئة اللهب مع بقاء الجمر فخمود النار انطفاء لهبها مع بقاء جمرها وأما الهمود فانطفاء لهبها مع جمرها والأنفاس جمع نفس بفتح الفاء والمراد به هنا لهب النار على طريق الاستعارة التصريحية وقوله من أسف أي من أجل أسف فمن للتعليل والأسف بفتح الهمزة والسين شدة الحزن وقوله عليه متعلق بأسف والأظهر أن الضمير المجرور بعلى راجع للايوان وجوز بعض الشارحين أن يكون راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ووجه ذلك بأن ولادته صلى الله عليه وسلم سبب في ترك عبادتها وهذا من حسن التعليل تعريضا بهم وهو أن يدعى لحكم علة مناسبة لكنها غير موافقة للواقع كما في قوله :

وما نزل الغيث الا لكى   يقبل بين يديك الثرى

وقوله والنهر ساهي العين قد عرفت إعرابه والمراد بالنهر نهر الفرات الذي كان به قوامهم وكان قد ضل الطريق ووقع في سماوة وهي بادية بين دمشق والعراق والمراد بكونه ساهي العين أنه ساكن العين التي هي مادته عن الجري على سبيل الاستعارة ويحتمل أن في الكلام استعارة بالكناية فيكون قد شبه النهر بإنسان ساهي العين تشبيها مضمرا في النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو ساهي العين وقوله من سدم أي من أجل سدم فمن للتعليل والسدم بفتح السين والدال الحزن وهذا من حسن التعليل أيضا وبعضهم جعل إثبات الأسف للنار والسدم للنهر مجازا عقليا لتنزيل كل منهما منزلة العاقل وقد عرفت أنه من حسن التعليل فلا حاجة لذلك وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة الأول أي من سدم عليه كما تقدم في نظائره (قوله وساء ساوة الخ) أي وساء أهل ساوة الخ فهو على تقدير مضاف على حد قوله تعالى واسئل القرية أي أهلها وساوة اسم لمدينة من مدن الفرس وهي بين همدان والري وقوله أن غاضت بحيرتها فاعل بساء ومعنى غاضت بضاد معجمة قيل وبصاد مهملة غار ماؤها وذهب بالمرة حتى إن لهب النار ينبع من قعرها كأنما طبخت أرضها وكانت هذه البحيرة بركة عظيمة تسير فيها السفن للبلاد التي على ساحلها وكان طولها ستة أميال في مثلها عرضا وقيل ستة فراسخ في مثلها عرضا وقال البكري كان طولها عشرة أميال وعرضها ستة وكان حولها بيع وكنائس فخربت ومن ذلك يعلم أن التصغير فيها ليس للتحقير وقوله ورد واردها الخ أي وأن رد واردها الخ فهو معطوف على مدخول أن في قوله أن غاضت بحيرتها والباء في قوله بالغيظ للملابسة أو المصاحبة أي ملابسا للغيظ أو مصاحبا له والجار والمجرور متعلق برد وقوله حين ظمي ظرف لواردها أي الذي يردها ويأتي اليها ليستقي من مائها حين عطش . وحاصل المعنى وأحزن أهل المدينة المسماة بساوة أمران أحدهما غيض مائها والثاني

كَأَنَّ بِالنَّـــارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ حُزْنًا وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّـــارِ مِنْ ضَرَمِ

الحزن ضد السرور والضرم الالتهاب . [الاعراب] كأن حرف تشبيه ينصب الاسم ويرفع الخبر بالنار خبرها مقدم ماالسم موصول اسم كأن مؤخر بالماء صلة ماءمتعلق بفعل محذوف من بلل بفتحتين بيان لما الموصولة متعلق بحال محذوفة من عائد الصلة حزنا بسكون الزاى مفعول لأجله وبالماء خبر كأن محذوفة مدلول عليها بكأن المذكورة ماءاسمها بالنار صلتها من ضرم بفتح الضاد المعجمة والراء المهملة بيان لما الموصوله الثانية والمفعول لأجله محذوف لدلالة ماقبله عليه والألف واللام فى النار والماء للعهد الذكرى أى النار المعبودة وماء البحيرة .

[ومعنى البيت] كأن بالنار التى طبعها الحرارة والاحراق مابالماء من البلل الباعث على التبريد والإغراق لأجل الحزن عليه وكأن بالماء الذى طبعه البرودة والتبريد مابالنار من الالتهاب الباعث على الاحراق لأجل الحزن عليه :

وَالْجِنُّ تَهْتِفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنًى وَمِنْ كَلِمِ

الجن خلاف الإنس سموا بذلك لاجتنانهم أى استتارهم عن العيون وتهتف تصيح والأنوار جمع نور والمراد بها التى ظهرت يوم ولادته حتى أضاء لها قصور الشام ساطعة مرتفعة والحق أى صدق النبوة ويظهر أى ينكشف من معنى مفرد والمراد به الجمع أى المعانى المعقولة والكلم الكلام أى الألفاظ المخصوصة .

[الاعراب] والجن تهتف بفتح الفوقية وكسر الثانية مبتدأ وخبر والأنوار ساطعة مبتدأ وخبر والحق يظهر مبتدأ وخبر من معنى ومن كلم بكسر اللام متعلقان بيظهر . [ومعنى البيت] والجن تصيح وترجف مما حصل لهم من الخوف والرعب ويتكلمون مع أوليائهم فيما دهمهم من ذلك والأنوار التى ظهرت يوم مولده صلى الله عليه وسلم مرتفعة فى الآفاق والبرهان الحق يظهر من المعانى التى أتت بها الكتب المنزلة ومن الكلام الذى نطقت به ألسنة الأحبار والرهبان .

رد الذى يردها ليستقى منها بالغيظ حين عطش (قوله كأن بالنار الخ) لايخفى أن بالنار خبر كأن مقدم وما بالماء اسمها مؤخر والأصل كأن مابالماء بالنار وماالسم موصول بمعنى الذى وقوله من بلل بيان لها وقوله حزنا أى للحزن فهو علة لقوله كأن بالنار ما بالماء من بلل وقوله وبالماء مابالنار من ضرم فيه ماتقدم فيما قبله أى وكأن بالماء مابالنار من ضرم والضرم الالتهاب وفيه الحذف من الثانى لدلالة الأول أى حزنا . وحاصل المعنى أن النار التى خمدت تلك الليلة صارت كأن بها مابالماء من البلل فصارت مبتلة لحزنها وأن الماء الذى غاض تلك الليلة صار كأن به مابالنار من الضرم لحزنه أيضا فكأن ما بكل من نار فارس وماء بحيرة ساوة انتقل للآخر من الحزن وخص الناظم من أوصاف الماء البلل دون البرودة مثلا ومن أوصاف النار الاضطرام دون الحرارة مثلا لأن البلل هو الذى يخرج النار عن حقيقتها بخلاف البرودة فانها لاتخرجها عن حقيقتها قال الله تعالى يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم والاضطرام هو الذى يخرج الماء عن حقيقته بخلاف الحرارة فانها لاتخرجه عن عن حقيقته فإنه يقال ماء حار ولايقال ماء مضطرم لأن الاضطرام يستلزم غاية اليبس . فإن قيل الجمادات كلها لاتوصف بالكفر بل منقادة خاضعة لله قال تعالى وإن من شىء الايسبح بحمده فكيف يقول الناظم حزنا واللائق أن يكون ذلك فرحا . أجيب بأن النار تحزن على نفسها من أجل أنها لاتوقد والماء يحزن على نفسه من حيث إنه لايجرى فكل منهما شبيه بالحزين لأجل ذلك هذا إن كان المراد حزن ذاتهما كما هو المتبادر وإن كان المراد حزن أهلهما فلا اشكال لأن أهلهما يحزنون على تغير ملكهم وتشتيت أمرهم (قوله والجن تهتف الخ) اى وصارت الجن تهتف فى الجبال والأودية فمن ذلك ماجاء أنه حين ولد صلى الله عليه وسلم هتف هاتف على الحجون وهو ينشد ويقول :

فأقسم ماأنثى من الناس أنجبت ولاولدت أنثى من الناس واحده
كما ولدت زهرية ذات مفخر مجنبة لؤم القبائل ماجده

ومنها أن هاتف سواد بن قارب أنشده أبياتا ثلاثا ليال فيها الحث على المجىء لرسول الله صلى الله عليه وسلم والإيمان به وعظيم مدحه والجن هم أولاد ابليس كما أن البشر أولاد آدم وقيل الجن أولاد الجان فابليس أبو الشياطين والجان أبو الجن والقول الأول أقوى والهتف قيل الصوت مطلقا وقيل الصوت الخفى وقوله والأنوار ساطعة أى والأنوار التى خرجت معه صلى الله عليه وسلم عند ولادته لامعة ظاهرة فى

عَمُوا وَصَمُّوا فَإِعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ تُسْمَعْ وَبَارِقَةُ الْإِنْذَارِ لَمْ تُشَمِ
مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ بِأَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

العمى عدم البصر والصمم عدم السمع والاعلان الإظهار والبشائر جمع بشارة أو بشرى وهو الخبر السار وبارقة من برق إذا لمع والتاء للمبالغة والإنذار الاعلام وتشم من شمت البرق إذا نظرت الى السحابة أين تمطر أى لم تبصر والأقوام جمع قوم يطلق على الذكور والاناث وقيل يختص بالذكور والكاهن الذى يخبر عن المغيبات الماضية قاله الراغب ودينهم طريقتهم التى تدينوا بها واعوج الشيء فهو معوج أى صار ذا عوج يقال فى الدين عوج بكسر العين وفتح الواو وفى العود عوج بفتحهما ولم يقم أى لم يدم من قام الأمر دام وأقامه الله تعالى أدامه

[الإعراب] عموا بفتح العين فعل وفاعل والضمير للفرس وصموا بفتح الصاد فعل وفاعل جملة معطوفة على ماقبلها فإعلان بكسر الهمزة مبتدأ البشائر مضاف إليها لم تسمع بالمثناة الفوقية والبناء للمفعول خبر المبتدا واكتسب التأنيث من المضاف إليه وبارقة بالموحدة مبتدأ الإنذار بكسر الهمزة مضاف إليه لم تشم بضم المثناة الفوقية وفتح المعجمة خبر المبتدا من بعد متعلق بصموا لقربه وهو مطلوب أيضا لعموا من جهة المعنى على سبيل التنازع ما موصول حرفى يسبك مع صلته بمصدر مجرور باضافة بعد إليه أخبر فعل ماض الأقوام مفعول مقدم كاهنهم فاعل مؤخر وجوبا بأن بفتح الهمزة متعلق بأخبر دينهم اسم أن المعوج بضم الميم وسكون العين المهملة وفتح الواو والجيم المشددة نعت دينهم لم يقم بفتح الياء وضم القاف أو بضم الياء وكسر القاف من أقام والجملة خبر أن

[ومعنى البيتين] عموا فلم يبصروا بارقة الإنذار بعد وصموا فلم يسمعوا إعلان البشائر من بعد إخبار الكهان لهم بأن دينهم المائل عن الحق لايدوم ولايقيم وفى البيت الأول من البديع اللف والنشر المشوّش وفى البيت الثانى من البديع الجناس الشبيه بالمشتق بين الأقوام ولم يقم .

وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الْأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ مُنْقَضَّةٍ وَفْقَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنَمِ

الحديث عن آمنة رضى الله تعالى عنها أنها قالت لما ولدته خرج من فرجي نور أضاءله قصور الشام فولدته نظيفا مابه قذر وإلى ذلك يشير عمه العباس بقوله :

وأنت لما ولدت أشرقت الأر ض وضاءت بنورك الأفق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النو ر وسبل الرشاد نخترق

وقوله والحق يظهر من معنى ومن كلم أى والحق الذى هو أمره صلى الله عليه وسلم من نبوّته ورسالته يظهر من معنى كالأنوار ومن كلم كهتف الجن ففى ذلك مع قوله والجن تهتف والأنوار ساطعة لف ونشر مشوش (قوله عموا وصموا الخ) هذا البيت واقع فى جواب سؤال مقدر فكأن شخصا قال له إذا كان الحق يظهر من معنى ومن كلم فما بال الكفار جحدوا نبوّته صلى الله عليه وسلم فأجابه المصنف بأنهم عموا وصموا الخ فالضمير راجع للكفار فلكونهم لم ينتفعوا بما شاهدوه من المعنى ولا بما سمعوه من الكلم حيث جحدوا نبوّته صلى الله عليه وسلم مع كون الحق يظهر من معنى ومن كلم كأنهم عموا عن مشاهدة المعنى كالأنوار وصموا عن سماع الكلم كهتف الجن ففى ذلك مع قوله والحق يظهر من معنى ومن كلم لف ونشر مرتب وقوله فإعلان البشائر لم تسمع أى فإظهار البشائر به صلى الله عليه وسلم كهتف الجن لم تسمع لهم سماع قبول وهذا مرتب على قوله وصموا وإنما قال لم تسمع بالتاء الفوقية لأن المضاف إليه أكسب المضاف التأنيث وقوله وبارقة الإنذار لم تشم أى ولامعة الإنذار به صلى الله عليه وسلم أى تخويفهم به كالأنوار لم تنظر لهم نظر قبول فالمراد بالبارقة اللامعة وهى فى الأصل اسم للسيف اللامع يقال بيده بارقة أى سيف لامع والمراد بقوله لم تشم لم تنظر يقال شام البرق نظر إليه وهذا مرتب على قوله عموا ففى ذلك مع قوله عموا وصموا لف ونشر معكوس (قوله من بعد ما أخبر الخ) متعلق بقوله عموا وصموا وفى ذلك غاية التقبيح بهم حيث جحدوا من بعد ما علموا حقيقة الحال من كاهنهم الذى كانوا يصدقونه ويتبعونه فيما يقوله وما مصدرية فيؤوّل الفعل بعدها بمصدر والأقوام مفعول مقدم وكاهنهم فاعل مؤخر والكاهن من كان له تابع من الجن يخبره بخبر السماء لاستراقه السمع فيحدثهم بذلك لكن يزيد على الكلمة الحقة مائة كذبة وقوله بأن دينهم المعوج لم يقم أى بأن ماهم عليه من الدين المعوج لاشتماله على عبادة الأصنام لاقيام له مع وجوده صلى الله عليه وسلم والمراد أنه أخبرهم بما يفيد ذلك لأنه أخبرهم بأنه يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهاب دينهم المعوج (قوله و بعد ما عاينوا الخ) أى ومن بعد ما عاينوا الخ فهو معطوف على

حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الوَحْيِ مُنْهَزِمٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ

عاينوا شاهدوا والأفق نواحى السماء والشهب جمع شهاب وهى النجوم التى ترمى بها الشياطين عند استراق السمع من الملائكة منقضة من انقض السهم سقط والوفق الموافقة والصنم المصور من حجر وغيره والعدو الذهاب والوحى الكلام الخفى وطريقه أبواب السماء والمنهزم الهارب والشياطين جمع شيطان بمعنى المبعد إن كان من شطن أو المحرق إن كان من شاط والقفو الاتباع والانهزام الهرب .

[الاعراب] وبعد يجوز فيه النصب بالعطف على محل بعد المجرورة بمن ويجوز فيه الجر بالعطف على لفظه كقوله :

فان لم تجد من دون عدنان والدا ودون معد فلترعك العواذل

يروى بنصب دون الثانى وخفضه على التوجيهين ما موصولة عاينوا صلتها وعائدها محذوف أى عاينوه فى الأفق بضم الهمزة وسكون الفاء متعلق بعاينوا من شهب بضم الشين المعجمة والهاء بيان لما منقضة بضم الميم وسكون النون وتشديد الضاد المعجمة نعت شهب وفق بفتح الواو وسكون الفاء منصوب بنزع الخافض أى على وفق ما موصول اسمى فى الأرض صلتها من صنم بفتح الصاد المهملة والنون بيان لما حتى حرف غاية غدا بمعجمة فمهملة فعل ماض عن طريق متعلق بغدا الوحى مضاف إليه منهزم بضم الميم وكسر الزاى فاعل غدا من الشياطين نعت منهزم يقفو بالقاف والفاء فعل مضارع وفاعله مستتر فيه يعود الى منهزم والجملة نعت ثان له إثر بكسر الهمزة وسكون المثلثة متعلق بيقفو منهزم بضم الميم وسكون النون وفتح الهاء وكسر الزاى مضاف إليه .

[ومعنى البيتين] ومن بعد الذى عاينوه من شعل النار النازلة من السماء على الشياطين المسترقين للسمع على وفق تنكيس الأصنام التى فى الأرض الى أن ذهب كل شيطان هارب عن أبواب السماء وصار يتبع إثر شيطان هارب مثله .

كَأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَبْرَهَةٍ أَوْ عَسْكَرٌ بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي

بعد فى قوله من بعد ما أخبر الخ فيقرأ لفظ بعد بالجر نظرا لذلك ويصح قراءته بالنصب نظرا لمحل الجار والمجرور وما موصولة بمعنى الذى والعائد محذوف والتقدير عاينوه أى شاهدوه وأبصروه وقوله فى الأفق بسكون الفاء كما هو لغة فى الأفق بضمها والمراد به هنا السماء لا حقيقته التى هى أطراف السماء المماسة للأرض لعدم وجود الشهب فى ذلك وقوله من شهب بيان لما عاينوه والشهب جمع شهاب وهو شعلة من نار ساطعة وليس هو النجم كما قد يتوهم لأنه لا ينقض ولا يسقط وقوله منقضة أى ساقطة من السماء على الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع من الملائكة ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ولم يكن للكفار عهد بمثل ذلك وإن كان لهم به عهد فى الجملة وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السموات كلها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات بسقوط الشهب عليهم ولما ولد صلى الله عليه وسلم زيد فى حراسة السماء فمنعوا من سائرها بسقوط الشهب عليهم بكثرة لكن كانوا يقعدون فى مقاعد قريبة من السماء بحيث يسمعون صريف الأقلام أى صوت أقلام الملائكة التى تكتب ما يقع فى العالم ولما بعث صلى الله عليه وسلم منعوا من ذلك بالشهب أيضا كما قال الله تعالى حكاية عنهم وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وقوله وفق ما فى الأرض أى مثل ما فى الأرض فى الانقضاض والسقوط لأن أصنام الدنيا أصبحت منكوسة تلك الليلة وما موصولة بمعنى الذى وقوله من صنم بيان لها أى من جنس الصنم الصادق بالكثير والصنم والوثن بمعنى واحد وقيل الصنم ما كان مصورا والوثن ما كان غير مصور وقيل الصنم ما كان من حجر والوثن ما كان من غيره كنحاس (قوله حتى غدا الخ) أى ولم تزل الشهب تنقض الى أن غدا الخ فهو غاية لمحذوف وحتى بمعنى الى وغدا بمعنى سار وقوله عن طريق الوحى متعلق بمنهزم الواقع اسما لغدا وطريق الوحى هو السماء والوحى للكلام الخفى والكتاب والإشارة والرسالة والإلهام الى غير ذلك والمنهزم الهارب وقوله من الشياطين بيان لمنهزم مشوب بتبعيض وقوله يقفو إثر منهزم أى يتبع إثر هارب آخر . وحاصل المعنى ولم تزل الشهب تنقض الى أن صار هارب من الشياطين عن السماء التى هى طريق الوحى يتبع إثر هارب آخر وهلم جرا (قوله كأنهم هربا الخ) الضمير للشياطين وهربا حال أى فى حال كونهم هاربين والأبطال جمع بطل وهو الشجاع القوى جدا وسمى بطلا لبطلان همم الشجعان عند ملاقاته أو لأن الدماء تبطل عنده فلا يؤخذ بثأرها وأبرهة بالصرف للضرورة وإلا فهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ومعناه بلسان الحبشة أبيض الوجه والمراد به هنا ملك اليمن والعسكر الجيش كما تقدم والحصى حجارة صغيرة صلبة والراحتان بطنا الكف وقوله رمى بالبنا للمجهول صفة لعسكر ويتعلق به كل من قوله

نَبْذًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا نَبْذَ المُسَبِّحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ

الهرب الفرار السريع والأبطال جمع بطل وهو الشجاع وأبرهة بالحبشية أبيض الوجه والمراد به اسم رئيس أصحاب الفيل ويقال له الأشرم والعسكر الجيش العظيم والحصى جمع حصاة وهى حجارة صغار صلبة والراحة الكف والنبذ الطرح والتسبيح التنزيه من كل نقص والبطن ضد الظهر والمراد بالمسبح هنا يونس عليه السلام من قوله تعالى فلولا أنه كان من المسبحين والاحشاء جمع حشا وهو ماانضمت عليه الضلوع والمراد بالملتقم الحوت الذى التقم يونس من قوله تعالى فالتقمه الحوت.

[الإعراب] كأنهم كأن حرف تشبيه ينصب الاسم ويرفع الخبر والضمير اسمها هربا حال والعامل فيها مافى كأن من معنى التشبيه وذوالحال اسم كأن أبطال خبرها أبرهة بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الراء المهملة والصرف للضرورة أوعسكر بالرفع عطفا على أبطال وبالجر عطفا على أبرهة بالحصى متعلق برمى من راحتيه حال من الحصى والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم رمى بالبناء للمفعول معطوف فى المعنى على خبر كأن وتقدير البيت كأن الشياطين فى حال كونهم هاربين أبطال أبرهة أوكانهم عسكر رمى بالحصى من راحتى النبى صلى الله عليه وسلم نبذا بالمعجمة مفعول مطلق والناصب له رمى لأنه يلاقيه فى المعنى لأن الرمى هو النبذ على حد قعدت جلوسا به بعد متعلقان برمى ولايجوز تعلقهما بنبذا لأن المصدر المؤكد لايعمل تسبيح مضاف إليه ببطنهما نعت تسبيح نبذ بالمعجمة مفعول مطلق نوعى تشبيهى أى مثل نبذ المسبح بضم الميم وكسر الموحدة المشددة مضاف إليه من أحشاء حال من المسبح ملتقم بضم الميم وسكون اللام وكسر القاف مضاف إليه.

بالحصى وقوله من راحتيه والمقصود تشبيه الشياطين فى حال هربهم من الشهب بأبطال أبرهة أو بالعسكر الذى رمى بالحصى من راحتيه صلى الله عليه وسلم والمصراع الأول إشارة الى قصة أصحاب الفيل والمصراع الثانى إشارة الى غزوة بدر على مارواه البخارى من أن رمى الحصى كان فى غزوة بدر أو إلى غزوة حنين على مارواه مسلم من أن رمى الحصى كان فى غزوة حنين ولامانع من تعدد الرمى وأشار بقوله رمى بالبناء للمجهول إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم وإن باشر الرمى ظاهرا لكن الرامى حقيقة هو الله قال تعالى ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى ولما رماه صلى الله عليه وسلم فى وجوه الأعداء لم يبق منهم أحد إلا دخل التراب فى عينيه وانهزموا جميعا فتبعهم المسلمون يأسرونهم ويقتلونهم. وحاصل قصة أصحاب الفيل أن أبرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج فقال أين يذهبون فقيل يحجون بيت الله بمكة قال وما هو قيل من الحجارة فقال والمسيح لأبنين لكم بيتا خيرا منه فبنى لهم كنيسة من الرخام الأسود والأحمر والأصفر وحلاها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر وأراد صرف الحج اليها ومنع الناس من الذهاب الى مكة فلما اشتهر الخبر عند العرب خرج رجل من كنانة مغضبا وتغوط فيها ولطخ قبلتها بالعذرة ولحق بأرضه فأغضب ذلك أبرهة وحلف لينقضن الكعبة حجرا حجرا وكتب الى النجاشى يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه فيله فلما قدم إليه الفيل خرج فى ستين ألفا فلما بلغ المغمس بضم الميم الأولى وفتح الغين المعجمة وتشديد الميم الثانية مفتوحة أومكسورة أمر أبرهة رجلا بالغارة الى مكة فمضى اليها واستاق ابل قريش وغنمهم فهموا بقتاله ثم عرفوا أنهم لايطيقون قتاله فتركوه ثم لما تهيأ أبرهة لدخول مكة برك الفيل فضربوه فى رأسه ليقوم فأبى فوجهوه الى غير مكة فقام يهرول ثم وجهوه الى مكة فبرك ثم أرسل الله عليهم الطيور الأبابيل مع كل طائر ثلاثة أحجار حجر فى منقاره والآخران فى رجليه فذهبوا هاربين يتساقطون بكل طريق وكان الحجر يصيب رأس الرجل فيخرج من دبره ومن أسفل مركوبه والى هذه القصة أشار سبحانه وتعالى بقوله ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة (قوله نبذا الخ) أى نبذه النبى صلى الله عليه وسلم نبذا الخ فنبذا مصدر منصوب بفعل محذوف من لفظه أومنصوب بقوله رمى

[ومعنى البيتين] كأن الشياطين فى هربهم أبطال أبرهة فى هربهم لما رموا بالحجارة من سجيل وولوا هاربين أوكأن الشياطين عسكر رمى بالحصى من بطن كفيه صلى الله عليه وسلم فهرب من رميه كما وقع فى غزوة بدر وحنين إلا أنه لم يسمع للحصى فيهما تسبيح وإنما روى عن أنس رضى الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن فى يده الشريفة حتى سمعنا التسبيح الحديث وظاهر كلام الناظم أن الرمى والتسبيح فى موطن واحد وفيه نظر الا أن يحمل على أن التسبيح وقع سرا فيستقيم قوله نبذا بالحصى المسبح فى بطن راحتيه مثل نبذ يونس المسبح فى بطن الحوت الملتقم له والقصد تشبيه نبذه صلى الله عليه وسلم بالحصى المسبح العسكر فهرب منكسرا بنبذ الله تعالى يونس المسبح

رمى فى البيت قبله فيكون العامل فيـه موافقا له فى المعنى كما فى قولك جلست قعودا وقوله به أى بالحصى وهو متعلق بنبذا وقوله بعـد تسبيح ببطنهما أى بعد تسبيح الحصى فى بطن الراحتين الشريفتين بمعنى الكفين وظاهر كلام المصنف أن الحصى المرمى به سبح فى كفيه صلى الله عليـه وسلم وكأن الناظم وقف على ذلك أو أنه قصد التسبيح الثابت فى غير ذلك كما رواه أنس حيث قال أخذ النبى صلى الله عليـه وسلم كفا من حصى فسبح فى كفه حتى سمعنا التسبيح ثم وضعه فى يد أبى بكر فسبح أيضا ثم فى يد عمر فسبح أيضا ثم فى أيدينا فما سبح وبذلك اندفع ما اعترض به بعضهم على المصنف من أنه لم يثبت أن الحصى الذى رمى به فى يوم بدر أو حنين سبح فى كفه قبل أن يرمى به وقوله نبـذ المسبح من أحشاء ملتقم أى كنبذ المسبح الذى هو يونس عليه السلام من أحشاء الملتقم له والأحشاء ما انضمت عليه الأضلاع وقيل الأمعاء والملتقم له هو الحوت قال الله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم أى فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه الى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه فلولا أنه كان من الذاكرين بقوله كثيرا فى بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين لصار بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة فألقيناه من بطن الحوت بوجه الأرض بالساحل من يومه أو بعـد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوما وهو عليل كالفرخ الممعط وقال تعالى فنادى فى الظلمات أن لا إله الا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين أى فنادى فى الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت بأن لا إله الا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فى ذهابى من بين قومى من غير إذن ومراد المصنف التشبيه به فى أن كلا أمر خارق للعادة وفى كلامه من المحسنات البديعية الاستتباع لأنه بعد أن تـكلم على انقضاض الشهب على الشياطين وتشبيههم فى حال هربهم بأبطال أبرهـة أو بالعسكر الذى رمى بالحصى من راحتيه الشريفتين استتبع الـكلام على تسبيح الحصى بكفيه صـلى الله عليـه وسلم وحقيقة الاستتباع أن يضمن كلام سيق لمعنى معنى آخر كما فى قول ابن نباتة :

ولا بد لى من جهلة فى وصاله   فمن لى بخلّ أودع الحلم عنده

فإنه سيق للاخبار بكونه حليما وضمنه الشـكاية بأنه ليس فى الاخوان من يصلح لإيداع الحلم عنـده (قوله جاءت لدعوته الأشجار الخ) أى أتت لطلبه الأشجار الخ فالمجىء الاتيان والدعوة الطلب والأشجار جمع شجرة وقوله ساجدة حال من الأشجار والمراد بالسجود هنا معناه اللغوى وهو الخضوع وجمـلة قوله تمشى الخ إما حال من الأشجار فتـكون حالا مترادفة أو من الضمير فى ساجدة فتـكون حالا متداخلة وقوله على ساق متعلق بتمشى والساق ما تحت الفروع من الشجرة وقوله بلا قدم صفة للساق أو متعلق بتمشى وأشار بذلك لما روى من أن أعرابيا سأل النبى صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها حتى قطعت عروقها ثم جاءت تجر عروقها فى الأرض فوقفت بين يديه وقالت

فى بطن الحوت حيا فى أن كلا منهما خارق للعادة وهو تشبيه لطيف فان بين انطباق الضلوع على ما يحصل فيها من الشخص المسبح وبين انضمام الأصابع على ما يحصـل فى الراحـة من الحصى المسبح مقابلة لطيفة .

جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ سَاجِدَةً
تَمْشِى إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلَا قَدَمِ

كأنما سطرت سطرا لما كتبت ... فروعها من بديع الخط باللقم

مثل الغمامة أنى سار سائرة ... تقيه حر وطيس للهجير حمي

جاءت أتت لدعوته أي لندائه الأشجار جمع شجرة وهي ماله ساق وساجدة أي خاضعة والقدم طرف الرجل والسطر الخط وفروع الشجرة أعلاها والبديع الغريب والعجيب واللقم بالفتح وسط الطريق والغمامة واحدة الغمام وهي السحاب وتقيه اي تحفظه والوطيس التنور والهجير نصف النهار إذا كان حارا وحمي الوطيس إذا اشتد الحر [الاعراب] جاءت فعل ماض وعلامة تأنيث لدعوته متعلق بجاءت الأشجار فاعل جاءت ساجدة حال من الأشجار تمشي حال ثانية من الأشجار أو من

فاعل ساجدة المستتر فيه فهي على الأول من الأحوال المترادفة وعلى الثاني من الأحوال المتداخلة إليه على ساق متعلقان بتمشي بلا قدم بكسر الموحدة وفتح القاف والدال في موضع النعت لساق كأنما حرف تشبيه مهمل سطرت بفتح السين والطاء المهملتين فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود على الأشجار سطرا بفتح السين المهملة مفعول به لما بكسر اللام وتخفيف الميم متعلق بسطرت وما موصول اسمي كتبت فعل ماض وتاء تأنيث فروعها فاعل لكتبت والجملة صلة ما والعائد محذوف أي كتبته من بديع بيان لما متعلق بكتبت الخط بفتح الخاء المعجمة وبالطاء المهملة مضاف إليه باللقم بفتح اللام والقاف متعلق بكتبت والباء بمعنى في مثل بالنصب على الحال من فاعل تمشي وبالرفع خبر مبتدا محذوف أي أمرها مثل الغمامة مضاف اليها أنى بفتح الهمزة والنون المشددة ظرف زمان وفيه معنى الشرط سار فعل الشرط سائرة بالنصب حال من الغمامة وصح مجيء الحال من المضاف إليه لأن المضاف مثل بمعنى مماثل فهو عامل في الحال وجواب الشرط محذوف أي معجزة فهي سائرة معه تقيه بفتح التاء الفوقية وكسر القاف فعل مضارع متعد لاثنين أولهما الهاء وثانيهما حر بفتح المهملتين والجملة إما صفة لسائرة بناء على أن الوصف يوصف وهو الصحيح وإما حال من الغمامة أو من الضمير المستتر في سائرة وطيس بفتح الواو وكسر الطاء المهملة وفي آخره سين مهملة مضاف إليه بالهجير بفتح الهاء وكسر الجيم متعلق بحمي وحمي بفتح المهملة وكسر الميم فعل ماض وفاعله ضمير وطيس المستتر فيه والجملة نعت وطيس [ومعنى الأبيات الثلاثة] أن النبي صلى الله عليه وسلم نادى شجرة فأقبلت خاضعة ماشية على ساقها وهي تشق الأرض شقا ولم يكن في مشيها عوج ولا ميل بل تمشي مشي استقامة كالانسان الذي يأتي وهو متأدب من غير خلل في مشيه كسطر سطره الكاتب ليكتب عليه فكأنها سطرت في مجيئها سطرا مستقيما تمشي عليه وسط الطريق ومثل مجيء الأشجار له بأمره وإشارته مثل الغمامة في تظليلها اياه من حر الشمس في وسط النهار في أنهما معجزتان خارقتان للعادة في الأسافل والأعالي.

السلام عليك يارسول الله قال الأعرابي مرها فلترجع الى منبتها فأمرها فرجعت ودلت عروقها في منبتها فاستوت فيه وفي بعض الروايات فقال الأعرابي ائذن لي أن أسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فأذن لي أن أقبل يديك ورجليك فأذن له وإنما لم يأذن له صلى الله عليه وسلم بالسجود ايذانا بأن السجود لا يكون إلا لله لأن مكانه من الدين عظيم لما فيه من غاية الخضوع ومن ذلك مارواه مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب يقضي حاجة الإنسان فنظر فلم يجد شيئا يستتر به وإذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق الى إحداهما فأخذ ببعض أغصانها فقال انقادي معي باذن الله فانقادت معه حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ ببعض أغصانها فقال انقادي معي باذن الله فانقادت معه حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما وقال لهما التئما علي باذن الله فالتأمتا ثم بعد انقضاء حاجته افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق (قوله كأنما سطرت الخ) هذا البيت لبيان اعتدالها في مشيها القويم وسلوكها السنن المستقيم والمعنى كأنما سطرت تلك الأشجار في حال مشيها سطرا للذي كتبته فروعها وهو الخط البديع أي الذي لم يعهد مثله المرسوم في اللقم بفتح اللام والقاف أي وسط الطريق لكونها مشت مشي استقامة فلم يكن في مشيها ميل ولا اعوج شبه مشيها على ذلك الوجه بتسطير الكاتب سطرا مستقيما ليكتب عليه وعلم من ذلك أي ما في قوله لما كتبت موصولة والعائد محذوف ومن للبيان والإضافة في قوله بديع الخط من إضافة الصفة للموصوف وقد شبه أثر فروعها في الأرض المفيد للمعتبر كالأعرابي السابق بالخط الدال على اللفظ المفيد للمتدبر للمعاني على طريق التصريح (قوله مثل الغمامة الخ) أي هي مثل الغمامة الخ فهو بالرفع خبر لمبتدا محذوف ويصح قراءته بالنصب على أنه حال من الأشجار أي حال كونها مثل الغمامة الخ والمراد أنها مثلها في الانقياد له صلى الله عليه وسلم

معجزة وآية لرد المعارض فقد انقاد له عليه الصلاة والسلام الأعالى والأسافل فالأشجار من الأسافل والغمامة من الأعالى لأنها السحابة وقوله أنى سار سائرة أى فى أى موضع سار هى سائرة أوكيف سار هى سائرة فأنى بمعنى فى أى موضع أو بمعنى كيف وعلى كل فسائرة بالرفع خبر لمبتدا محذوف ويصح نصبه على أنه حال من الغمامة وجملة قوله تقيه الخ خبر ثان على الأول وحال ثانية على الثانى وقوله حروطيس أى حر الشمس الشبيهة بالوطيس فى الحرارة فالوطيس فى كلام المصنف مستعار للشمس على طريق الاستعارة التصريحية وإن كان فى الأصل هو التنور وقوله للهجير أى عند الهجير فاللام بمعنى عند وهو ظرف لحر وطيس أو لقوله تقيه والهجير والهاجرة بمعنى واحد وهو وسط النهار إذا كان حارّا وقوله حمى يصح جعله فعلا ماضيا فتكون الجملة صفة لوطيس أوفى موضع الحال من الهجير أى حال كونه قد حمى وتكون حالا مؤكدة لما علمت من معنى الهجير ويصح جعله اسم فاعل بمعنى حامى فيكون نعتا للوطيس أوللهجير ويكون وصفا كاشفا وهذا البيت إشارة الى ماروى من أن أباطالب خرج الى الشام ومعه النبى صلى الله عليه وسلم فى أشياخ من قريش الى أن أشرفوا على بحيرا الراهب وكان فى صومعته فنزلوا عنده وحطوا رحالهم وكانوا يمرون به قبل ذلك فلايخرج اليهم وفى هذه المرّة خرج اليهم وجعل يتخللهم حتى جاء للنبى صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين هذا رسول الله الذى يبعثه رحمة للعالمين فقال له أشياخ قريش وما أعلمك بهذا ؟ فقال انكم حين أشرفتم من مكة والغمامة تظلله فوق رأسه ولم يبق حجر ولاشجر الاخرله ساجدا ولايسجدان إلا لنبى وانى لأعرفه بخاتم النبوة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان صلى الله عليه وسلم فى رعاية الإبل فأرسلوا له فأقبل وعليه غمامة تظلله فلما جلس وكانوا قد سبقوه الى فىء الشجرة مالت عليه فقال انظروا الى فىء الشجرة مال اليه (قوله أقسمت بالقمر الخ) أى أقسمت برب القمر الخ لأن أهل الشرع يمنعون الحلف بغير الله تعالى وإن جرت عليه عادة الأدباء لكن محل المنع فى حقنا وأما فى حقه تعالى فله أن يحلف بما شاء من مخلوقاته لأنها من آثاره قال تعالى والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها الآية وإنما عبر بالماضى دون المضارع اشارة الى أن اعتقاده مطوى عليه منذ عقل وقوله المنشق أى الذى انشق آية له صلى الله عليه وسلم لأن أهل مكة سألوه آية فأراهم انشقاق القمر فلقتين فكانت فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا فقال كفار قريش قد سحرنا محمد فابعثوا الى أهل الآفاق حتى يظهر هل رأوا مثل هذا فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقا فقال كفار قريش هذا سحر مستمر فنزل قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وجملة قوله إن له الخ جواب القسم والضمير الأوّل للقمر المنشق والضمير الثانى للنبى صلى الله عليه وسلم وقوله من قلبه متعلق بنسبة وقدمه عليها للاهتمام ومن بمعنى الباء والمراد بالنسبة المناسبة والمشابهة فى الانشقاق . أما انشقاق القمر فقد علمته ؛ وأما انشقاق قلبه الشريف فقد وقع أربع مرات ، وقد جمعها بعضهم فى قوله :

أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ
مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ

القسم اليمين والنسبة الشبه ومبرورة من بر فى يمينه أمضاها على الصدق .

[الاعراب] أقسمت بضم التاء فعل وفاعل بالقمر متعلق بأقسمت على تقدير مضاف بين الجار والمجرور أى برب القمر المنشق نعت القمر إن بكسر الهمزة حرف توكيد ينصب الاسم و يرفع الخبر له خبر إن مقدم والضمير للقمر من قلبه متعلق بنسبة والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم نسبة بكسر النون وسكون السين المهملة وفتح الباء الموحدة اسم إن مؤخر وجملة إن ومعموليها جواب أقسمت لامحل لها من الاعراب مبرورة بموحدة ومهملتين نعت لمحذوف القسم بفتحتين مضاف إليه .

[ومعنى البيت] أقسمت برب القمر يمينا مبرورة إن للقمر المنشق شبها بقلبه صلى الله عليه وسلم فى انشقاق كل منهما مرتين ووجه الشبه بين الانشقاقين جريهما على خلاف العادة فى الانشقاق والالتئام من غير تأثير ولا اختلال

وَمَا حَوَى الغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ ۝ وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

حوى أي جمع والغار هو المكان الذي اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه وهو ثقب في جبل يسمى ثورا بالمثلثة في أسفل مكة. والخير بفتح الخاء المعجمة كثير الخير وبكسر الخاء الكرم والشرف والأصل والهيبة كذا في القاموس ويحتمل عندي أنه أراد بالخير النبي صلى الله عليه وسلم وبالكرم صاحبه أبا بكر رضى الله عنه والطرف البصر والعمى عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيرا .

[الاعراب] ما موصول اسمى في موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف حوى الغار فعل وفاعل صلة ما والعائد محذوف أي حواه من خير ومن كرم متعلقان بحوى ومن فيهما للبيان لما على تقدير مضاف أي من صاحب خير ومن صاحب كرم وكل طرف بفتح الطاء المهملة وسكون الراء مبتدأ ومضاف إليه من الكفار نعت طرف عنه متعلق بعمى والضمير للمحوى المستفاد من حوى الشامل له صلى الله عليه وسلم ولصاحبه أبي بكر رضى الله عنه عمى فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود على كل طرف والجملة خبر المبتدا .

[ومعنى البيت] ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم أنه دخل هو وأبو بكر الغار هربا من الكفار فطلبوهما حتى وقفوا على فم الغار فأعماهم الله تعالى عنهما ببركة النبي صلى الله عليه وسلم .

فَالصِّدْقُ فِي الْغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا ۝ وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمِ

فالصدق أي ذو الصدق وهو النبي صلى الله عليه وسلم والصدّيق أبو بكر رضى الله عنه لم يرما أي لم يبرحا وأرم بمعنى أحد اللازم للنفي . وفي البيت من البديع الجناس المشتق في قوله الصدق والصديق وفيه رد العجز على الصدر في قوله لم يرما وأرم .

[الاعراب] فالصدق مبتدأ على تقدير مضاف أي ذو الصدق في الغار متعلق بيرما والصديق معطوف على الصدق وجملة لم يرما بفتح الياء التحتية وكسر الراء المهملة والميم خبر المبتدا وما عطف عليه

وشق صدر المصطفى وهو في ـ دار بني سعد بلا مرية
كشقه وهو ابن عشر ثم في ليلة معراج وعند البعثة

وزيد خامسة عند عشرين سنة لكنها لم تثبت وقوله مبرورة القسم أي إن القسم عليها مبرور فيه يقال بر في يمينه إذا صدق فيها والتبادر أنه صفة للنسبة لكن جعلوه صفة لموصوف محذوف دل عليه السياق والتقدير يمينا مبرورة القسم وفيه شيء لأن اليمين بمعنى القسم فيصير التقدير قسما مبرور القسم ولا يخلو عن ركة إلا أن يقال إنه من باب الاظهار في مقام الاضمار وقد علمت ما فيه الغنية عن ذلك (قوله وماحوى الغار الخ) أي واذكر ما حوى الغار الخ أو وأقسمت بما حوى الغار الخ وعلى الثاني فجواب القسم معلوم مما قبله والغار ثقب في الجبل وكان في جبل ثور بأسفل مكة وقوله من خير ومن كرم بيان لما حوى الغار وظاهره أن المراد نفس الصفتين من غير تقدير مضاف وعليه فما باقية على معناها كما ذكره بعضهم والأظهر جعله على حذف مضاف أي من ذي خير ومن ذي كرم وعلى هذا فما بمعنى من لأن ما لغير العاقل ومن للعاقل والمراد بالخير الأخلاق الحميدة وبالكرم الجود فهما متغايران تغاير الأعم والأخص وكل منهما لكل من النبي صلى الله عليه وسلم ومن أبي بكر ويحتمل أن الأول للنبي صلى الله عليه وسلم والثاني لأبي بكر وعلى هذا فإنما خصه بالكرم لأنه آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وماله ولذلك لما أتيا الى الغار تقدم أبو بكر في الدخول لاحتمال أن يكون فيه ما يؤذى فيتلقاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد شيئا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر وكان هناك جحر فيه حيات وأفاعي فخشى أبو بكر أن يخرج منه شيء يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم فألقمه قدمه فجعلت الحيات والأفاعي يضربنه ويلسعنه ولم يتحرك مخافة أن يوقظ النبي صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا بكر ما يبكيك قال لدغت فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده لكنه كان يعاوده ذلك حتى كان سبب موته على المشهور وفي بعض التواريخ أنه مات بسم آخر لأنه أكل مرة مع أعرابي فقال له الأعرابي ارفع يدك ياخليفة رسول الله فان هذا الطعام فيه سم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد وكان كذلك وقوله وكل طرف الخ أي والحال أن كل طرف الخ فالواو للحال والطرف بسكون الراء هو البصر وقوله عنه أي عما حوى الغار وقوله عمى يحتمل جعله فعلا وجعله اسما وقد لبث النبي وأبو بكر في الغار ثلاث ليال وجاء الكفار حوالى الغار ينظرون فأعماهم الله تعالى قال أبو بكر نظرت الى أقدامهم فوق رؤوسنا فقلت يارسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا فقال ماظنك باثنين الله ثالثهما وفي التنزيل ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا (قوله فالصدق الخ) أي فذو الصدق الخ فهو على حذف مضاف

وأصل يرما يريمان حذفت النون للجازم والياء للضرورة وهم مبتدأ والضمير للكفار يقولون خبره ماحرف نفي بالغار خبر مقدم لمبتدا مؤخر من حرف جرزائد أرم بفتح الهمزة وكسر الراء المهملة مبتدأ مؤخر والجملة مقول يقولون . [ومعنى البيت] فالنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله تعالى عنه لم يبرحا في الغار والكفار لاينظرونهما ويقولون ليس أحد في الغار لما رأوا نسج العنكبوت على فم الغار وحوم الحمام عليه .

ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى ... خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسِجْ وَلَمْ تَحُمِ

ظنوا أي حسبوا والحمام اسم جنس جمعي واحده حمامة تقع على الذكر والأنثى وهي ذوات الأطواق والعنكبوت واحد العناكب والبرية الخليقة والنسج الحياكة والحوم الطواف. [الاعراب] ظنوا (٥١) فعل وفاعل والضمير للكفار الحمام مفعول أول وظنوا العنكبوت فعل وفاعل ومفعول أول على خير متعلق بتنسج البرية بياء موحدة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وياء تحتية مشددة مضاف إليه لم تنسج بفتح المثناة الفوقية وكسر السين المهملة وضمها والجيم فعل مضارع وفاعله ضمير العنكبوت جملة في موضع المفعول الثاني لظنوا الثانية ولم تحم بفتح التاء الفوقية وضم الحاء المهملة فعل مضارع وفاعله ضمير الحمام متعلقه محذوف والجملة في موضع المفعول الثاني لظنوا الأول والتقدير ظنوا الحمام لم تحم على خير البرية وظنوا العنكبوت لم تنسج على خير البرية وفي البيت من البديع اللف والنشر على خلاف الترتيب وفيه التكرير في قوله ظنوا وظنوا وفيه رد العجز على الصدر في قوله الحمام وتحم .

[ومعنى البيت] أن الكفار لما رأوا الحمام حامت على الغار والعنكبوت نسجت عليه في ساعة واحدة ظنوا أن خير البرية وصاحبه ليسا في الغار لظنهم استبعاد حوم الحمام حول الغار ونسج العنكبوت عليه في وقت لايسع ذلك .

مضاف أو يؤول الصدق بالصادق أو يجعل من باب المبالغة وقوله والصديق أي في الغار ففيه الحذف من الثاني لدلالة الأول وقوله لم يرما بكسر الراء أي لم يبرحا وأصله لم يريما حذفت منه الياء تبعا لحذفها في اسناده إلى المفرد كما في قولك زيد لم يرم فان أصله يريم حذفت منه الياء مع الجازم لالتقاء الساكنين وقوله وهم يقولون الخ أي والحال أنهم يقولون الخ والضمير راجع للكفار المعلومين من السياق وجملة قوله مابالغار من أرم مقول القول وأرم بفتح الهمزة وكسر الراء بمعنى أحد وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله ومن زائدة وإنما قالوا ذلك لكونهم رأوا الحمام حول الغار ونسج العنكبوت على فمه فظنوا أنهما ليسا فيه كما أشار إليه الناظم بالبيت بعد هذا وذلك أنه تقدم رجل منهم فنظر حمامتين على فم الغار فقال ليس في الغار شيء رأيت حمامتين على فم الغار فعرفت أنه ليس فيه أحد فقال رجل آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وماأربكم بالغار أي وماحاجتكم به إن فيه عنكبوتا أقدم من ميلاد محمد (قوله ظنوا الحمام الخ) هذا البيت كالتعليل لما قبله كما علمت وقوله على خير البرية متعلق بقوله لم تنسج أو بقوله لم تحم وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة الأول أو بالعكس وقوله لم تنسج بكسر السين وضمها راجع للعنكبوت وقوله ولم تحم بضم الحاء راجع للحمام ففيه لف ونشر مشوش وسبب ظنهم ذلك أن هذين الحيوانين مق أحسا بالإنسان فرا منه وليعلموا أن الله تعالى يحفظ من شاء من عباده بما شاء من خلقه (قوله وقاية الله الخ) أي حفظ الله لهما من الكفار أغناهما عن مضاعفة من الدروع بأن يلبس الشخص درعا فوق درع للحفظ من العدو أو أن تنسج الدرع حلقتين وتلبس للحفظ من العدو فالمراد بالمضاعفة من الدروع أن يلبس الشخص درعا فوق درع وقيل أن تنسج الدرع حلقتين وقوله عن عال من الأطم أي وأغنت عن عال من الحصون التي يتحصن فيها من العدو فالأطم بضم الهمزة والطاء بمعنى الحصون جمع

وِقَايَةُ اللهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ ... مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأُطُمِ

الوقاية الحفظ وأغنت أجزأت والدروع المضاعفة المنسوجة حلقتين حلقتين تلبس للحفظ من العدو والأطم الحصون والواحدة أطمة ويجمع أيضا على آطام . [الاعراب] وقاية الله بكسر الواو مبتدأ ومضاف إليه وجملة أغنت بالمعجمة خبره عن مضاعفة متعلق بأغنت من الدروع بمهملات متعلق بمحذوف نعت مضاعفة وعن عال معطوف على مضاعفة من الأطم بضم الهمزة والطاء المهملة متعلق بمحذوف نعت عال . [ومعنى البيت] حفظ الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ولصاحبه رضى الله عنه من العدو بهذا الغار أجزأ عن الدروع المضاعفة وعن الحصون العالية كل ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم .

مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ ... إِلَّا وَنِلْتُ جِوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضَمِ

وَلَا الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ ... إِلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

سامني أى كلفنى وأولانى والدهر الزمان والضيم الظلم وفى نسخة ماضامنى الدهر يوما واستجرت أى طلبت أن يجيرنى ونلت أى حصلت والجوار بضم الجيم والأفصح كسرها القرب والمراد هنا الرعاية ولم يضم ولم يحقر والالتماس الطلب والغنى اليسار ضد الفقر والدارين الدنيا والآخرة من يده أى نعمته وإحسانه واستلمت الندى أى أخذت العطاء وفى البيت الأول من البديع الجناس المشتق فى قوله استجرت وجوارا ، وفى البيت الثانى جناس القلب فى قوله التمست واستلمت وفيه رد العجز على الصدر فى قوله التمست ومستلم وفيه التورية المرشحة فى قوله يده فإن معناها القريب العضو والبعيد النعمة والمرشح للقريب قوله مستلم [الاعراب] ما حرف نفى سامنى بالمهملة فعل ماض متعد لاثنين أولهما ياء المتكلم المتصلة به الدهر فاعل سامنى ضيما بالمعجمة المفتوحة مفعول سامنى الثانى واستجرت فعل وفاعل معطوف على سامنى الدهر به متعلق باستجرت والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم إلا حرف إيجاب ونلت بكسر النون وضم التاء فعل وفاعل فى موضع الحال من ضمير المتكلم ومنع ابن مالك اقتران الماضى الواقع حالا بالواو وأجازه غيره جوارا بكسر الجيم أفصح من ضمها مفعول نلت منه نعت جوارا والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم لم يضم بضم الياء التحتية وفتح الضاد المعجمة نعت جوارا أيضا ولا نافية التمست بضم التاء فعل وفاعل غنى بكسر الغين المعجمة والقصر مع التنوين مفعول التمست وهو مضاف والدارين بالتثنية مضاف إليهما من يده متعلق بالتمست والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم حال إلا حرف إيجاب استلمت بضم التاء فعل وفاعل فى موضع الحال من ضمير المتكلم الندى بفتح النون والقصر مفعول استلمت من خير متعلق باستلمت مستلم بفتح التاء واللام مضاف اليه [ومعنى البيتين] ما نالنى ضيم واستجرت بالنبى صلى الله عليه وسلم إلا كنت نائلا جوارا محترما ولا طلبت من فضله غنى فى الدنيا بالكفاية وفى الآخرة بالسلامة إلا كنت آخذا العطاء من خير مطلوب منه فإنه لا يرد سائله.

لَا تُنْكِرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ ... قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ

أطمة وهى الحصن وفى هذا البيت إشارة الى قوله تعالى إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا الآية (قوله ماضامنى الدهر يوما الخ) هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها ماسامنى الدهر ضيما الخ والمعنى على الأول ماظلمنى الدهر فى يوم الخ وعلى الثانى ما أرادنى وقصدنى الدهر بظلم الخ وعلى كل فلا بد من تقدير مضاف أى أهل الدهر وإلا فالدهر لا يظلم ولا يريد الظلم وإن جرت عادة العرب بنسبة الظلم اليه لوقوعه فيه وقوله واستجرت به أى طلبت منه أن يجيرنى من ذلك فالسين والتاء للطلب وقوله إلا ونلت جوارا منه أى إلا وأعطيت جوارا بكسر الجيم وضمها أى حمى وحفظا من الرسول وقوله لم يضم بالبناء للمجهول أى لم يحتقر بل يحترم [قوله ماضامنى الخ هو والذى بعده] فائدتهما أن من كان مسجونا أو خائفا من سلطان وداوم على قراءتهما سبع عشرة مرة بعد كل صلاة فان الله يفرج عنه همه ويجعل له من أمره مخرجا (قوله ولا التمست الخ) معطوف على قوله ماضامنى الدهر الخ والالتماس عند بعضهم اسم للطلب من المساوى والمراد منه هنا الطلب بخضوع وذلة وقوله غنى الدارين أى دارى الدنيا والآخرة والمعنى فى الأولى بالكفاية وفى الثانية بالسلامة من العذاب وقوله من يده أى من نعمته فالمراد من اليد هنا النعمة وقيل المراد منها الذات الكريمة وقوله الا استلمت أى إلا أخذت فالمراد بالاستلام هنا الأخذ كما فى قولهم استلمت معروفه على سبيل التجوز لأنه فى الأصل اللمس باليد أو الفم كما فى قولهم استلمت الحجر وقوله الندى بفتح النون مع القصر وهو العطاء والكرم وقوله من خير مستلم بفتح اللام أى من خير مستلم منه فصلته محذوفة والمستلم منه هو المأخوذ منه وإنما كان صلى الله عليه وسلم خير مستلم منه لأنه لا يرد سائله وبيده خير الدنيا والآخرة فان قيل إخباره عن نيل غنى الدنيا منه صلى الله عليه وسلم صحيح لأنه مشاهد فى الحس بخلاف إخباره عن نيل غنى الآخرة منه صلى الله عليه وسلم فانه غير مشاهد فى الحس فكيف يصح إخباره عنه ؟ . أجيب بأنه مشاهد بقوة يقين الإيمان . وفى هذا البيت والذى قبله براعة الطلب وهى كما قاله الزنجانى فى كتاب المعيار أن يلوح بالطلب بألفاظ عذبة خالية عن الإجحاف مقترنة بتعظيم الممدوح تشعر بما فى النفس دون كشفه وقيود هذا الحد كلها موجودة فى هذين البيتين (قوله لا تنكر الوحى الخ) هذا شروع فى مبدإ الوحى وقوله من رؤياه حال من الوحى ومن للابتداء أى لا تنكر الوحى

وَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمِ

الانكار الجحد والوحى مايلق اليه من الأحكام ورؤياه مايراه فى نومه ونوم العين فترة طبيعية تعترى الحيوان تتعطل بها حواسه ونوم القلب تعطيل القوى المدركة وذلك إشارة الى الوحى من رؤياه والبلوغ الوصول والمحتلم البالغ العاقل. [الاعراب] لاناهية تنكر بكسر الكاف فعل مضارع وفاعله مستتر الوحى مفعول به من رؤياه متعلق بتنكر ومن بمعنى فى والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم إن بكسر الهمزة وتشديد النون حرف توكيد له خبرها مقدم قلبا اسمها مؤخر إذا ظرف للمستقبل وفيه معنى الشرط منصوب بينم نامت العينان جملة فعلية من فعل وفاعل مجرورة المحل بإضافة إذا اليها لم ينم جملة فعلية من فعل مضارع وفاعل مستتر يعود إلى قلبا لامحل لها لأنها جواب إذا وهو شرط غير جازم وذا اسم إشارة مبتدأ والكاف حرف خطاب حين منصوب باستقرار محذوف خبر المبتدإ بلوغ بالتنوين مضاف اليه من نبوته متعلق ببلوغ فليس فعل ماض ناقص ينكر بالبناء للمفعول ونائب الفاعل مستتر فيه يعود الى حال فيه متعلق بينكر والضمير يرجع الى حين بلوغ والجملة خبر ليس مقدم على اسمها حال اسمها مؤخر محتلم بكسر اللام مضاف اليه [ومعنى البيتين] لاتنكر أيها المعاند وقوع الوحى اليه صلى الله عليه وسلم فى منامه فإنه إذا نامت عيناه لاينام قلبه كما صح فى حديث الصحيحين عنه أنه قال «إن عينى تنامان ولاينام قلبى» ورؤياه الوحى وقت وصوله الى النبوة وذلك على رأس أربعين سنة من مولده صلى الله عليه وسلم وهذا الزمان لاتنكر فيه رؤيا محتلم الوحى فى نومه .

حال كونه مبتدأ من رؤياه فى النوم فان بدء الوحى كان بالرؤيا الصالحة فى النوم وكان صلى الله عليه وسلم لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وقوله إن له قلبا الخ تعليل لما قبله أى إن له صلى الله عليه وسلم قلبا له اليقظة الدائمة حتى إذا نامت عيناه الشريفتان لم ينم قلبه لأنه مهبط الوحى وقد شق وطهر من التعلق بغير الله وملئ حكمة وإيمانا فصارت اليقظة الدائمة من صفاته فحسن أن يخاطب ويتعلق به الوحى وقد ورد فى الصحيحين إن عينى تنامان ولاينام قلبى لايقال يشكل على ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم نام مع أصحابه فى الوادى فلم يوقظهم الاحر الشمس لأنا نقول نظر القلب إنما هو فيما غاب عن الشاهد ومشاهدة طلوع الشمس من وظيفة العين وقد كانت أخذت حظها من النوم [وهذا البيت والذى بعده] فائدتهما الخفة من المرض من كتبهما فى صحيفة فخار ومحاهما بشراب العرقسوس وشربهما على الريق فانه يخف بإذن الله تعالى (قوله وذاك الخ) لما كان البيت المتقدم يوهم أن الوحى من رؤياه فى النوم دائم دفع ذلك بقوله وذاك الخ واسم الإشارة راجع للوحى من رؤياه فى النوم وقوله حين بلوغ من نبوته أى حين وصول الى نبوته فالبلوغ بمعنى الوصول ومن بمعنى الى والمعنى والوحى من رؤياه فى النوم كائن وحاصل حين الوصول الى نبوته وحكمة ذلك الاستئناس بملاقاة الملك فى النوم ليطيق ذلك فى اليقظة بعد إذ لو جاء فى اليقظة ابتداء لأمكن أن لايطيق ملاقاته فلما استأنس بذلك أتاه فى اليقظة وقوله فليس الخ تفريع على قوله وذاك حين بلوغ الخ وينكر بالبناء للمفعول وحال محتلم نائب فاعل والضمير من قوله فيه للحين المذكور وفى بعض النسخ منه بدل فيه والضمير عليه للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد بحال المحتلم الوحى من رؤياه فى النوم لأن المحتلم هو النائم وحاله مايراه فى نومه . والحاصل أن ذلك إنما كان فى ابتداء النبوة وقد نبئ على رأس أربعين سنه وذلك حد مبدإ النبوة وإذا كان كذلك فلاينكر الوحى من رؤياه حينئذ وإن كانت مرتبته صلى الله عليه وسلم أعلى المراتب وكان مقتضى ذلك أن لا يكون الوحى إليه فى النوم لأن الوحى فى النوم أدنى من الوحى فى اليقظة (قوله تبارك الله الخ) هذا البيت استدلال على ماقبله ومعنى تبارك الله تنزه الله وتعالى وارتفع عما يقوله الكافرون علوا كبيرا وقوله ماوحى بمكتسب أى ليس وحى وإن قل بمكتسب لأحد بسعيه فيه بأن يحصله بأسباب لأن اكتساب الشىء تحصيله بأسبابه التى جرت العادة

تَبَارَكَ اللهُ مَا وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ وَلَا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ

تبارك أى تعالى وتعاظم والاكتساب طلب الشىء بمباشرة أسبابه التى جرت العادة الغالبة بحصوله عقبها والغيب مالايستبد العقل بادراكه ولا الحس ولا كلاهما والتهمة الريبة . [الاعراب] تبارك فعل ماض جامد الله فاعله ماحرف نفى وحى اسمها بمكتسب بفتح السين المهملة خبرها ولاحرف نفى نبى اسمها على غيب بفتح الغين المعجمة متعلق بمتهم بفتح التاء خبره والباء زائدة فى الموضعين [ومعنى البيت] ليس الوحى مكتسبا لنبى من الأنبياء وليس نبى بمتهم فيما يخبر به عن غيب فان جميع الأنبياء معصومون من الرذائل

الغالبة بحصوله عقبها وإذا لم يكن مكتسبا بل بتخصيص الله به من يشاء من عباده فلاينكر وقوعه فى الرؤيا كما لاينكر وقوعه فى اليقظة فان فعل الفاعل المختار لايختص بحالة دون الأخرى فالذى عليه أهل الحق أن الوحى ليس مكتسبا خلافا لزاعمى ذلك وهم الفلاسفة فانهم زعموا أنه مكتسب بالخلوة والرياضة وهو كفر صراح فيجب الإيمان بأن ذلك بمحض فضل الله قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته ومثل الوحى الولاية فليست مكتسبة أيضا بل بفضل الله يؤتيه من يشاء وقوله ولانبى على غيب بمتهم أى ولانبى من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمتهم على إخبار غيب أى على الإخبار بأمر غائب فهو على تقدير مضاف والغيب بمعنى الغائب وهو صفة لموصوف محذوف وإنما لم يكن النبى متهما على الإخبار بالغيب لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب كسائر المعاصى ولا يرد قوله تعالى ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك ونحو ذلك لأن مايقع منهم من باب حسنات الأبرار سيآت المقربين فان المقرب أعلى درجة من البار فإذا فعل البار حسنة يراها المقرب سيئة ومثلوا ذلك بما إذا تصدق البار برغيف وأبقى عنده رغيفا آخر فان هذا حسنة عنده لكن يراها المقرب سيئة لكون الأولى عنده أن يتصدق بالرغيفين معا وفى ذلك إشارة الى قوله تعالى وماهو على الغيب بظنين أى بمتهم والى قوله تعالى وماينطق عن الهوى إن هو الاوحى يوحى . والحاصل أن الأنبياء معصومون من الكبائر وصغائر الخسة باجماع ومن صغائر غير الخسة على ماعليه المحققون والراجح أنهم معصومون منها قبل النبوة وبعدها خلافا لمن جوزها عليهم قبل النبوة ولما وقع منهم محامل فأماقصة آدم وهى أنه أكل من الشجرة وقد نهاه الله عنها فمحمولة على أنه تأول النهى مع أنه وإن كان منهيا ظاهرا هو مأمور باطنا لحكمة يعلمها الله تعالى فهى معصية لا كالمعاصى وأما قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم هذا ربى فقد ذكره مجاراة لهم أى هذا ربى بزعمكم وغرضه بذلك التوصل لبطلانه بلزوم المحال ولذلك قال فلما أفل قال لا أحب الآفلين فكأنه قال لوكان ربا لما أفل لكنه أفل فليس برب وأما ما صدر من إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام فلايرد لأنه قد اختلف فى نبوتهم فعلى القول بعدم نبوتهم لا اشكال وعلى القول بنبوتهم فيؤول ماصدر منهم بما أولت به قصة آدم وأما همّ يوسف بزليخا فهو أمرجبلى لا اختيارى حتى يكون مذموما والرغبة فى النساء محمودة إذعدمها يدل على العنة وهى نقيصة ولما هم يوسف بمقتضى الجبلة امتنع لكونه رأى برهان ربه وذلك معنى قوله تعالى وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وأماقصة داود عليه الصلاة والسلام وهى أنه خطر بباله أنه إن مات وزيره فى الحرب تزوج بزوجته لما علم من حسنها فأرسل الله إليه ملكين فى صورة رجلين اختصما إليه الى آخر القصة المذكورة فى سورة ص فلا ترد أيضا لأن ماوقع منه ليس معصية لكنه غيرلائق بمقامه ولذلك عوتب عليه وبكى حتى نبت العشب من دموعه وذكر بعض المفسرين أن جماعة من الناس حقيقة تسوروا قصره ليقتلوه فلما رآهم خاف كما قال الله تعالى ففزع منهم وإنما

خاف لما تقرر فى العرف من أنه لا يتسور دور الملوك من غير اذنهم الاذوربة فلما رأوه مستيقظا خافوا من فعلهم واخترعوا خصومة لا أصل لها زعما منهم أن ماقصدوه لأجلها دون ماتوهمه ثم ادعى واحد منهم على الآخر كما أخبر الله تعالى فقال داود فى الجواب لقد ظلمك بسؤال نعجتك الخ وحمل الآية على هذه القصة أولى لأن الملائكة لا يظلم بعضهم على بعض فيكون كلامهم كذبا ويستحيل صدور الكذب من الملائكة اه من القسطلانى ببعض تغيير واختصار [وهذا البيت والذى بعده] فائدتهما الكتابة للمصروع بين عينيه والكتابة فى خرقة زرقاء وتجعل فتيلة ويحرق طرفها بالنار وتجعل تحت أنف المصروع فمتى حصل الدخان فى أنف المصروع صاح فيخرج صارخا ويمحى الذى بين عينيه فيذهب الصارع ولا يعود أبدا وإذا خرج العارض فا كتب البيتين حرزا مع شىء من القرآن وعلقهما على المصاب فانك ترى العجب (قوله كم أبرأت الخ) أى كثيرا من المرات أبرأت الخ فكم خبرية بمعنى كثيرا ومميزها محذوف وقوله وصبا بكسر الصاد أى مريضا ويجوز فتح الصاد أى مرضا لكن على تقدير مضاف أى ذا مرض والأول أولى وهو مفعول لأبرأت وجعله بعضهم تمييزا لكم وجعل مفعول أبرأت محذوفا وقوله باللمس أى بسبب اللمس وقوله راحته فاعل بأبرأت وأشار بذلك الى ماروى من أن عين قتادة أصيبت يوم أحد ووقعت على وجنته فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له إن لى امرأة أحبها وأخشى أنها إن رأتنى على هذه الحالة قذرتنى وارتفع حبى من قلبها فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم عينه بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسها جمالا فكانت أحسن عينيه ومن أن محمد بن حاطب احترقت يده بالنار فجاء للنبى صلى الله عليه وسلم فمسح عليها فبرأت من ساعتها ومن أن شرحبيل الجعفى كانت بكفيه سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبى صلى الله عليه وسلم فما زال يبطحها بكفه حتى لم يبق لها أثر وغير ذلك من وقائع كثيرة وقوله وأطلقت أى وحلت راحته وقوله أربا بفتح الهمزة وكسر الراء بوزن فرحا أى ذا أرب وحاجة وهى أعم من أن تكون عطاء أو شفاء أو خلوصا من إثم وبعضهم ضبطه بضم الهمزة وفتح الراء وفسره بالعقد وقوله من ربقة اللمم أى من عقدة الجنون فالربقة بكسر الراء وسكون الموحدة العقدة واللمم بفتح اللام الجنون ويصح تفسيره بالذنوب والمعاصى وفى الكلام استعارة تصريحية حيث شبه تعلق الجنون أو الذنوب والمعاصى بالإنسان بالحبل الذى فيه عرا تربط فيها أعناق الغنم لئلا تذهب واستعير لفظ المشبه به وهو الربقة للمشبه وأشار بذلك الى ماروى من أن امرأة أتت النبى صلى الله عليه وسلم بابن لها به جنون فمسح بيده المباركة صدره فثع ثعة بالمثلثة والعين المهملة أى قاء قيئة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود وبرىء لوقته (قوله وأحيت السنة الشهباء الخ) أى وأخصبت السنة الشهباء الخ ففيه استعارة تصريحية تبعية لأنه شبه الاخصاب بالاحياء واستعار اسم المشبه به للمشبه واشتق من الإحياء بمعنى الإخصاب

أبرأت أى شفت وصبا بكسر الصاد أى مريضا وبفتحها المرض واللمس المس باليد والراحة بطن الكف وأطلقت أى خلصت أربا بكسر الراء أى محتاجا ومنه أرب الرجل إذا تساقطت أعضاؤه والأرب بالفتح الحاجة والربق بالكسر حبل له عدة عرا يشد به الواحدة من العرا ربقة والجمع رباق واللمم صغار الذنوب والمراد به الجنون .

[الاعراب] كم خبرية موضعها نصب على أنها مفعول فيه أو مطلق أى كم وقتا أو مرة أبرأت فعل ماض وتاء تأنيث وصبا بكسر الصاد المهملة مفعول به وبفتحها على حذف مضاف أى ذا وصب باللمس متعلق بأبرأت راحته فاعل أبرأت وأطلقت معطوف على أبرأت وفاعله مستتر فيه يعود الى راحته أربا بفتح الهمزة وكسر الراء مفعول أطلقت وبفتح الراء على تقدير مضاف أى ذا أرب من ربقة بكسر الراء وفتح القاف بينهما باء موحدة ساكنة متعلق بأطلقت اللمم بفتحتين مضاف اليه .

[ومعنى البيت] أنه صلى الله عليه وسلم مامسح براحته الشريفة على مريض الاعوفى ولا على من علق به داء الا خلصه الله تعالى منه فمن الأول ماروى أنه صلى الله عليه وسلم مسح على عين قتادة بعد ماعميت فردها الله تعالى عليه فكانت أحسن عينيه ومن الثانى ماروى أن امرأة أتت بصبى لها به عاهة فمسح على رأسه فشفاه الله تعالى وما روى أن رجلا سقط من علو فانكسرت رجله فمسحها صلى الله عليه وسلم فكأنه لم يشكها قط وذلك كثير .

وَأَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِى الْأَعْصُرِ الدُّهُمِ

. بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتُ الْبِطَاحَ بِهَا سَيْبٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ الْعَرِمِ

أحيت من الحياة ضد الممات والسنة واحدة السنين والشهباء أى القليلة المطر سميت بذلك لغلبة بياض الأرض فيها بعدم النبات على سوادها بالنبات فهى بالنسبة الى البياض ميتة وحكت أى شابهت والغرة البياض فى الجبهة والأعصر جمع عصر وهو الزمان والدهم جمع أدهم وهو الأسود الشديد الزرقة والعارض السحاب وجاد أى كثر مطره وخلت أى ظننت والبطاح جمع

أبطح وهو الوادى المتسع المشتمل على الحصباء والسيب الجرى واليم البحر والعرم الوادى .

[الاعراب] وأحيت معطوف على أبرأت السنة بفتح السين المهملة والنون المخففة مفعول أحيت الشهباء بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة نعت السنة دعوته فاعل أحيت حتى حرف ابتداء حكت بفتح المهملة والكاف فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود الى السنة غرة بضم الغين المعجمة وفتح الراء المهملة مفعول حكت فى الأعصر بفتح الهمزة وسكون العين وضم الصاد المهملتين متعلق بحكت الدهم بضمتين نعت الأعصر وصف الزمان بالسواد لبيان سوء الحال بعارض متعلق بحكت والباء للسببية جاد بالجيم والدال المهملة فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود الى عارض وجملة جاد نعت عارض أو حرف عطف وغاية خلت بكسر الخاء المعجمة وضم التاء فعل وفاعل البطاح مفعول أول بها خبر مقدم سيب بالسين المهملة وبالمثناة التحتية والباء الموحدة مبتدأ مؤخر والجملة فى موضع المفعول الثانى لخلت والسيب بكسر السين مجرى الماء كما قال ابن السكيت وبالفتح العطاء والمعنى هنا على الأول من اليم بفتح الياء التحتية وتشديد الميم نعت سيب أو سيل بفتح السين المهملة وسكون المثناة التحتية معطوف على سيب من العرم بفتح العين وكسر الراء المهملتين فى موضع النعت لسيل . [ومعنى البيتين] وكم أحيت دعوته السنة المجدبة حتى شابهت تلك السنة بياضا فى الأزمنة السود لشدة خضرة الزرع فيها حتى يرى أنه أسود بسبب سحاب عارض جاد بالمطر الكثير الى أن ظننت الوادى المتسع ماء جاريا من البحر أو سائلا من الوادى وفى البيت الأول المجاز فى استعمال الحياة للنبات وفى البيت الثانى الجناس الناقص فى قوله سيب وسيل والتضمين وهو تعلق بعارض بحكت فى البيت قبله .

أحيت بمعنى أخصبت أو استعارة بالكناية وتخييل لأنه شبه السنة الشهباء بإنسان ميت تشبيها مضمرا فى النفس وحذف لفظ المشبه به ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو الإحياء ولا يخفى أن السنة مفعول مقدم ودعوته فاعل مؤخر والشهباء صفة للسنة وهى قليلة المطر سميت بذلك لأنها تشبه الفرس الشهباء وهى التى يغلب بياضها على سوادها وإنما أشبهتها لغلبة بياض الأرض فيها لعدم النبات على سوادها بالنبات وقوله دعوته أى بالسقيا وقوله حتى حكت غرة فى الأعصر الدهم غاية لقوله وأحيت الخ وغرة بالنصب على أنه مفعول لحكت وغرة كل شىء أحسنه والأعصر جمع عصر وهو الزمن والدهم بضم الدال والهاء أدهم وهو الأسود لسواد الأرض فيه بالزرع شديد الخضرة حتى يرى أنه أسود فتلك السنة كثر خصبها جدا حتى كأنها غرة فى تلك الأعصر وأشار بذلك إلى مارواه الشيخان عن أنس أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم أغثنا ثلاثا ومانرى فى السماء من سحاب ولاقزعة بفتح القاف والزاى أى قطعة سحاب فطلعت سحابة ثم أمطرت والله مارأينا الشمس سبتا ثم دخل رجل فى الجمعة الأخرى ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا فرفع يديه ثم قال اللهم حوالينا ولاعلينا الخ فأقلعت أى انكشفت وخرجنا نمشى فى الشمس وسئل أنس أهو الرجل الأول قال لا أدرى (قوله بعارض الخ) أى أحيت السنة الشهباء دعوته بعارض الخ فالجار والمجرور متعلق بأحيت ويصح تعلقه بحكت والمراد بالعارض السحاب الذى أرسله الله تعالى بسبب دعوته صلى الله عليه وسلم وقوله جاد أى جاد هذا العارض وهو السحاب بالمطر الكثير وفى قوله جاد نوع احتراس لأن العارض قد يكون مهلكا وقد يكون الاحتراس فى قوله وأحيت وقوله أوخلت أى أوظننت وأو بمعنى الواو وإنما عبر بأو ليستقيم الوزن وبعضهم جعلها بمعنى الى فالمعنى الى أن ظننت كما فى قول الشاعر :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال الا لصابر .

فأو فيه بمعنى الى والمعنى الى أن أدرك المنى وقوله البطاح بالنصب على أنه مفعول أول لقوله خلت وجملة قوله بها سيب من اليم أوسيل من العرم سدت مسد المفعول الثانى والبطاح جمع أبطح وهو الوادى المتسع الذى فيه دقاق الحصا والضمير فى قوله بها راجع للبطاح

دَعْنِي وَوَصْفِيَ آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ ظُهُورَ نَارِ القِرَى لَيْلاً عَلَى عَلَمِ
فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْناً وَهْوَ مُنْتَظِمٌ وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظِمِ

للبطاح والسيب الجرى واليمّ البحر ومن الدخلة عليه ابتدائية والعرم بفتح العين وكسر الراء فى الأصل اسم لما يمسك الماء من بناء وغيره وهو أيضا اسم لواد ومن الداخلة عليه للابتداء وهذا مأخوذ من قوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم أى سيل الوادى المسوك بالسد الذى بنته بلقيس وهو بناء عظيم محكم على ماذكره أهل التفسير والتاريخ وإنما خص اليمّ بالسيب والعرم بالسيل لأن ماء اليم لكثرته يجرى فى الأرض المنبطحة الى أسفل والى فوق وماء العرم غالبا إنما يقع فى أعلى الأرض فلايجرى الاسائلا وأوالثانيــة للتخير فالمعنى أنت بالخيار فاما أن تشبه الماء الــكائن على سطح الأرض بسيب البحر وإما أن تشبهه بسيل السـد أوللتشـكيك فالناظر يتشـكك فى المـاء الـكثير الـكائن على سطح الأرض هل هو سيب من البحر أوسيل من السد (قوله دعنى الخ) لما ذكر الناظم جملة من معجزاته صلى الله عليه وسلم قدر أن العدوّ المعاند والـكافر الجاحد قال له كف عن ذكر هذه الآيات التى لانسلمها فأجابه بقوله دعنى الخ كأنه يقول له كيف تنـكرها ولاتسلمها وقد ظهرت ظهورا تاما وقوله ووصفى آيات أى ذكرى لها بالنظم أخذا مما يأتى وهو معطوف على الياء من دعنى أومفعول معه أى اتركنى وذكرى آيات أومع ذكرى آيات والمرادبالآيات المعجزات الدالة على نبوته صـلى الله عليـه وسلم وهو مفعول لوصفى وقوله له متعلق بمحذوف صفة لآيات أى آيات كائنة له صـلى الله عليـه وسلم أومتعلق بقوله ظهرت الواقع صفة للآيات ووصفها بذلك كاشف لأن الظهور لازم لـكل آية من آياته صلى الله عليه وسلم ويصح أن يكون احترازا عما ثبت بالآحاد فـكأنه يقول للمنـكر أنا لاأصف الامالايمكن إنـكاره لثبوته بالتواتر وأما ماثبت بالآحاد فلا لأنه يمكن إنـكاره وقوله ظهرت ظهور نار القرى أى ظهرت ظهورا مثل ظهور نار القرى بكسر القاف الذى هو الضيافة وقوله ليلا ظرف لظهور نار القرى وقوله على علم أى على جبل وقدجرت عادة الـكرام من العرب بايقاد تلك النار على الجبـل ليهتدى الضيفان الى منازلهم والتنـكير فى الليل والعلم للنوعية أى ليلا حالـكا أى شديد السواد على علم شامخ أى مرتفع أوللتعظيم (قوله فالدر الخ) لما كان قد يقال إذا كانت آياته صلى الله عليه وسلم ظهرت ظهور نار القرى ليلا على علم فما فائدة وصفك لها بهذا النظم أجاب بأنها وإن كانت آياته صلى الله عليه وسلم ظاهرة ظهورا تاما يزداد ظهورها بذكرها ويزداد حسنها بنظمها ولاينقص قدرها منثورة لأنه ذاتى لها فلايفارقها سواء كانت نثرا أونظما نعم مايحصل من زيادة الالتذاذ بسماعها منظومة ينقص مع الاخبار بها منثورة لأن مازيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف واستدل على ذلك بأمر محسوس يدرك فيه ماذكر بقوله فالدر الخ أى فالدر المعلوم حسنه وهو اللؤلؤ يزداد حسنا والحال أنه منتظم فى السلك لترتيبه وتنزيله فى المنازل المتناسبة وليس ينقص قدرا حال كونه غير منتظم لأن حسنه ذاتى له فلايفارقه سواء كان منظوما أوغـير منظوم نعم الحسن

دعنى اتركنى والوصف النعت والآيات العلامات والمعجزات وظهرت تبينت والقرى بالـكسر إكرام الضيف والعلم الجبل العالى على عادة العرب أنهـم يوقدون النار على رؤوس الجبال ليهتدى بها الضيف والدر اللؤلؤ المنتظم المجتمع فى سلك ونظم الـكلام ترتيبه .

[الاعراب] دعنى فعل أمر وفاعل ومفعول ووصفى مفعول معه وهو مصدر مضاف الى فاعــله وهو ياء المتـكلم آيات بمد الهمزة وكسر التاء مفعول به لوصفى له نعت آيات ظهرت فعل ماض وتاء تأنيث ظهور مفعول مطلق مبين للنوع نار مضاف اليها وهى أيضا مضافة القرى بكسر القاف وفتح الراء مضاف إليه ليلا مفعول فيــه على علم بفتحتين متعلق بظهور فالدر بضم الدال والراء المهملتين مبتدأ يزداد فعــل مضارع وفاعله مستترفيه حسنا بضم الحاء المهملة مفعول به ليزداد لأنه مطاوع زاد المتعدى لاثنين فيعتدى هو لواحد والجملة خبر المبتدا ورابطها الضمير المستتر فى يزداد وهو منتظم مبتدأ وخبر فى موضع نصب على الحال من فاعــل يزداد مرتبطة بالواو والضمير وليس فعل ماض ناقص واسمه مستترفيه يعود الى الدر ينقص فعل مضارع وفاعله مستتر قدرا مفعول به والجملة فى موضع نصب خبر ليس غير حال من فاعل ينقص منتظم بضم الميم الأولى وكسر الظاء المعجمة مضاف اليه .

[ومعنى البيتين] اتركنى معذكرى علامات ظهرت لانبى صلى الله عليه وسلم كظهور نار الضيافة فى الليــل على جبل عال فيزداد ظهورها بذكرها ويزداد حسنها بنظمها ولاينقص قدرها إذا لم تنظم كالدر فإنه إذا نظم يزداد حسنا وإذا لم ينظم لاينقص قــدره .

تطاول الى كذا طلب الوصول اليه ومد عنقه ينظر الى الشيء البعيد والآمال جمع أمل وهو الرجاء والمديح الثناء الحسن والأخلاق جمع خلق بضمتين وهو ماجبل عليه الشخص والشيم جمع شيمة وهى الغريزة والطبيعة .

[الاعراب] فما استفهام استبعادى فى موضع رفع بالابتداء تطاول بضم الواو واللام خبره آمال بعد الهمزة مضاف اليه من إضافة المصدر الى فاعله المديح بالجر مضاف اليه آمال وفى نسخة آمالى بالإضافة الى ياء المتكلم ونصب المديح إما بآمال وإما بنزع الخافض وكل منهما غير مقيس أما الأول فلان المصدر لايعمل مكسرا وأما الثانى فلأن النصب بنزع الخافض موقوف على السماع مع غيرأن وأنّ وكى الى ما متعلق بتطاول وما موصول اسمى فيه صلتها والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم من كرم بيان لما متعلق بما تعلق به المجرور قبله الأخلاق بفتح الهمزة مضاف اليه والشيم بكسر الشين المعجمة وفتح الياء التحتية معطوف على الأخلاق عطف مؤكد على مؤكد .

[ومعنى البيت] إذا كانت آياته صلى الله عليه وسلم لايدرك لها غاية فكيف تصل آمال المادحين الى مافيه صلى الله عليه وسلم من استقصاء مكارم الأخلاق والشيم التى جبل عليها :

آياتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثَةٌ
قَدِيمَةٌ صِفَةُ المَوْصُوفِ بِالقِدَمِ

آيات جمع آية من القرآن محدثة أى إنزالها أخذا من قوله تعالى ومايأتيهم من ذكر من الرحمن محدث أى انزاله قديمة أى قائمة بذاته تعالى والقدم ضد الحدوث والموصوف بالقدم هو الله تعالى لأنه الأول بلابداية والآخر بلانهاية [الاعراب] آيات حق مبتدأ ومضاف اليه

الحاصل عند نظمه لما يحصل له من الترتيب والتناسب ينقص عند عدم نظمه لما علمت من أن مايزيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف وكل من قوله حسنا وقوله قدرا تمييز محول عن الفاعل والتقدير فى الأول يزداد حسنه وفى الثانى وليس ينقص قدره وقد علم مما تقرر أن الواو فى قوله وهو منتظم واو الحال وأن قوله غيرمنتظم حال من فاعل ينقص وفائدة قوله وليس ينقص قدراغير منتظم الاحتراس الرافع لما يتوهم من أن ازدياد الحسن بالنظم يوجب نقص القدر عند عدم النظم (قوله فما تطاول الخ) لما كان قوله دعنى ووصفى الخ قد يوهم أن آماله تطاولت بالمديح الى استقصاء مافيه صلى الله عليه وسلم من الصفات دفع ذلك بقوله فما تطاول الخ والفاء عاطفة ويحتمل أن ما نافية وتطاول فعل ماض وآمالى فاعل والمديح منصوب بنزع الخافض والمعنى على هذا فلم تتطاول آمالى بالمديح الصادر منى الى استقصاء مافيه صلى الله عليه وسلم من كرم الأخلاق والشيم لعلمى باليأس من ذلك والعجز عما هنالك ويحتمل أن ما استفهامية فتكون للاستفهام الإنكارى وهى مبتدأ وتطاول مصدر مرفوع على أنه خبر ما الاستفهامية فإنها مبتدأ كما علمت وآمالى مضاف إليه والمديح منصوب بنزع الخافض مثل مامرّ على الوجه الأول والمعنى على هذا فما فائدة تطاول آمالى بالمديح الى تمام مافيه صلى الله عليه وسلم من كرم الأخلاق والشيم مع أنها لاتتناهى وماذكرناه من أن المديح منصوب بنزع الخافض على النسخ التى فيها آمالى بالاضافة لياء المتكلم المحذوفة لالتقاء الساكنين وفى بعض النسخ آمال بلا ياء وعليه شرح القسطلانى وجعل المديح مجرورا لأنه مضاف اليه لكن على تقدير مضاف أى آمال صاحب المديح والتطاول فى الأصل مد العنق والآمال جمع أمل وهو الرجاء وقد شبه الآمال بذى عنق يتطاول أى يمدّ عنقه الى مايريد ادراكه تشبيها مضمرا فى النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو التطاول ففى كلامه استعارة بالكناية وتخييل والمديح هو الثناء الحسن وقوله الى مافيه أى الى استقصاء مافيه صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بتطاول وقوله من كرم الأخلاق والشيم بيان لما فيه والإضافة فى ذلك من إضافة الصفة للموصوف أى من الأخلاق والشيم الكريمة والأخلاق جمع خلق بضمتين وهو الطبيعة والشيم بكسر الشين المشددة وفتح الياء جمع شيمة وهى الخلق بضمتين فعطف الشيم على الأخلاق من قبيل عطف المرادف وهو فى مقام المدح سائغ وأيضا قد يكون كرم الأخلاق عن استعمال وتكلف فرفع ذلك بقوله والشيم فهو احتراس فكأنه قال كرم أخلاقه صلى الله عليه وسلم من كرم طباعه لابالاستعمال والتكلف لذلك من غير أن يكون طبيعة [وهذا البيت الى آخر قد تنكر العين خاصيتها] لمن كان لايحسن العبادة ولمن كان ألكن لاتستقيم له حجة فليكتب هذه الأبيات فى صحيفة فخار بماء ورد وزعفران ويمحها ويشربها عند إرادة النوم وقيامه من النوم فإنه يصير فصيح اللسان وتقوى حجته ويرزقه الله القوة على العبادة بإذن الله تعالى (قوله آيات حق الخ) أى من معجزاته صلى الله عليه وسلم آيات حق الخ فآيات مبتدأ خبره مقدر قبله وهو الجار والمجرور

من الرحمن خبر أول محدثة قديمة خبر ثان وثالث وتمييزهما محذوف أى محدثة انزالا وقديمة معنى صفة الموصوف خبر رابع ومضاف اليه ومن منع تعداد الخبر قدر لكل خبر ماعدا الأول مبتدأ محذوفا بالقدم بكسر القاف وفتح الدال متعلق بالموصوف .

[ومعنى البيت] آيات حق كائنة من الرحمن محدثة النزول قديمة المعانى لأنها صفة الموصوف القديم والقديم لايوصف بحادث وفيه رد العجز على الصدر فى قوله قديمة صفة الموصوف بالقدم .

لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنَا

عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ

الاقتران المصاحبة والمعاد عود الخلق بعد إعدامه وعاد قبيلة سميت باسم أبيها وهوعادبن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاش ألف سنة ومائتى سنة ورزق من صلبه أربعة آلاف ولد وتزوج ألف امرأة ومات كافرا . وارم مدينة بناها شداد بن عاد وسبب بنائها أنه سمع بوصف الجنة ومافيها فقال لابدلى أن أبنى مثلها فبناها فى ثلثمائة سنة وجعل قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وجعل فيها أنهارا جارية وأصنافا من الشجر وعند كمالها رحل اليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا قبل وصولهم اليها .

[الاعراب] لمتقترن بالتاء الفوقية فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يعود الى آيات حق على تقدير حال محذوفة بزمان متعلق بتقترن والتقدير لمتقترن الآيات حال كونها قديمة بزمان وهى تخبرنا مبتدأ وخبر عن المعاد وعن عاد وعن ارم بكسر الهمزة وفتح الراء متعلقات بتخبرنا [ومعنى البيت] أن هذه الآيات القديمة لم تقترن بزمان وهى مشتملة على الاخبار عن المعاد قال الله تعالى ــ وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ــ وعن عاد قال تعالى ــ وإلى عاد أخاهم هودا ــ الآيات وعن إرم قال الله تعالى ــ ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ــ الآية ، وفيه الجناس الناقص بين قوله المعاد وعاد .

والمجرور وإضافة آيات لحق من إضافة الموصوف للصفة أى آيات موصوفة بأنها حق وجميع ماسيأتى الى قوله فى البيت الثانى عشر وكالميزان معدلة صفات للآيات ومايقع بين الصفات من متعلقاتها ومقصود المصنف بالذات مدح النبى صلى الله عليه وسلم لكن لما ذكر أن من معجزاته صلى الله عليه وسلم الآيات الحق التى هى القرآن استطرد بذكر صفاتها وقوله من الرحمن أى من عند الرحمن لامن عند محمد كما زعمه كفار قريش وقوله محدثة أى أحدثها الله تعالى كما جاء فى التنزيل قال تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين وقال تعالى مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون وفى بعض النسخ محكمة بدل محدثة وقد جاء بها التنزيل أيضا قال تعالى كتاب أحكمت آياته وقوله قديمة استشكل بأنه ينافى قوله محدثة على النسخة الأولى لأن الشىء لا يكون محدثا وقديما معا والا أدى الى اجتماع النقيضين وهو محال . وأجيب بأنها محدثة باعتبار الألفاظ قديمة . باعتبار المعانى فهى محدثة قديمة باعتبارين لاباعتبار واحد حتى يؤدى الى اجتماع النقيضين وهذا الجواب مبنى على أن الألفاظ التى نقرؤها تدل على الكلام القديم الذى هو صفة قائمة بذاته تعالى كما قال السنوسى وغيره من المتقدمين لكن ناقش فى ذلك العلامة ابن قاسم واختار أنها تدل على معنى مساو للمعنى الذى تدل عليه الصفة القديمة مثلا أقيموا الصلاة يدل على طلب إقامة للصلاة وبحيث لوكشف عنا الحجاب لفهمنا من الكلام القديم مثل هذا المعنى ويمكن أن يكون المراد أن هذه الألفاظ تدل على الصفة القديمة بطريق اللزوم العرفى لا العقلى لأنه يلزم عرفا من أن يكون له تعالى كلام لفظى بمعنى أنه خلقه فى اللوح المحفوظ أن يكون له كلام نفسى فإن كل من أسند له كلام لفظى لزم عرفا أن يسند له كلام نفسى إذ هو يدل عليه كما قال الاخطل :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما   جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وبهذا كله ظهر قوله صفة الموصوف بالقدم فليس المراد أن الألفاظ التى نقرؤها صفة للموصوف بالقدم الذى هو الله تعالى لأنها حادثة بل المراد أن معناها صفة له تعالى وهو مبنى على مامر والا فمعنى الألفاظ التى نقرؤها منه ماهو قديم كمدلول قوله تعالى الله لاإله الا هو الحى القيوم ومنه ماهو حادث كمدلول قوله تعالى إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين فبعضه قديم وبعضه حادث وبالجملة ففى هذه المسئلة نزاع طويل. والحاصل أن الألفاظ التى نقرؤها لها دلالتان دلالة بالوضع وهى التى اعتبرها العلامة ابن قاسم فإن المدلول بهذه الدلالة مساو للمدلول الذى تدل عليه الصفة القديمة ودلالة بالالتزام العرفى لا العقلى وهى التى اعتبرها السنوسى وغيره من المتقدمين فإن المدلول بهذه الدلالة هو الصفة القديمة فكل من المسلكين صحيح كما فى حواشى الكبرى (قوله لم تقترن الخ) أى لأنها قديمة من حيث معناها على مافيه فمدلولانها قديمة على

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ

مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ

دامت أي بقيت ولدينا عندنا وفاقت أي غلبت والمعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى وجاءت أي أتت ولم تدم أي لم تبق .

[الاعراب] دامت فعل ماض تام وفاعله مستتر فيه يعود على آيات لدينا متعلق بدامت ففاقت معطوفة على دامت كل معجزة مفعول فاقت ومضاف اليه من النبيين نعت معجزة إذ بسكون الذال المعجمة علة لفاقت وهل هي حرف أوظرف قولان جاءت فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود إلى كل معجزة والتأنيث باعتبار المضاف اليه ولم تدم جملة فعلية حال من فاعل جاءت المستتر فيه ،

[ومعنى البيت] أن هذه الآيات من معجزاته صلى الله عليه وسلم وهي باقية بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فهذه المعجزة فاقت جميع معجزات الأنبياء لأن معجزاتهم التي جاءوا بها لم تبق بعد وفاتهم وهذه باقية الى يوم القيامة

قول المعرب في الصحيفة بعد: تبقين وتغنين بالتاء الفوقية فيهما هو المشهور وصوابه بالتحتية إذ لايجمع بين التاء والنون في الغيبة لئلا يجتمع علامتا تأنيث انظر شرح المراح اه

ماعلمت والزمان حادث والقديم لايقترن بالحادث لأنه لواقترن به لكان حادثا وقوله وهي أي هذه الآيات وقوله تخبرنا عن المعاد أي عن عود الخلق بعد انعدامهم فالمعاد بمعنى عود الخلق الى الله تعالى في الدار الآخرة بعد انعدامهم في دار الدنيا وذلك كقوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وقوله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده وقوله وعن عاد أي وتخبرنا عن قبيلة عاد التي بعث اليها هود عليه الصلاة والسلام وذلك كقوله تعالى حكاية عنهم ياهود ماجئتنا ببينة ومانحن بتاركي آلهتنا عن قولك الآية وسميت هذه القبيلة باسم أبيها وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وكان عمره ألف سنة ومائتي سنة ورأى من صلبه أربعة آلاف ولد وتزوج ألف امرأة وكان كافرا يعبد القمر ثم إنه يقال للاوّلين منهم عاد الاولى ولمن بعدهم عاد الأخرى ويقال لهم أيضا ارم تسمية لهم باسم جدهم إرم وقيل إن ارم اسم أرضهم وبلدتهم التي كانوا فيها وقيل إنها مدينة بناها شداد بن عاد لبنة من فضة وأخرى من ذهب في صحن عدن لما سمع بذكر الجنة ومافيها وجعل فيها قصورا من الذهب والفضة وأساطينها أي أعمدتها من الزبرجد والياقوت وجعل فيها أنهارا مطردة وأصنافا من الشجر وأتم بناءها في ثلثمائة سنة وعند كمالها ارتحل اليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فأهلكتهم وقد أطنب المؤرخون في صفاتها وهذا خلاصة خبرها وقوله وعن ارم بكسر الهمزة وفتح الراء المهملة أي وتخبرنا عن ارم وذلك كقوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد عرفت إن ارم تسمى عادا الأخرى وارم في الآية عطف بيان على عاد ايذانا بأنهم غير عاد الأولى لكن قضية سياق الآية أن المراد بإرم البلد وهو أحد الأقوال السابقة وإنما كرر المصنف عن في الثلاثة لأنها أنواع مختلفة فلايحسن جمعها في واحد ولأن لكل أخبارا تخصه وقيل كررها للوزن وحسنه أن مقام المدح يحسن فيه الاطناب (قوله دامت لدينا الخ) أي استمرت عندنا فتسبب عن ذلك أنها فاقت كل معجزة صادرة من النبيين غير نبينا صلى الله عليه وعليهم وسلم وقوله إذ جاءت ولم تدم تعليل لقوله ففاقت كل معجزة من النبيين أي إذ جاءت عنهم ولم تستمر بل لم تظهر على أيديهم الامرة واحدة وذلك حين التحدى ثم لم تظهر بعد ذلك واليه أشار صلى الله عليه وسلم بقوله مامن نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا يتلى وهو باق على الدوام وسبب ذلك أنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فشريعته باقية الى يوم الدين فناسب أن تكون معجزته كذلك والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدى وهو دعوى النبوة أوالرسالة وهي مأخوذة من الاعجاز لأنها تعجز الخصوم عن أن يأتوا بمثلها وقد نظم بعضهم أقسام الخارق للعادة فقال :

اذا مارأيت الامر يخرق عادة   فمعجزة إن من نبي لنا صدر

وإن بان منه قبل وصف نبوّة   فالارهاص سمه تتبع القوم في الأثر

وإن جاء يوما من ولي فانه الـ   كرامة في التحقيق عند ذوي النظر

وإن

محكماتٌ فما تُبقِين مِن شُبَهٍ لِذِي شِقاقٍ وَمَا تَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ

محكمات يحتمل أن يكون من الحكم أى جعلت حاكمة باعتبار أن الأحكام تؤخذ منها أومن الحكمة أى جعلت حكيمة لاشتمالها على الحكم أومن الإحكام أى جعلت محكمة بحيث لاتحتمل النسخ

والتبديل والتناقض أومن الحكمة بفتحتين أى جعلت ممتنعات محفوظات من التحريف فماتبقين أى فما تتركن من شبه جمع شبهة وهى التلبيس وذى بمعنى صاحب والشقاق الخلاف وتبغين تطلبن والحكم بفتحتين الحاكم .

[الاعراب] محكمات نعت آيات فما حرف نفى تبقين بضم التاء الفوقية وكسر القاف فعل وفاعل والضمير للآيات من زائدة لاتتعلق بشىء شبه بضم المعجمة وفتح الموحدة مفعول تبقين لذى بكسر اللام والذال المعجمة جار ومجرور متعلق بشبه شقاق مضاف اليه ومانافية تبغين بفتح التاء الفوقية وسكون الموحدة وكسر الغين المعجمة معطوف على تبقين من زائدة لاتتعلق بشىء حكم بفتحتين مفعول تبغين.

[ومعنى البيت] أن هذه الآيات محكمة حاكمة ناصرة أهل الحق مزيلة شبه أهل الضلال فما يبقى بها شبهة لصاحب خلاف وماتطلب حاكما يحكم على مخالف الحق لظهور براهينها عليه، وفى البيت جناس الاشتقاق ورد العجز على الصدر فى قوله محكمات وحكم . وفى قوله تبقين وتبغين الجناس المحرف .

وان كان من بعض العوام صدوره فكنوه حقا بالمعونة واشتهر
ومن فاسق إن كان وفق مراده يسمى بالاستدراج فيما قد استقر
والا فيدعى بالاهانة عندهم وقدتمت الأقسام عند الذى اختبر

وزاد بعضهم السحر وقيل إنه غير خارق لأنه معتاد عند تعاطى أسبابه (قوله محكمات الخ) أى والآيات المذكورة محكمات الخ ومعنى محكمات متقنات النظم فى البلاغة والفصاحة بحيث لايقدر البشر على الإتيان بمثلها فدل ذلك على أنها من عند الله قال تعالى وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وكلهم قدعجزوا عن معارضته قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله وقد كان كثير من الكفار يسلم لما يدرك من فصاحة ألفاظه أو أن معنى محكمات ذوات حكمة ويصح فيها فتح الكاف لأن الله أحكمها أى أتى بها ذات حكمة وكسرها لأنها دالة على الحكمة قال تعالى يس والقرآن الحكيم قال الزمخشرى أى ذى الحكمة لأنه ناطق بها وقدكان كثير من الكفار يسلم بمجرد سماع مايتضمن المعانى الكثيرة من بعض آيات القرآن فى ألفاظ قليلة كما كان كثير منهم يسلم لما يدرك من فصاحة ألفاظه لأن مثل ذلك لايمكن أن يكون من كلام البشر وقوله فما تبقين من شبه لذى شقاق بضم التاء من تبقين لأنه من أبقى أى فما تترك تلك الآيات المحكمات شبها لصاحب شقاق وهو الكافر لأنه مشاق الدين إذ هو فى شق والإسلام فى شق بل تزيلها فمن زائدة فى المفعول والشبه جمع شبهة وهى مايظن دليلا وليست بدليل وإن شئت قلت كلام مزخرف الظاهر فاسد الباطن والشقاق المخالفة للحق . والحاصل أن الكافر إذا ادعى أمرا مخالفا للحق وأقام عليه شبها كان القرآن هادما لتلك الشبه ومزيلا لها لما تضمنه من الحكم والفوائد وإنما قال من شبه بصيغة الجمع ولم يقل من شبهة بصيغة المفرد وإن كان المقرر أن عموم المفرد أشمل فإنه إذا انتفى الواحد انتفى الجنس كله جمعه ومفرده بخلاف نفى الجمع فإنه لايستلزم نفى الواحد تنبيها على أن طرق الباطل شتى فكأنه يقول إن هذه الآيات لاتبقين شيئا من أنواع الشبه الكثيرة المختلفة الأنواع فما من أحد تعرض له شبهة الا ويجد شفاء منها فى القرآن فإنه الشفاء من كل داء والنجاة عند تفرق الأدواء وقوله وماتبغين من حكم بفتح التاء من تبغين أى ولاتطلبن حكما بفتحتين يعنى حاكما يحكم على ذلك المخالف للحق بأنه على خلاف الصواب لظهور براهينها عليه فمن زائدة فى المفعول كالتى قبلها فهى زائدة فى الموضعين كما أن مانافية فى الموضعين (قوله ماحوربت الخ) أى ماحورب الآتى بها وهو النبى صلى الله عليه وسلم فى الزمن الماضى الا كان النبى صلى الله عليه وسلم

مَا حُورِبَتْ قَطُّ إلاَّ عَادَ مِنْ حَرَبٍ
أَعْدَى الأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِيَ السَّلَمِ

ماحوربت أى عورضت قط ظرف لاستغراق الماضى وعاد أى رجع والحرب بفتح الراء السلب من قولهم حربت الرجل حربا سلبته والمراد هنا الشدة أعدى الأعادى أى أشد حرصا على المعاداة والأعادى جمع أعداء وأعداء جمع عدو فهوجمع الجمع والسلم بفتحتين الاستسلام والانقياد. [الاعراب] مانافية حوربت بضم الحاء المهملة وكسر الراء فعل ماض مبنى للمفعول ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه يعود الى آيات قط بفتح القاف وضم الطاء المشددة متعلق بحوربت إلاأحرف إيجاب عاد بالعين والدال المهملتين فعل ماض من حرب بفتح الحاء والراء المهملتين متعلق بعاد ومن

مضاف إليه اليها متعلق بعاد والضمير للآيات ملق بضم الميم وسكون اللام وكسر القاف حال من فاعل عاد السلم بفتح السين المهملة واللام مضاف اليه

[ومعنى البيت] أن هذه الآيات ماعارضها معارض إلا رجع من الشدة مستسلما منقادا لعجزه عن معارضتها وفى البيت جناس الاشتقاق فى موضعين فى حوربت وحرب وفى أعدى والأعادى .

رَدَّتْ بَلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا
رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِى عَنِ الْحُرَمِ

ردت أى صرفت والبلاغة فى الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته والمعارضة الإتيان بالمثل والغيور صيغة مبالغة من الغيرة والجانى من الجناية يقال جنى عليه جناية أى فعل به مكروها والحرم أهل الرجل واحدها حرمة والحرمة مالايحل انتهاكه .

[الاعراب] ردت بلاغتها فعل وفاعل دعوى مفعول معارضها مضاف اليه رد مفعول مطلق تشبيهى أى ردا مثل رد الغيور بفتح الغين المعجمة وضم الياء التحتية مضاف اليه من إضافة المصدر الى فاعله يد مفعول رد الجانى بالجيم والنون مضاف اليه عن الحرم بضم الحاء وفتح الراء المهملتين متعلق برد .

[ومعنى البيت] أن بلاغة هذه الآيات ردت من يعارضها عن معارضته ردا شديدا كرد الفحل الغيور يد الجانى عن حرمه .

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِى مَدَدٍ
وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِى الْحُسْنِ وَالْقِيَمِ

هو الغالب ورجع أشد الأعادى عداوة اليها ملق السلاح وسلم له صلى الله عليه وسلم إما بدخوله فى الإسلام وإما بتركه المحاربة من أجل شدة بلاغتها فاسناد المحاربة إليها مجاز لأن المحارب الآتى بها لاهى ويحتمل أن المراد بالمحاربة المعارضة فيكون المعنى ماعورضت فى الزمن الماضى بأن أراد أحد أن يأتى بمثلها بحسب ظنه الاعجز وعاد اليها أشد الأعادى عداوة مستسلما منقادا من أجل شدة بلاغتها فقد شبه المعارضة بالمحاربة بجامع عدم الانقياد فى كل واستعار المحاربة للمعارضة واشتق منها حوربت بمعنى عورضت على طريق الاستعارة التصريحية التبعية وقط ظرف بمعنى الزمن الماضى وعاد من أخوات كان فترفع الاسم وتنصب الخبر فأعدى الأعادى اسمها وملق السلم خبرها واليها متعلق بعاد وكذا قوله من حرب ومن فيه للتعليل فهى بمعنى من أجل وذكر بعضهم أنها للابتداء وحقيقة الحرب بفتحتين سلب المال لكن المراد به هنا الشدة أى شدة بلاغتها مجازا من باب اطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم لأنه يلزم من سلب المال الشدة ويحتمل أن المراد به سلب الحجة التى هى كالمال لأن الشخص يخاف على حجته أن تدحض وتضمحل فيفتضح كما يخاف على ماله ومعنى أعدى الأعادى أشد الأعادى عداوة والأعادى جمع أعداء وهو جمع عدو فالأعادى جمع الجمع ومعنى السلم بفتحتين السلاح أوالاستسلام والانقياد وفى التنزيل وألقوا اليكم السلم أى الاستسلام والانقياد (قوله ردت بلاغتها الخ) أى أبطلت بلاغتها دعوى معارضها الإتيان بمثلها ابطالا مبالغا فيه فإذا ادعى المعارض الإتيان بمثلها فى ظنه أبطلت بلاغتها دعواه كما وقع لمسيلمة الكذاب حيث عارض القرآن لما ادعى النبوة وأراد أن يأتى بقرآن يشبه القرآن فقال فى معارضة سورة النازعات والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا فافتضح لابارك الله فيه . والبلاغة هى المطابقة لمقتضى الحال مع الفصاحة التى هى الخلوّ من الحشو والتعقيد والغرابة وقوله رد الغيور أى ردا مثل رد الشخص الغيور الذى هو شديد الغيرة على النساء والإضافة فى ذلك من إضافة المصدر لفاعله وقوله يد الجانى مفعول للمصدر الذى هو الرد وقوله عن الحرم متعلق بالمصدر المذكور والحرم بضم الحاء المهملة وفتح الراء جمع حرمة فكونه غيورا يقتضى أن يرد ويدفع يد الجانى عنهن وإن لم يكن من محارمه بمقتضى طبعه فكيف برده يد الجانى عن حرمه هو كامرأته وأخته وغيرهما فرده عنها أشد من رده عن غيرها وظاهر كلام المصنف أن إعجاز القرآن للبشر عن الإتيان بمثله بسبب ماشتمل عليه من البلاغة التى لم يصلوا إليها وعلى ذلك فالقرآن ليس من جنس مقدورهم وهو قول الجمهور والقول الثانى أنه من جنس مقدورهم لكن الله تعالى صرفهم عن الإتيان بمثله ولذلك يسمى بقول الصرفة وهو أدخل فى الإعجاز لأن عجزهم عما هو من جنس مقدورهم أدخل فى قيام الحجة عليهم من عجزهم عما هو ليس من جنس مقدورهم لكن يلزم عليه أن إعجاز القرآن ليس بنفسه بل بالصرفة فيكون غير معجز بنفسه فالحق القول الأول (قوله لها معان الخ) أى لتلك الآيات معان كثيرة لانهاية لها بل يعد بعضها بعضا كما أشار إليه بقوله كموج البحر فى مدد

أى

فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا ... وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّأَمِ

المعانى جمع معنى وهو مايراد من اللفظ والموج الاضطراب والمدد الزيادة والقيم جمع قيمة وهو مايرغب به من ثمن المثل والعجائب جمع عجيبة وهو الشيء العديم النظير ولاتسام أى لاتوصف والإكثار الكثير الذى لاغاية له والسأم الملالة .

[الاعراب] لها خبر مقدم والضمير للآيات معان مبتدأ مؤخر كموج نعت لمعان البحر مضاف اليه فى مدد بفتحتين متعلق بالكاف لما فيه من معنى التشبيه وفوق معطوف على نعت معان جوهره مضاف اليه فى الحسن بضم الحاء وسكون السين المهملتين متعلق بمحل الظرف والقيم بكسر القاف وفتح الياء التحتية معطوف على الحسن فما حرف نفى تعد بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة فعل مضارع مبنى للمفعول ولاتحصى بالبناء للمفعول معطوف على تعد عجائبها نائب فاعل تحصى ونائب فاعل تعد مستترفيه يعود على المتنازع فيه وهو عجائبها ولاتسام بضم الفوقانية وفتح المهملة من غير همزة معطوف على تعد ونائب فاعله مستتر فيه يعود على آيات على الإكثار بكسر الهمزة بالسأم بفتح السين المهملة المشددة والهمزة المخففة متعلقان بتسام .

[ومعنى البيتين] أن هذه الآيات معانيها كثيرة كموج البحر مددا وفوق جوهره حسنا وقيمة ومع كثرتها لاتوصف بالملالة وعجائبها لاتعد ولاتحصى .

أى مثل موج البحر فى كونه يمد بعضه بعضا إذ مامن موجة إلاوبعدها موجة وهكذا وأشار بذلك الى قول بعضهم أقل ماقيل فى العلوم التى فى القرآن من ظواهر المعانى المجموعة فيه أربعة وعشرون ألف علم وثمانمائة علم وماحكى عن بعضهم من أنه قال لكل آية ستون ألف فهم ومابقى من فهمها أكثر وقول على كرم الله وجهه لوشئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير الفاتحة قال بعض العارفين ويظهر وجه ماقاله رضى الله عنه من خمسة كنوز الأول معنى الحمد لله رب العالمين فيحتاج فيه إلى بيان معنى الحمد ومايتعلق به ومعنى لفظ الجلالة ومايليق به من التنزيه ومعنى الرب ومعنى العالم على جميع أنواعه وأعداده الثانى معنى الرحمن الرحيم فيحتاج فيه الى بيان معنى هذين الاسمين ومايليق بهما من الجلالة وحكمة اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين فيحتاج فى ضمن ذلك الى بيان جميع الأسماء الثالث معنى مالك يوم الدين فيحتاج الى بيان هذا اليوم ومافيه من المواطن والأهوال الرابع معنى إياك نعبد وإياك نستعين فيحتاج فيه الى بيان المعبود وجلاله والعبادة وكيفيتها وصفاتها وأدائها على اختلاف أنواعها والعابد وصفته والاستعانة وكيفيتها الخامس معنى اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة فيحتاج فيه الى بيان الهداية وأنواعها والصراط المستقيم وعقباته وصراط المنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين وصفاتهم ومايتعلق بهذا النوع وقوله وفوق جوهره فى الحسن والقيم عطف على قوله كموج البحر فى مدد أى ولها معان فوق الجوهر المستخرج من البحر فى حسنها البديع وفى قدرها وشرفها وفوق ملازم للنصب على الظرفية وإن كانت مجازية ونحوه فى التنزيل قال تعالى وفوق كل ذى علم عليم والضمير فى جوهره للبحر والمراد بجوهره الدر المستخرج منه والحسن ضد القبح والقيم بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة والمراد بها هنا مالها من القدر والشرف مجازا لأنها فى الأصل ماقطع به المقومون وبذلك اندفع ماقد يقال إن معانيها قديمة على ماتقدم والقديم لايوصف بأن له قيمة ووجه الاندفاع أن المراد بالقيمة القدر والشرف لا المعنى الأصلى وفى هذا البيت الجمع ثم التفريق وهو أن يدخل شيئين فى معنى واحد ثم يفرق بينهما فقد أدخل هنا معانى القرآن والبحر فى المدد والكثرة ثم فرق بينهما بأن حسنها وقدرها يزيدان على حسن جوهره وقيمه (قوله فلاتعد ولاتحصى الخ) هذا البيت مفرع على البيت قبله فالشطر الأول مفرع على الشطر الأول والثانى على الثانى وقوله عجائبها أى معانيها العجيبة والعجائب جمع عجيبة وهى الشيء العديم النظير أوقليله وقوله ولاتسام بضم التاء وفتح السين المهملة بعدها ألف لينة وفى آخره ميم أى لاتوصف وقوله على الإكثار أى مع الإكثار منها الذى لاغاية له فعلى بمعنى مع وقوله بالسأم بتشديد السين المهملة وفتح الهمزة أى الملل والجار والمجرور متعلق بتسام . وحاصل المعنى أنه إذا كان لها معان كموج البحر فى الكثرة التى لاغاية لها وفوق جوهره فى الحسن والقدر والشرف ترتب على ذلك أنها لاتعد ولاتحصى معانيها العجيبة لعدم تناهيها ولاتوصف بالملل مع الاكثار منها لحسنها فغيرها من الكلام ولو بلغ الغاية فيما يليق به من الحسن والبلاغة يوصف بالملل مع الإكثار

قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ   لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فَاعْتَصِمِ

٦٤ إِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى   أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ

قرت أي بردت بالسرور وزاد نورها والظفر الفوز وبحبل أي بسبب يوصلك الى دار كرامته فاعتصم أي استمسك به والتلاوة القراءة والخيفة الخوف ولظى جهنم وهو اسم من أسماء النار ووردها موردها والشبم البارد .

[الإعراب] قرت بفتح القاف وتشديد الراء المهملة فعل ماض وتاء تأنيث ساكنة بها متعلق بقرت والضمير لآيات عين فاعل قرت قاريها مضاف اليه فقلت بضم التاء فعل وفاعل له متعلق بقلت والضمير للقارىء لقد حرف تحقيق ظفرت بفتح التاء فعل وفاعل والجملة جواب قسم محذوف بحبل بالحاء المهملة والباء الموحدة متعلق بظفرت الله مضاف اليه فاعتصم فعل أمر وفاعل إن حرف شرط تتلها فعل الشرط وهو مجزوم بإن وعلامة جزمه حذف الواو خيفة بكسر الخاء المعجمة مفعول لأجله من حر بالحاء المهملة متعلق بخيفة نار مضاف إليها ومضافة لظى بالمعجمة مضاف إليها أطفأت بفتح التاء فعل ماض وفاعل جواب الشرط حرمفعول أطفأت لظى بالمعجمة مضاف إليها وهومن إقامة الظاهر مقام المضمر من وردها بكسر الواو وسكون الراء متعلق بأطفأت الشبم بفتح المعجمة وكسر الموحدة نعت وردها .

[ومعنى البيتين] أن هذه الآيات قرت عين تاليها بسببها فقلت له والله لقد فزت من الله تعالى بسبب يوصلك الى دار كرامته فاستمسك به وإنك إن تتلها خوفا من نار جهنم أطفأت أنت حرها من وردها البارد شبه الآيات بالماء لأنها سبب به حياة الأرواح كما أن الماء سبب حياة الأشباح فجعل موردها وهو الفم كافيا فى الاطفاء وفى البيت الجناس الشبيه بالمشتق فى قرت وقاريها

كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيَضُّ الْوُجُوهُ بِهِ   مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاءُوهُ كَالْحُمَمِ

منه فيمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد بخلاف آيات القرآن كما ورد فى الحديث فقارئها لا يملها وسامعها لا يمجها بل الاكباب على تلاوتها يزيدها حلاوة ويوجب لها محبة وطلاوة (قوله قرت بها الخ) أى سكنت واطمأنت بتلك الآيات عين قاريها بابدال الهمزة ياء ساكنة لحصول السرور لها فإن عين الحزين تكون مضطربة وعين السرور تكون ساكنة فقرت من القرار بمعنى السكون وقيل من القر بضم القاف وهو البرد والمعنى عليه بردت بدمعة الفرح ولم تسخن بدمعة الحزن عين قارئها والضمير المضاف اليه عائد على الآيات التى هى الألفاظ إن فسر قاريها بتاليها فإن فسر بقاصدها من قرأت اليه أى قصدت اليه كان الضمير المذكور عائدا على المعانى وقوله فقلت له أى فلما قرت عينه بقراءة ألفاظها أو بقصد معانيها قلت لقارئها بمعنى تاليها أو قاصدها وقوله لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم أى والله لقد فزت بما يوصلك الى الله فامتنع ببركة قراءته من عذاب الله أو امتنع باتباع أوامره واجتناب نواهيه من الوقوع فى المخالفة المؤدية الى عقاب الله تعالى نعوذ بالله من المخالفة فاللام موطئة للقسم وقد للتحقيق والحبل استعارة تصريحية مرشحة لأنه شبه القرآن بالحبل بجامع أن كلا سبب يتوصل به الى الأشياء فالقرآن يتوصل به الى ثوابه والحبل يتوصل به الى أمور محسوسة واستعار اسم المشبه به للمشبه وذكر الاعتصام ترشيح لأنه يناسب المستعار منه وكذلك قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى ففيه استعارة تصريحية مرشحة لأنه شبه فيه الإيمان بالعروة واستعيرت العروة للإيمان والاستمساك ترشيح لأنه يناسب المستعار منه (قوله إن تتلها الخ) أى إن تقرأها الخ وقوله خيفة أى خوفا فيكون مفعولا لأجله أو خائفا فيكون حالا وقوله من حر نار لظى أى التى هى جهنم وقوله أطفأت الخ جواب الشرط وقوله نار لظى فيه إظهار فى مقام الإضمار لضرورة النظم وقوله من وردها بكسر الواو وسكون الراء أى من موردها فمن للتعليل والورد بمعنى المورد وهو المحل الذى يورد منه الماء وقوله الشبم بفتح الشين المعجمة المشددة وكسر الموحدة أى البارد وفى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الآيات بالماء تشبيها مضمرا فى النفس بجامع الحياة بكل إذ الماء به حياة الأشباح والآيات بها حياة الأرواح أو بجامع إطفاء الحرارة بكل فالماء يطفىء حرارة العطش والآيات تطفىء حرارة نار جهنم أعاذنا الله منها بمنه وكرمه وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو الورد والشبم ترشيح لأنه يناسب المشبه به . وحاصل المعنى إن تقرأها خوفا من حر نار لظى أو خائفا منه أطفأت عنك بتلاوتها نار لظى من أجل موردها البارد والشاهد لذلك ما فى مسلم اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه (قوله كأنها الحوض الخ) أى كأن الآيات المذكورة ماء الحوض الخ ففيه مجاز بالحذف أو أنه عبر باسم المحل وأراد الحال

به فيكون فيه مجاز مرسل وجملة قوله تبيض الخ حال من الحوض على حذف المضاف السابق أو بمعنى الماء على ماعلمت وقوله الوجوه أى ذوو الوجوه فهو على تقدير مضاف أو أنه عبر بالوجوه عن الذوات من باب التعبير باسم الجزء وإرادة الكل وقوله به أى بالحوض وقوله من العصاة أى حال كونهم بعض العصاة فمن للتبعيض ويحتمل أنها بيانية وقوله وقد جاءوه الخ أى والحال أنهم قد جاءوه الخ فالواو للحال والضمير الفاعل راجع للعصاة والضمير المفعول راجع للحوض وقوله كالحمم أى حال كونهم كالحمم بضم الحاء المهملة وفتح الميم الأولى أى مثل الفحم فالحمم جمع حممة بمعنى فحمة ووجه تشبيهها بالحوض المذكور أن الآيات تشفع فى تاليها وقد جاء مسود الوجه من المعاصى فيبيض وجهه بشفاعتها كما أن الحوض تبيض به وجوه العصاة حين يصب عليهم منه بعد مجيئهم من النار كالفحم فى السواد الذى أصابهم من النار فيه فيعودون بيضا كالقراطيس ثم يدخلون الجنة ومراده بالحوض نهر الحياة لأن تلك صفته لما فى الخبر من اغتسال الجهنميين فى بحر الحياة ففى خبر الصحيحين فيخرجون منها أى من النار فيلقون فى ماء الحياة وفى رواية فيصب عليهم ماء الحياة وفى هذا البيت التلميح للخبر السابق (قوله وكالصراط الخ) أى وهذه الآيات كالصراط استقامة وإنما حذف ذلك أعنى استقامة لدلالة المعنى عليه والمراد بالصراط الدين الذى لا اعوجاج فيه وهو دين الحق أو المراد به الجسر الممدود على متن جهنم الذى هو أدق من الشعرة وأحد من السيف أو واسع فى حق ناس ضيق فى حق آخرين على الخلاف فى ذلك يسير الناس عليه الى الجنة على قدر أعمالهم فإنه خط مستقيم لا اعوجاج فيه بالنسبة لكل بعض من أبعاضه الثلاثة لا بالنسبة لجملته لأنه قد ورد أنه ألف سنة صعود وألف سنة استواء وألف سنة هبوط وقوله وكالميزان معدلة أى وكالميزان من جهة العدل فمعدلة بمعنى عدلا تمييز فإن قيل ليس من لوازم الميزان العدل . أجيب بأن أل فى الميزان للعهد والمعهود هو الميزان الذى يكون فى يوم القيامة ومن لوازمه العدل أو المعهود هو الميزان المستقيم ولو كان فى الدنيا وليست للاستغراق فيشمل كل ميزان وقوله فالقسط من غيرها فى الناس لم يقم أى فالقسط بكسر القاف الذى هو العدل المأخوذ من غيرها لم يقم فى الناس . فإن قيل العدل المأخوذ من غيرها قد يقوم فى الناس كالمأخوذ من السنة أو الإجماع أو القياس . أجيب بأن ذلك مأخوذ منها أيضا أما المأخوذ من السنة فلقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وأما المأخوذ من الإجماع والقياس فلأن مستندهما الكتاب والسنة والمراد بالناس الخصوص والا لزم أن لا يكون فى أهل التوراة وغيرهم من أهل الكتب السماوية عدل وهو باطل (قوله لا تعجبن الخ) لما وصف الآيات بما ذكره استشعر شخصا قال له على وجه التعجب إذا كانت الآيات بالمنزلة التى وصفت فكيف أنكرها كثير من الكفار فقال له لا تعجبن الخ أى لا ينبغى العجب لأنه إذا ظهر السبب بطل العجب وههنا قد ظهر السبب وهو الحسد فإنه هو الذى دعاه الى

الحوض المراد به الكوثر والعصاة جمع عاص ضد المطيع والحمم جمع حممة وهى جمرة انطفأت نارها و بقيت فحمة مسودة والقسط العدل والصراط جسر منصوب على متن جهنم والميزان مايوزن به أعمال المكلفين والوزان جبريل والناس اسم جمع انسان والإقامة الدوام ،

[الاعراب] كأنها حرف تشبيه وضمير الآيات اسمها الحوض بالحاء المهملة والضاد المعجمة خبرها تبيض الوجوه فعل وفاعل حال من الحوض به متعلق بتبيض وهو رابط الحال بصاحبها من العصاة حال من الوجوه وقد حرف تحقيق جاءوه فعل وفاعل ومفعول حال من العصاة والرابط الواو والهاء للحوض كالحمم بضم الحاء المهملة وفتح الميم الأولى فى موضع الحال من جاءوه فهى حال متداخلة وكالصراط وكالميزان معطوفان على خبر آيات حق أول البيت الحادى عشر من الأبيات قبله معدلة تمييز فالقسط بكسر القاف مبتدأ من غيرها فى الناس متعلقان بيقم لم يقم بضم الياء وكسر القاف خبر القسط ،

[ومعنى البيتين] كأن الآيات فى تبييض وجوه القارئين لها كحوض الكوثر فى تبييض وجوه العصاة به إذا جاءوه كالفحم الأسود فعبر بالوجوه عن الذوات وبينها بالعصاة وعن الماء بالحوض لأنه محله وإنها آيات حق مستقيمة عادلة كالصراط فى الاستقامة وكالميزان فى العدل الدائم فالعدل من غيرها من الكتب لم يدم فى الناس بل نسخ

لَا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا تَجَاهُلًا وَهْوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ الْفَهِمِ

إنكارها تجاهلا وإظهارا للجهل مع علمه في الواقع بما اشتملت عليه من أنواع الإعجاز وقوله لحسود متعلق بتعجبن ومعنى الحسود ذوالحسد وقوله راح ينكرها أى ذهب ينكر كونها من عند الله وأصل راح سار بالعشى ثم استعمل فى الذهاب والمراد أنه أنكر مااتضحت دلالته حتى صار كالأشياء المحسوسة بحاسة البصر فى نصف النهار الذى هو أول وقت الرواح وقوله تجاهلا أى حال كونه متجاهلا أى مظهرا للجهل فإنكاره ليس لجهله حقيقة بل لحسده وإن كان قد أظهر الجهل وقوله وهو عين الحاذق الفهم أى والحال أنه عين الحاذق بالدال المعجمة أى الماهر الفهم بفتح الفاء وكسر الهاء أى الشديد الفهم وحينئذ فإنكارها عناد دعاه اليه الحسد فلا عجب لإنكارها للحسد وأشار بقوله الفهم الى أن حذقه ليس ناشئا عن طول التجارب والتكرار لكونه كان بليد الطبع بل حذقه مع كونه فاهما بالأصالة ولاشك أنه يحصل بالتمرين مع كونه فاهما بحسب الأصالة مالايحصل مع كونه بليدا بحسب الأصالة و بهذا التقرير ظهر أن الفهم ليس معناه الحاذق كما زعم بعضهم (قوله قد تنكر الخ) لما ادعى أن إنكارها للحسد مع كونها متصفة بالمعجزات المذكورة أثبت ذلك بأمرين محسوسين الأول إنكار العين ضوء الشمس من أجل الرمد القائم بها والثانى إنكار الفم طعم الماء من أجل السقم القائم به فكذلك إنكار الآيات من أجل الحسد القائم بالمنكر فهاتان الجملتان مسوقتان للتعليل وكلامه على حذف مضاف فيهما والتقدير قد ينكر ذوالعين الخ وقد ينكر ذوالفم الخ لأن المنكر فى الحقيقة إنما هو صاحب كل منهما (قوله ياخير من يمم الخ) لما مدحه صلى الله عليه وسلم بما مدحه به مخبرا عنه على وجه الغيبة أقبل عليه بالخطاب فقال ياخير من يمم الخ أى ياخير كريم قصد العافون وهم الطالبون للمعروف ساحته وهى حريم داره الواسع حال كونهم ساعين بمعنى مسرعين فى المشى ليحصلوا حاجتهم أقرب وقت وحال كونهم راكبين فوق ظهور النوق التى ترسم الأرض وتؤثر فيها لحصول الحاجة سريعا وقصده بذلك الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم والتوطئة لذكر صفاته والعافون جمع عاف وهو طالب المعروف والساحة حريم الدار الواسع وسعيا بمعنى ساعين والمتون جمع متن وهو الظهر والأينق جمع ناقة وأصله أنوق قدمت الواو على النون فصار أونق ثم قلبوها ياء فصار أينق وهذا جمع قلة وجمع الكثرة نياق والرسم بضم الراء المشددة وضم السين جمع رسوم وهى الناقة التى تؤثر فى الأرض من شدة الوطء عليها [ومن هنا الى آخر قوله وجل مقدار الخ] خاصيتها لمن خاف أن يلومه السلطان على جناية وقعت منه فليكتبها فى جلد جمل و يجعله منشورا على صدره تحت الثياب ويدخل على السلطان وهو يقول الله أكبر ثلاثا فإنه لايكلمه أبدا ومن وقع بينه وبين زوجته خصومة أوبين أحد من أحبابه فليكتبها فى جلد أسد ويجعلها فى كور عمامته ويدخل على حبيبه وهو صامت فإن حبيبه يبدؤه بالكلام ويكون محبا له وإياك

العجب الاستعظام والحسود الذى يتمنى زوال النعمة عن غيره سواء وصلت اليه أم لا وراح ينكرها أى ذهب يجحدها والتجاهل أن يظهر الجهل من نفسه وليس عنده والحاذق الماهر والفهم الكثير الفهم والرمد داء يصيب العين والسقم المرض .

[الاعراب] لاحرف نهى تعجبن بسكون النون الخفيفة فعل مضارع وفاعله مستتر فيه وجوبا لحسود بكسر اللام وفتح الحاء وضم السين المهملتين متعلق بتعجبن راح نعت حسود ينكرها حال من فاعل راح المستتر فيه تجاهلا مفعول لأجله وهو بسكون الهاء مبتدأ عين خبره الحاذق بالدال المعجمة مضاف إليه الفهم بفتح الفاء وكسر الهاء نعت الحاذق وجملة المبتدإ والخبر حال من فاعل تنكر المستتر فيه قد حرف تحقيق تنكر العين فعل وفاعل ضوء مفعول الشمس مضاف إليه من رمد متعلق بتنكر على أنه علة له وينكر الفم بالتشديد فعل وفاعل معطوف على تنكر العين طعم مفعول الماء مضاف إليه من سقم بفتحتين متعلق بتنكر الثانى على أنه علة له .

[ومعنى البيتين] لاتعجب أيها المؤمن بهذه الآيات من حسود للنبى صلى الله عليه وسلم حمله حسده على إنكارها تجاهلا منه والحال أنه عالم وليس بجاهل وإنما هو نفس الحاذق الكثير الفهم ولكن بقلبه مرض حمله على إنكارها فإن العين الباصرة إذا رمدت تنكر ضوء الشمس والفم إذا حصل له سقم ينكر طعم الماء العذب .

أن

يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ الْأَيْنُقِ الرُّسُمِ

وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ ... وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ العُظْمَى لِمُغْتَنِمِ

يمم أى قصد والعافون جمع عاف وهو طالب المعروف والساحة الناحية والمراد هنا حريم الدار والسعى المشى السريع والمتن الظهر وجمعه متون والأينق جمع ناقة وأصله أنوق قدمت الواو على النون

لاستثقال الضمة على الواو ثم بدلت الواو ياء لأن بنات الياء أكثر من بنات الواو والرسم بضمتين جمع رسوم بفتح الراء وهى التى تؤثر فى الأرض من شدة الوطء والآية العلامة والمعتبر هو الذى يصرف فكره الى معرفة الحق من الباطل والنعمة واحدة النعم وهى رغد العيش والعظمى تأنيث الأعظم والمغتنم من اغتنمت الشىء أخذته غنيمة .

[الاعراب] ياحرف نداء خير من بفتح الميم منادى منصوب مضاف الى من الموصولة يمم العافون ساحته فعل وفاعل ومفعول والجملة صلة من وعائدها الهاء من ساحته سعيا حال من العافون وفوق ظرف متعلق بحال محذوفة أى وركبانا فوق متون بضم الميم والتاء الفوقية مضاف إليه وهو مضاف أيضا الأينق بتقديم الياء على النون مضاف اليها الرسم بضم الراء والسين المهملتين نعت الأينق ومن بفتح الميم اسم موصول معطوف على من المجرورة بإضافة خير اليها هو الآية مبتدأ وخبر صلة من الكبرى نعت الآية لمعتبر بفتح المثناة الفوقية وكسر الموحدة متعلق بالآية ومن بفتح الميم موصول اسمى معطوف على مثله هو النعمة مبتدأ وخبر صلة من العظمى نعت النعمة لمغتنم بكسر النون متعلق النعمة .

[ومعنى البيتين] ياخير من قصد الطالبون حريم داره ساعين على الأقدام وراكبين فوق الإبل السريعة كقوله تعالى يأتوك رجالا وعلى كل ضامر وياخير من هو العلامة الكبرى لمن يريد معرفة الحق من الباطل وياخير من هو النعمة العظمى لمن يغتنم النعم وهى الهداية الى الإسلام وفى البيت الثانى من البديع الموازنة وهى أن تتساوى الفاصلتان من القرينتين فى الوزن دون التقفية .

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إِلَى حَرَمٍ ... كَمَا سَرَى البَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

أن تفعل هذا بالحرام فاتق الله اهـ (قوله ومن هو الخ) أى ويامن هو الخ فهو معطوف على المنادى فى البيت قبله وأجاز بعضهم أن يكون معطوفا على من فى قوله ياخير من الخ والأول هو الظاهر وعليه فمن هنا واقعة عليه صلى الله عليه وسلم وحده بخلافه على الثانى فإنها عليه واقعة على جنس متعدد يشمل النبيين والملائكة وقوله الآية الكبرى لمعتبر أى الآية الكبرى التى هى أكبر الآيات لمتأمل ومتفكر لأنه صلى الله عليه وسلم بعث بالسنن التى لاتحصى وبالعلوم التى لاتستقصى الى قوم مغمورين فى الجهالة والضلالة قد بلغ من جهلهم وضلالتهم أن يعبدوا الأصنام فدلهم على الله وأرشدهم الى مالاينال الا بتخصيص من المولى الوهاب فمن تأمل ذلك عرف أنه الآية الكبرى أى الدليل الأعظم على أن ماجاء به حق قال تعالى وإنك لتهدى الى صراط مستقيم وقوله ومن هو الخ أى ويامن هو الخ فهو معطوف على المنادى فى البيت قبله ويحتمل أنه معطوف على من على ماقاله بعضهم كما علمت فى نظيره وقوله النعمة العظمى لمغتنم أى النعمة العظمى التى هى أعظم النعم للمريد أن يغتنم ماعند الله من السعادة الأبدية لأنه صلى الله عليه وسلم أنقذ الخلائق من النار ومن الدخول فى دار البوار بالبيان الواضح والبرهان الناصع فمن أراد أن يغتنم فهو صلى الله عليه وسلم النعمة العظمى له ولسائر العالمين قال تعالى وما أرسلناك الارحمة للعالمين (قوله سريت الخ) كأنه قال ومن معجزاتك أنك سريت الخ ومعنى سريت سرت ليلا لأن السرى هو السير ليلا وسرى وأسرى بمعنى وقال السهيلى سرى لازم وأسرى متعد لكن كثر حذف مفعوله فظن أهل اللغة أنهما بمعنى فالمفعول فى قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده محذوف والتقدير أسرى البراق بعبده فحذف المفعول استغناء عنه بذكر محمد صلى الله عليه وسلم لأنه المقصود بالخبر أوحذف لقوة الدلالة عليه وقوله من حرم أى حرم مكة وقوله ليلا أى فى ليل فإن قيل إذا كان معنى سريت سرت ليلا ومعنى أسرى بعبده جعله ساريا أى سائرا ليلا فما فائدة قوله بعد ذلك ليلا . أجيب بأن فائدته فى النظم والآية التأكيد كما قاله الجوهرى أوالإعلام بأنه فى جزء من الليل كما قاله الزمخشرى بقرينة تنكيره لأنه للتقليل ولولم يذكر لاحتمل أن يكون ذلك فى الليل كله وليس كذلك قال الزمخشرى ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أى بعضه وإنما خص الليل بذلك دون النهار لأنه وقت تفريغ البال وقطع العلائق وقيل لأن الله تعالى لما محا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر خاطر الليل فجبر بأن أسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم ولذلك قيل افتخر النهار على الليل

وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً
مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

سريت أى سرت ليلا والحرم المكان المحترم والبدر القمر عند كماله والداجى المظلم والرقى الصعود وقاب قوسين أى مقدارهما لم تدرك أى لم يصل أحد إليها ولم ترم أى لم تطلب لعزة مكانها .

[الاعراب] سريت بفتح التاء فعل وفاعل من حرم ليلا الى حرم متعلقان بسريت كما جار ومجرور ومامصدرية سرى البدر فعل وفاعل صلة ما فى داج بالجيم متعلق بسرى من الظلم بضم الظاء المعجمة وفتح اللام نعت داج وبتّ بكسر الموحدة وفتح المثناة الفوقية المشددة فعل ماض ناقص والتاء اسمها ترقى بفتح المثناة الفوقية والقاف خبرها الى حرف جر أن بفتح الهمزة موصول حرفى نلت بكسر النون وفتح التاء فعل وفاعل صلة أن المصدرية وأن وصلتها فى تأويل مصدر مجرور بالى منزلة مفعول نلت من قاب نعت منزلة قوسين بفتح السين مضاف إليه لم تدرك بالتاء الفوقية والبناء للمفعول ونائب الفاعل مستتر يعود الى منزلة ولم ترم بضم التاء الفوقية وفتح الراء معطوف على لم تدرك .

[ومعنى البيتين] سريت يارسول الله من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ليلا كسرى البدر فى ليل مظلم ولازلت ترقى الى أن نلت منزلة قريبة من الحضرة القدسية مقدار قاب قوسين وهذه المنزلة لم يصل اليها أحد من الأنبياء غيرك ولم يطلبها لعزة مكانها والتشبيه فى سرعة السير والكمال والإنارة وقطع المنازل .

بالشمس فقيل لاتفتخر فإن كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج بشمس الأرض فى الليل الى السماء وقيل لأنه سراج والسراج إنما يوقد فى الليل وقيل لأنه سمى بدرا فى قوله تعالى طه فإن الطاء بتسعة والهاء بخمسة وذلك أربعة عشر فكأنه تعالى قال يابدر وهذا يناسب قول الناظم كما سرى البدر ولله در القائل حيث قال :

قلت ياسيدى ولم تؤثر الليـل على بهجة النهار المنير
قال لاأستطيع تغيير رسمى هكذا الرسم فى طلوع البدور
إنما زرت فى الظلام لكيما يشرق الليل من أشعة نورى

وقوله الى حرم أى حرم بيت المقدس وقوله كما سرى البدر أى مثل سير البدر الذى هو القمر ليلة كماله وهى ليلة أربعة عشر سمى بذلك لأنه يبدر الشمس فى الطلوع ووجه التشبيه أنه صلى الله عليه وسلم نور مبين كالبدر وأتم وقد قطع مسافة عظيمة فى ليل مظلم كما يسرى البدر المنير فى ليل مظلم مع سرعة السير وكمال الانارة والداج اسم لليل المظلم يقال دجا الليل أى أظلم فهو داج أى مظلم فقوله من الظلم تكملة أى من ذى الظلم بضم الظاء وفتح اللام جمع ظلمة ومن للبيان المشوب بالتبعيض وفى هذا البيت إشارة الى قصة الإسراء وقد ذكرها الله تعالى بقوله سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله وحاصلها أنه صلى الله عليه وسلم كان فى بيته أوفى المسجد على اختلاف الروايات فى ذلك لجاء جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر فاحتملاه وشقا صدره وغسله جبريل وملأه علما وحكمة وإيمانا ويقينا ثم أتى له بالبراق فركبه وسار وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره حتى وصل الى بيت المقدس الخ (قوله وبت ترقى الخ) عطف على قوله سريت الخ أى و بعد وصولك الى بيت المقدس بت ترقى أى تصعد فإنه صلى الله عليه وسلم نصب له معراج له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وهو الذى تعرج عليه أرواح المؤمنين فدليت له مرقاة فصعد عليها الى سماء الدنيا فاستفتح جبريل الباب فقيل من بالباب قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به وأهلا ونعم المجىء جاء فلما جاوز السماء الأولى دليت المرقاة الثانية فصعد عليها الى السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم الى الكرسى ثم الى سدرة المنتهى ثم الى مستوى سمع فيه صريف الأقلام ثم دلى الرفرف وهو سحابة خضراء فصعد عليها الى ماشاء الله تعالى وهذا المكان هو الذى أعده الله للخطاب وفرض الصلوات وإلا فالله تعالى منزه عن المكان وقوله الى أن نلت منزلة غاية لما قبله أى الى أن أعطيت مرتبة فى القرب وقوله من قاب قوسين بيان للمنزلة لكن فى العبارة قلب والأصل من قابى قوس أى من قدر مابين قابى القوس لأن كل قوس له قابان وبينهما شىء قليل جدا فبينهما غاية القرب فكذلك بينه صلى الله عليه وسلم وبين المولى فبينهما غاية القرب لكن المراد هنا القرب المعنوى وقوله لم تدرك بالبناء للمجهول أى لم يدركها غيرك وقوله ولم ترم بالبناء للمجهول أيضا أى لم يرمها غيرك ولم يطلبها للعلم بأنها ليست إلا لك وفى هذا البيت إشارة الى قصة المعراج وقد ذكرها الله تعالى بقوله ثم دنا فتدلى

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا ... وَالرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ
وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ ... فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ

فكان قاب قوسين أو أدنى وقد علمت حاصلها (قوله وقدمتك الخ) عطف على قوله سريت الخ أيضا ثم إنه يحتمل أن المراد التقديم فى الرتبة والمكانة كما يدل عليه قوله تقديم مخدوم على خدم وذلك لأن الله قد أطلعهم على منزلته صلى الله عليه وسلم بالوحى فى مدة حياتهم كما يدل عليه قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية ويحتمل أن المراد التقديم فى الحس والخارج كما يدل عليه ماروى من أنه حشر له جميع الأنبياء والرسل ليلة الإسراء وصلى بهم فى المسجد الأقصى بعد أن أثنى كل على ربه بما هو أهله وكان صلى الله عليه وسلم آخرهم فى ذلك فأثنى على الله بما ألهمه له فقال إبراهيم عند ذلك بهذا فضلكم محمد وذلك كان قبل المعراج على المشهور ولايخفى أن الكاف مفعول وجميع الأنبياء فاعل وألحق الفعل التاء لأن جميع فى معنى جماعة أولإضافته الى جمع التكسير الذى يجوز تأنيثه وقوله جميع الأنبياء بالمد وقوله بها أى بتلك المنزلة أوالليلة المفهومة من قوله ليلا وقوله والرسل أى وجميع الرسل فهو بالجر معطوف على الأنبياء و يحتمل أنه بالرفع معطوف على جميع وعلى الأول فهو صريح فى العموم وعلى الثانى فهوظاهر فيه وهل كانت الأنبياء والرسل بأجسامهم وأرواحهم أوبأرواحهم فقط والراجح أنهم كانوا بأرواحهم فقط إلاعيسى وإدريس فإنهما كانا بروحهما وجسمهما وبعضهم رجح أن الأنبياء جميعا كانوا بأجسامهم وأرواحهم وعطف الرسل على الأنبياء من عطف الخاص على العام كما هو المشهور لشرفهم وقوله تقديم مخدوم على خدم أى تقديما مثل تقديم مخدوم على خدم فهو بالنصب على المصدرية لكن على وجه التشبيه (قوله وأنت تخترق الخ) أى وقدمتك جميع الأنبياء والحال أنك تخترق بمعنى تقطع السموات السبع الطباق أى التى هى طبقة فوق طبقة فالواو للحال لكنها حال منتظرة لامقارنة ووصف السموات بأنها طباق مأخوذ من قوله تعالى سبع سموات طباقا أى طبقة فوق طبقة وقوله بهم أى حال كونك مارا بهم يعنى بالذى لقيه منهم ففى حديث الاسراء فى مسلم أنه مر فى السماء الدنيا بآدم وفى الثانية بعيسى ويحيى وفى الثالثة بيوسف وفى الرابعة بإدريس وفى الخامسة بهرون وفى السادسة بموسى وفى السابعة بإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقوله فى موكب بكسر الكاف أى حال كونك فى موكب فهو حال أوهو خبرثان لأنت والموكب الجمع العظيم المتلبس بهيئة عظيمة وقدكان معه صلى الله عليه وسلم جبريل وما أعظمهما وأعظم هيئتهما وجملة كنت فيه صاحب العلم صفة لموكب أى كنت فيه المشار إليه لأن العلم الرمح فى رأسه راية ومن شأن صاحبه أن يشار إليه

التقديم ضد التأخير والمقدم فى مرتبة المخدوم والتأخر فى مرتبة الخادم واخترق الطريق قطعه والسبع الطباق السموات السبع أخذا من قوله عزوجل سبع سموات طباقا جمع طبق أوطبقة والمراد بعضها فوق بعض وحقائقها مختلفة فقد نقل الكمال الدميرى عن كعب الأحبار أنه قال خلق الله تعالى السماء الدنيا موجا مكفوفا والثانية صخرة والثالثة حديدا والرابعة نحاسا والخامسة فضة والسادسة ذهبا والسابعة ياقوتا اه والموكب الجماعة من الفرسان والمراد هنا جماعة من الملائكة والعلم رمح فى رأسه راية والمراد بصاحب العلم هنا كبير القوم المقدم عليهم وليس المراد من تكون الراية فى يده .

[الاعراب] وقدمتك جميع فعل ومفعول وفاعل الأنبياء مضاف إليه بها متعلق بقدمتك والباء للظرفية والهاء للمنزلة والرسل بالجر عطف على الأنبياء من عطف الخاص على العام وبالرفع عطف على جميع وبالنصب عطف على المفعول معه تقديم مفعول مطلق مخدوم مضاف اليه على خدم بفتحتين متعلق بتقديم وأنت مبتدأ تخترق السبع فعل وفاعل ومفعول خبر المبتدإ الطباق بكسر الطاء نعت السبع بهم متعلق بحال محذوفة أى مارا بهم فى موكب بفتح الميم وكسر الكاف متعلق بما تعلق به المجرور قبله كنت بفتح التاء فعل ماض ناقص والتاء اسمه فيه متعلق بكان والضمير للموكب صاحب خبر كان العلم بفتحتين مضاف اليه. [ومعنى البيتين] وقدمتك جميع الأنبياء والرسل فى المنزلة تقديم المخدوم على الخدم وأنت تخترق السموات السبع سماء بعد سماء حال كونك مارا بالرسل واحدا بعد واحد ففى السماء الدنيا مررت بآدم وفى السماء الثانية مررت بعيسى ويحيى وفى الثالثة بيوسف وفى الرابعة بإدريس وفى الخامسة بهرون وفى السادسة بموسى وفى السابعة بإبراهيم وأنت فى جمع من الملائكة الكرام صاحب التحية والاكرام .

حَتَّى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْوًا لِمُسْتَبِقٍ ... مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرْقًى لِمُسْتَنِمِ

حتى هنا غاية لتخترق وتدع أى تترك وشأوا أى غاية لمستبق أى ساع لسبق والدنو القرب والمرقى موضع الرقى والمستنم أى لطالب رفعة [الاعراب] حتى حرف غاية إذا ظرف زمان مجرد عن معنى الشرط لم تدع بفتح الدال جازم ومجزوم شأوا بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة وبالواو مفعول تدع لمستبق بضم الميم وسكون السين المهملة وفتح التاء الفوقية وكسر الموحدة من الدنو المجروران متعلقان بتدع ولا مرقى بالتنوين معطوف على شأوا لمستنم بضم الميم الأولى وسكون السين المهملة وفتح التاء الفوقية وكسر النون متعلق بتدع أيضا .

[ومعنى البيت] لازلت تخترق الى وقت لم تترك فيه غاية لمن يريد السبق الى القرب ولا موضع رقى لطالب رفعة .

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ ... نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ

كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِرٍ ... عَنِ الْعُيُونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتَمِ

الخفض ضد الرفع والمراد انحطاط الرتبة والمقام المنزلة والإضافة النسبة والنداء طلب الاقبال والمفرد المتوحد فى قومه والعلم المشهور العالى القدر وتفوز أى تظفر والوصل ضد القطع والمستتر المحجوب والعيون جمع عين الباصرة .

[الاعراب] خفضت بفتح التاء فعل وفاعل كل مفعول به مقام بفتح الميم مضاف إليه بالإضافة متعلق بخفضت اذ ظرف للماضى متعلق بخفضت نوديت بضم النون وكسر الدال فعل ماض مبنى للمفعول ونائب الفاعل تاء المخاطب بالرفع متعلق بنوديت مثل نعت مصدر محذوف منصوب على المفعول المطلق المفرد مضاف إليه العلم بفتحتين نعت المفرد كيما كى مصدرية حرف جر وتعليل وما زائدة تفوز فعل مضارع منصوب بأن مقدرة بعد كى بوصل متعلق بتفوز أىّ بفتح الهمزة وتشديد الياء المكسورة نعت وصل مستتر مضاف إليه عن العيون متعلق بمستتر وسر بكسر السين المهملة معطوف على وصل أىّ بفتح الهمزة

وهو المراد فأطلق اسم الملزوم وأريد اللازم أو المعنى على التشبيه وكان جبريل يستفتح فى كل سماء فيقال له ومن معك فيقول محمد كما تقدم وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم هو المشار اليه فى ذلك الموكب (قوله حتى إذا الخ) غاية لقوله وأنت تخترق الخ وإذا ظرفية مجازية أى إلى مقام القرب وقوله لم تدع شأوا لمستبق أى لم تترك غاية لطالب سبق فلم تدع بمعنى لم تترك وشأوا بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة وفى آخره واو أى غاية والمستبق طالب السبق وهو الساعى ليسبق والجار والمجرور متعلق بشأوا وقوله من الدنوّ بيان للشأو أى من القرب وقوله ولا مرقى لمستنم أى تدع مرقى لمستنم والمرقى محل الرقى وهو الدرجة والمستنم طالب الرفعة وهو الساعى ليرتفع والجار والمجرور متعلق بمرقى . وحاصل المعنى أنه صلى الله عليه وسلم لم يزل يصعد الى مقام القرب فلم يترك فيه غاية من القرب لطالب السبق ولم يترك درجة لطالب رفعة وذلك المقام هو أعلى مقامات القرب وهو المعبر عنه فيما تقدم بقاب قوسين (قوله خفضت كل مقام الخ) هذا البيت جواب إذا فى البيت قبله أى خفضت كل رتبة لغيرك وقوله بالإضافة أى بالنسبة الى مقامك لا مطلقا وإلا فالأنبياء كلهم متصفون بالكمال لكنه صلى الله عليه وسلم أكمل فمقام غيره منخفض بالنسبة لمقامه المرتفع عن مقام كل مخلوق وإن كان ذلك المقام المنخفض مرتفعا فى نفسه وإنما انخفض بالنسبة لمقامه صلى الله عليه وسلم وإياك أن تعتقد أن غيره صلى الله عليه وسلم من الأنبياء ليس متصفا بالكمال لأن ذلك كفر فالواجب عليك أن تعتقد أنهم متصفون بالكمال لكن نبينا أكمل وقوله إذ نوديت بالرفع أى لأنك نوديت من قبل الله تعالى نداء مصحوبا برفع شأنك الى ما لم يصله أحد غيرك وهو أعلى مقامات القرب فإذ للتعليل وقيل ظرف للزمان الماضى وقوله مثل المفرد العلم أى حال كونك مماثلا للمفرد العلم من حيث الاختصاص بكونه نودى نداء مصحوبا برفع لفظه فكما أن المفرد العلم خص بكونه نودى نداء مصحوبا بالرفع من بين أقسام المنادى فان ما عداه منها منصوب كذلك صلى الله عليه وسلم خص بكونه نودى نداء مصحوبا بالرفع من بين سائر الأنبياء فإن ما عداه منهم مخفوض المقام بالنسبة لمقامه صلى الله عليه وسلم . فان قيل المفرد العلم إنما نودى بالبناء على الضم لا بالرفع حتى يتم التشبيه . أجيب بأن البناء على الضم رفع فى المعنى والمراد بالمفرد العلم المعرفة من إطلاق الخاص وإرادة العام لأن النكرة المقصودة من أقسام المعرفة عند المحققين فانها تتعرف بالقصد والإقبال عليه كالمشار اليه وذلك كما فى قولك مقبلا على رجل مخصوص يا رجل فالمقصود رجل معين لا شائع فى جنسه والظاهر أن التشبيه بالمفرد العلم إنما هو فى النداء بالرفع خاصة لا فى خفض مقامات غيره (قوله كيما تفوز الخ) أى لكيما تفوز الخ فاللام مقدرة قبل كى فتكون

مصدرية وعلى هذا فكى هى الناصبة للفعل بنفسها ويحتمل أن اللام ليست مقدرة قبلها فتكون تعليلية وعلى هذا فالناصب للفعل أن مقدرة بعدها لاهى نفسها على الصحيح ومازائدة على الوجهين وعلى كل من الوجهين فهو علة لقوله سريت وبتّ الخ فالمعنى فعلت ذلك لأجل أن تفوز الخ أى تظفر بوصل من الله لك حيث أحلك المنزلة التى رفعك اليها وناداك الى الصعود اليها وقوله أىّ مستتر عن العيون بتشديد أىّ وجرها على أنها صفة لوصل وهو دال على معنى الكمال أى وصل كامل فى الاستتار عن العيون وقوله وسر أىّ مكتتم بتشديد أىّ وجرها على أنها صفة لسر وهو دال على معنى الكمال أى سر كامل فى الاكتتام عن الخلق ولايخفى أن كلا من مستتر ومكتتم بصيغة الفاعل وبعضهم ضبط مكتتم بفتح التاءين وهذا مأخوذ من قوله تعالى فأوحى الى عبده ماأوحى كما يدل على ذلك حديث عائشة رضى الله تعالى عنها حيث قالت يارسول الله ماالذى أوحى اليك ربك إذ قال فأوحى الى عبده ما أوحى قال يا عائشة أتريدين أن تعلمى مالايعلمه جبريل ولاميكائيل ولانبى مرسل ولاملك مقرب فقالت أسألك بأبى بكر الاماأعلمتنى فقال انى لما كنت قاب قوسين قلت اللهم إنك عذبت الأمم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالمسخ وبعضهم بالخسف فما أنت فاعل بأمتى فقال أنزل عليهم الرحمة من عنان السماء وأبدل سيآتهم حسنات ومن دعانى منهم لبيته ومن سألنى أعطيته ومن توكل علىّ كفيته وفى الدنيا أستر على العصاة وفى الآخرة أشفعك فيهم ولولا أن الحبيب يحب معاتبة حبيبه لماحاسبت أمتك . ولما أردت الانصراف قلت يارب لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة أمتى قال الله تعالى أنالهم ماعاشوا وأنالهم إذاماتوا وأنالهم فى القبور وأنالهم فى النشور كذا فى بعض الشروح وذكر جمع من الشراح مانصه وهذا السر مأخوذ من حديث علمنى ربى ليلة الإسراء علوما شتى فعلم أخذ علىّ كتمانه وعلم خيرنى فيه وعلم أمرنى أن أبلغه قال على رضى الله عنه فكان يسر الى أبى بكر وعمر وعثمان والىّ ماخير فيه اه لكن لم يوقف على أصل لذلك فى كتب الحديث (قوله فحزت الخ) أى فبسبب مانلت من تلك المرتبة حزت الخ والحيازة بالحاء المهملة الجمع فمعنى حزت جمعت وقوله كل فخار مفعول لحزت والفخار بفتح الفاء كما هو المسموع وإن كان القياس الكسر لقول ابن مالك فى الخلاصة :

لفاعل الفعال والمفاعله   وغير مامر السماع عادله

وهو مايفتخر به من الفضائل وقوله غير مشترك أى بينك وبين غيرك بل هو مختص بك وقوله وجزت بالجيم والزاى أى عبرت وتجاوزت وقوله كل مقام مفعول لجزت والمقام الرتبة وقوله غير مزدحم بفتح الحاء أى غير مزدحم فيه لعدم الواصلين اليه وهو من باب الحذف والإيصال ولايخفى أن لفظ غير فى الموضعين مجرور على أنه صفة للمجرور قبله وحاصل المعنى فبسبب مانلت من تلك المرتبة جمعت كل مايفتخر به من الفضائل المختصة بك وعبرت وتجاوزت كل رتبة غير مزدحم فيها لأنه لايصل اليها غيرك (قوله وجل الخ)

وتشديد الياء المكسورة نعت سر مكتم بضم الميم وفتح التاءين الفوقيتين مضاف اليه [ومعنى البيتين] خفضت كل مقام لغيرك بالنسبة الى مقامك حين نوديت بالارتفاع نداء مثل نداء المفرد العلم لأجل أن تفوز بوصل مستتر عن عيون الناظرين استتارا أىّ استتار وسر مكتتم عن غيرك اكتتاما أىّ اكتتام وجمع فى البيت الأول بين الخفض والإضافة والنداء والرفع والمفرد والعلم وهو جمع حسن .

فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ
وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ
وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ
وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ

الحيازة الجمع والفخار مايفتخر به من الفضائل والمشترك ضد المختص والجواز المرور والمقام المنزلة والازدحام المزاحمة وجل أى عظم والمقدار القدر وماوليت أى قلدت وصار أمره اليك والرتب جمع رتبة وهى الدرجة العالية وعز الشىء تمنع وعسر حصوله والإدراك هنا الوجدان وأوليت أى أعطيت والنعم جمع نعمة .

[الاعراب] فحزت بضم الحاء المهملة وسكون الزاى وفتح التاء فعل وفاعل كل مفعول به فخار بفتح الفاء والخاء المعجمة مضاف اليه غير بالنصب نعت كل مشترك بفتح الراء مضاف اليه وجزت بضم الجيم وسكون الزاى فعل وفاعل كل مفعول به مقام بفتح الميم مضاف اليه غير بالنصب نعت كل مزدحم بضم الميم وسكون الزاى وفتح الدال والحاء المهملتين مضاف اليه وجل بفتح الجيم فعل ماض مقدار فاعل ماموصول اسمى فى محل جر بالإضافة وليت بضم الواو وكسر اللام المشددة وسكون المثناة التحتية وفتح الفوقية فعل ماض مبنى للمفعول والتاء نائب الفاعل والجملة صلة ما والعائد محذوف أى وليته من رتب بضم الراء وفتح المثناة الفوقية بيان لما متعلق بوليت وعز بفتح

المهملة والزاى فعل ماض معطوف على جل إدراك بكسر الهمزة فاعل عز ماموصول اسمى فى محل جر بالإضافة أوليت بضم الهمزة وسكون الواو وكسر اللام فعل ماض مبنى للمفعول صلة ما والعائد محذوف أى أوليته من نعم بكسر النون وفتح العين المهملة بيان لما متعلق بأوليت . [ومعنى البيتين] جمعت كل فخر مستقل بك غير مشترك بينك وبين غيرك وعبرت كل مكان بمفردك غير مزاحم لغيرك وعظم ماوليت من المناصب الشريفة وامتنع الوصول الى كمال ماأعطيت من الفضائل المنيفة وفى البيت الأول الجناس المحرف فى قوله حزت وجزت وفى الثانى الجناس الناقص فى قوله وليت وأوليت :

بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا
مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ

لَمَّا دَعَا اللهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ
بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ

بشرى اسم من البشارة يطلق ويراد به الخبر السار المفيد البشر والمعشر الجماعة الذين يشملهم وصف واحد والعناية من عنى بحاجتى أى اعتنى بها وركن الشىء مايعتمد عليه والانهدام التغير ودعا أى سمى وداعينا أى النبى صلى الله عليه وسلم والطاعة ضد المعصية والأمم جمع أمة وهى الجماعة .

[الاعراب] بشرى مبتدأ ونعتها محذوف أى بشرى عظيمة لنا خبره معشر منصوب على الاختصاص بفعل محذوف تقديره أخص الإسلام مضاف اليه إن بكسر الهمزة أوفتحها وتشديد النون لنا خبرها مقدم من العناية بكسر العين وفتح النون حال من الضمير فى لنا ركنا اسم إن مؤخر غير بالنصب نعت ركنا منهدم مضاف اليه وهذه الجملة تعليلية فان كسرت إن فهى تعليل مستأنف وإن فتحت فعلى تقدير لام العلة لما بفتح اللام وتشديد الميم حرف وجود لوجود أوظرف بمعنى حين على القولين دعا الله فعل وفاعل داعينا مفعول وسكن الياء على لغة من يعرب المنقوص فى الأحوال الثلاثة بحركات مقدرة لطاعته متعلق بداعينا بأكرم جار ومجرور متعلق بدعا الرسل بسكون السين مضاف اليه كنا كان واسمها أكرم خبرها الأمم مضاف اليها والجملة جواب لما . [ومعنى البيتين] بشرى عظيمة لنا أيها المسلمون لأن لنا شريعة باقية غير منسوخة ولما سمى الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم السالفة قبل مجىء الإسلام مصداقه قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس أى أنتم خير أمة وإنما كانت أمته خير الأمم لأنه هو خير الرسل

رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ
كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الْغَنَمِ

أى عظم ذلك فلا يحاط به وقوله ماوليت بالبناء للمفعول أى ماولاك الله قوله من رتب بيان لما والرتب المناصب الشريفة وقوله وعز بفتح العين وتشديد الزاى أى امتنع ذلك فلا يحصل لأحد غيرك وقوله ماأوليت بالبناء للمفعول أى ماأولاك مولاك وقوله من نعم بيان لما والمراد من النعم الأمور المنعم بها وكل من الجملتين إما مستأنف أومعطوف على ماتقدم (قوله بشرى لنا الخ) أى هذه المناقب بشرى لنا الخ فبشرى خبر مبتدأ محذوف ولنا صفة له ويحتمل أن بشرى مبتدأ ولنا خبر وساغ الابتداء ببشرى لأنها فى معنى النكرة الموصوفة فإنها بمعنى الخبر السار وقوله معشر الإسلام أى معشر أهل الإسلام وهو منصوب على الاختصاص أى أخص معشر الإسلام وقوله إن لنا من العناية ركنا غير منهدم أى إن لنا جميع المسلمين من أجل العناية بنا فى الأزل شريعة غير متغيرة بالنسخ فالمراد بالركن الشريعة على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية حيث شبه الشريعة بمعنى الركن بجامع الثبات فى كل واستعار اسم المشبه به للمشبه والمراد بالانهدام التغير لكن لامطلقا بل بخصوص النسخ ، أماتنا الله على سنته واتباع ملته بمنه وفضله ورحمته (قوله لما دعا الله الخ) أى لما سمى الله الخ ولايخفى أن لما شرطية ودعا فعل الشرط والله فاعل وداعينا مفعول ولطاعته متعلق بداعينا وبأكرم الرسل متعلق بدعا وكنا أكرم الأمم جواب الشرط والمعنى لما سمى الله النبى صلى الله عليه وسلم الذى دعانا أى طلبنا لطاعته تعالى بأكرم الرسل كنا معشر أمته أكرم الأمم لأن أكرم الرسل لايبعث إلا لأكرم الأمم وفى التنزيل كنتم خير أمة أخرجت للناس وجعل بعض الشراح داعينا بدلا من الفاعل وجعل لطاعته متعلقا بدعا والمعنى عليه لما دعانا الله وهو داعينا لطاعته بواسطة أكرم الرسل كنا أكرم الأمم والأول أقرب كما لايخفى (قوله راعت الخ) أى افزعت الخ وهذه الجملة مستأنفة وقلوب بالنصب مفعول مقدم لراعت لكن على تقدير مضاف أى أصحاب قلوب ويحتمل أنه سمى الذوات بالقلوب فيكون قد عبر باسم الجزء وأراد الكل على سبيل المجاز المرسل والعدا بالكسر والقصر جمع عدو والمراد بهم الكفار وأنباء بعثته بالرفع فاعل مؤخر لراعت ولايخفى أن إسناد راعت الى أنباء البعثة من المجاز العقلى

مَازَالَ يَلْقَاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ حَتَّى حَكَوْا بِالْقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِ

راعت أي أفزعت والعدا الأعداء والأنباء الأخبار والبعثة الرسالة والنبأة الصرخة وأجفلت أي أفزعت وغفلا جمع أغفل وهو البليد الغافل الذي لايحس بالأمارات الواضحة والغنم اسم جنس والمعترك موضع الاعتراك وهو الازدحام في الحرب وحكوا شابهوا والقنا جمع قناة وهي الرمح والوضم مايضع عليه الجزار اللحم من قصب أوغيره معدا لمن يأخذه . [الاعراب] راعت بالراء والعين المهملتين فعل ماض وتاء تأنيث قلوب مفعول مقدم العدا بكسر العين وضمها والقصر مضاف اليه أنباء بفتح الهمزة الأولى وسكون النون وفتح الموحدة والمد فاعل راعت مؤخر بعثته بكسر الموحدة وفتح المثلثة وكسر المثناة الفوقية مضاف اليه كنبأة بفتح النون وسكون الموحدة وفتح الهمزة في موضع الحال من أنباء أجفلت فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود الى نبأة والجملة صفتها غفلا بضم المعجمة وسكون الفاء مفعول أجفلت من الغنم بفتح الغين المعجمة والنون نعت غفلا ومن للبيان مازال ما حرف نفي زال فعل ماض ناقص اسمه مستتر فيه يعود الى النبي صلى الله عليه وسلم يلقاهم بضم الميم فعل مضارع وفاعله مستتر ومفعول جملة في موضع نصب خبر زال وضمير الجمع للأعداء من الكفار في كل متعلق بيلقاهم معترك بضم الميم وسكون المهملة وفتح المثناة فوق والراء مضاف اليه حتى حرف ابتداء حكوا بفتح المهملة والكاف فعل ماض وفاعل والضمير للأعداء بالقنا بفتح القاف والنون متعلق بحكوا لحما بفتح اللام وسكون المهملة مفعول حكوا على وضم بفتح الواو والضاد المعجمة نعت لحما. [ومعنى البيتين] أن أخبار بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أفزعت قلوب الأعداء وفرقت شملهم كما أفزعت صيحة الأسد قلوب غنم غافلة ومازال صلى الله عليه وسلم يحاربهم حتى بضعهم وصاروا كلحم ملقى على الأرض تأكله السباع والوحوش والطيور ، وفي البيت الأول الجناس الشبيه بالمشتق في قوله أنباء ونبأة :

العقلي لأن موجد الروع في القلوب هو الله تعالى وأنباء بعثته إنما هي سبب فهو من إسناد الفعل الى سببه والمراد بأنباء بعثته أخبارها التي صدرت من الكهان والأحبار وغيرهم كقولهم إنه سيظهر دين يغلب كل دين وإنما أفزعتهم لغفلتهم عنها كما يؤخذ من التشبيه بعد ولوكانوا ملتفتين اليها مافزعوا منها وقوله كنبأة أي مثل نبأة أي زأرة الأسد التي هي صوته وجملة أجفلت بالجيم والفاء أي أفزعت صفة لنبأة وغفلا بضم الغين وسكون الفاء جمع غافل وهو مفعول لأجفلت وقوله من الغنم بيان لغفلا مشوب بتبعيض وإنما كانت غفلا لكونها راتعة في ربيعها مشتغلة في أكلها وشهواتها فأجفلها ذلك الصوت وفرقها (قوله مازال الخ) أي لم ينفك صلى الله عليه وسلم عن كونه يلقاهم بنفسه تارة وبخيله ورجله أخرى في كل معترك وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم ويلقاهم بالاشباع والجار والمجرور متعلق به والمعترك بفتح الراء محل الاعتراك أي الازدحام للحرب وقوله حتى الخ غاية لقوله مازال يلقاهم في كل معترك وقوله حكوا بفتح الكاف لأن أصله حكيوا قلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين ومعنى حكوا شابهوا وقوله بالقنا أي بطعن القنا فهو على تقدير مضاف والباء للسببية أي بسبب طعنهم بالقنا وكذا بسبب ضربهم بالسيوف ورميهم بالنبل والقنا جمع قناة وهي الرمح ولحما مفعول لقوله حكوا وقوله على وضم متعلق بمحذوف صفة للحما والوضم بالضاد المعجمة مايضع القصاب اللحم عليه معدا لمن يأخذه وهو المسمى بالطبلية وقيل إنه الحديد الذي يغرز فيه اللحم حين يشوى ليؤكل . وحاصل المعنى أنه صلى الله عليه وسلم مازال يقاتل الكفار حتى تركهم قتلى معدين لأكل السباع والطيور لحومهم ويقال للذليل الحقير لحم على وضم بطريق الاستعارة ويحتمل أن يكون هو المراد هنا كما يحتمل الحقيقة (قوله ودوا الفرار الخ) أي تمنوا الهرب منه صلى الله عليه وسلم وإنما تمنوه مع أنه أقبح الخصال وأذمها عند العرب فإنه من أفعال اللئام وما كانوا يرضون به فضلا عن تمنيه لما استمر فيهم من القتل ولما كثرت ودادتهم للفرار وصار من شهواتهم المطلوبة لهم ولات حين فرار لهم من غضب الله تعالى الذي حل بهم على يد رسول صلى الله عليه وسلم ويد المؤمنين نزل هربهم منزلة الحال الذي لاينال الا بالتمني

وَدُّوا الْفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ الْعِقْبَانِ وَالرَّخَمِ

تَمْضِي اللَّيَالِي وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا ۝ مَالَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ

ودوا أى تمنوا والفرار الهرب ويكاد أى يقارب والغبطة تمنى مثل حال المغبوط ولم يرد زوالها وأشلاء جمع شلو بكسر المعجمة وسكون اللام وهو العضو من اللحم وشالت أى ارتفعت والعقبان جمع عقاب نوع من كرائم الطير والرخم جمع رخمة وهو طائر يشبه النسر يقع على الميتات وتمضى تمر والليالى جمع ليلة على غير قياس والمراد الليالى والأيام وخص الليالى بالذكر لأن مقاساة الهموم فيها أشد ولايدرون أى لايعلمون والعدة العدد والأشهر الحرم أربعة رجب وذو القعدة وذوالحجة والمحرم والحرم جمع حرام . [الاعراب]ودوا بفتح الواو وضم الدال فعل ماض وفاعل والضمير للأعداء الفرار بكسر الفاء مفعول ودوا فكادوا فعل ماض والواو اسمه يغبطون بفتح المثناة التحتية وسكون الغين المعجمة وكسر الموحدة وضم الطاء المهملة فعل مضارع وفاعل والجملة فى موضع نصب خبر كاد به متعلق بيغبطون والضمير للفرار أشلاء بهمزتين مفتوحتين بينهما شين معجمة ساكنة ولام مفتوحة والمد بغير تنوين للضرورة لأن أصله أشلاو قلبت الواو همزة لتطرفها إثر ألف زائدة كسماء مفعول يغبطون شالت بالشين المعجمة فعل ماض وفاعله ضمير مستترفيه يعود الى أشلاء والجملة نعت أشلاء مع بفتح العين متعلق بشالت العقبان بكسر العين مضاف اليها والرخم بفتح المهملة والخاء المعجمة معطوف على العقبان تمضى الليالى فعل وفاعل والمعطوف محذوف أى والأيام على حد سرابيل تقيكم الحر أى والبرد ولاحرف نفى يدرون فعل مضارع وفاعل عدتها بكسر العين مفعول يدرون ماظرفية مصدرية لم تكن صلة ما واسم تكن مستتر فيها يعود الى الليالى من ليالى خبر تكن الأشهر مضاف اليها الحرم بضم الحاء والراء المهملتين نعت الأشهر .

[ومعنى البيتين] تمنى الأعداء الفرار من الحرب لشدة ماحصل عليهم فلم يقدروا عليه وتمنوا أن يحصل لهم مثل ماحصل لأعضاء أمثالهم حين وقعت عليها الطيور فأكلت منها مااختارت وارتفعت منها بما شاءت ليخلصوا مما هم فيه فإن الإنسان إذا اشتد عليه الحال ولايجد لشدته فرجا ولا لضيقه مخرجا يتمنى الموت وإذا استولى عليه الخوف لايميز بين الأيام والليالى ولايضبط عدد الليل والنهار فكذلك هؤلاء تمر عليهم الليالى والأيام لايعرفون عددها لشدة ماحصل عليهم من القتال والمحاربة لهم فإذا دخلت الأشهر الحرم عرفوها بامساك النبى صلى الله عليه وسلم عن القتال فيها رعاية لحرمتها ووفاء بحقها .

(قوله فكادوا يغبطون به أشلاء شالت مع العقبان والرخم أى فلتمنيهم ذلك قربوا من أن يغبطوا بذلك الفرار أشلاء على وزن أشياء أى أعضاء شالت أى ارتفعت حال كونها مع العقبان بكسر العين جمع عقاب وهو نوع من الطير ومع الرخم جمع رخمة وهو نوع من الطير أيضا وإنما خص هذين النوعين لعظم ارتفاعهما دون غيرهما والغبطة هى تمنى الشخص أن يحصل له مثل ماحصل لغيره فكأنهم يقولون ياليت لنا مثل ماللأعضاء اللحم التى ارتفعت مع العقبان والرخم الى منازلها وأشلاء جمع شلو بكسر الشين وسكون اللام وهو العضو من اللحم وإنما غبطوا الأعضاء دون العقبان والرخم التى ارتفعت بها لما بينهم وبين تلك الأعضاء من المشابهة لأنهم لاحركة لهم ولاقوة بسبب طعن القنا وغيره فحالتهم كحالة الأعضاء لا كحالة العقبان والرخم (قوله تمضى الليالى الخ) أى تمر عليهم الليالى بأيامها والحال أنهم لايعلمون عددها من شدة مادخل فى قلوبهم من الفزع وخامر بواطنهم من الهلع بسبب جهاد النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لهم فيسكرون من الخوف وتذهب عقولهم وينعدم تمييزهم فلايدرون عدة الأيام بلياليها وعلم مما تقرر أن الواو فى قوله ولايدرون عدتها واو الحال وقوله مالم تكن من ليالى الأشهر الحرم أى مالم تكن تلك الليالى من ليالى الأشهر الحرم التى هى ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب بخلاف ما إذا كانت تلك الليالى من ليالى الأشهر الحرم المذكورة فانها تمضى عليهم ويدرون عدتها لكونهم يفيقون من سكرهم من الخوف وترجع اليهم عقولهم ويوجد لهم تمييزهم لإمساك النبى والمؤمنين عن جهادهم فى الأشهر الحرم فى صدر الإسلام عند من رأى أن منع قتالهم فيها نسخ وقال عطاء لم ينسخ وهو ضعيف وماذكرناه فى عد الأشهر الحرم هو الصحيح وقيل هى المحرم ورجب وذو القعدة وذوالحجة وعلى الأول فهى من سنتين وعلى الثانى فهى من سنة ويترتب على الخلاف مالو نذر صومها مرتبة فيصوم على الأول ذا القعدة أولا الى آخرها ويصوم على الثانى المحرم الى آخرها

(قوله

كأنما الدينُ ضيفٌ حلَّ ساحتهمْ ... بكلِّ قَرْمٍ إلى لحمِ العِدا قَرِمِ

الدين الإسلام وحلّ نزل والساحة المكان وقرم بسكون الراء السيد وبكسرها شديد الشهوة الى اللحم والمراد شديد الحرص على قتل أعداء الدين . [الاعراب] كأنما حرف تشبيه الدين بكسر الدال مبتدأ ضيف خبره حل بفتح المهملة فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود على ضيف ساحتهم مفعول فيه بحل والجملة نعت ضيف بكل متعلق بحل قرم بفتح القاف وسكون الراء مضاف اليه الى لحم متعلق بقرم آخر البيت العدا بكسر العين والقصر مضاف اليهم قرم بفتح القاف وكسر الراء نعت قرم بسكون الراء المتقدم .

[ومعنى البيت] كان دين الإسلام ضيف نزل ساحة كل سيد من الصحابة شديد الشهوة الى قتل أهل الكفر وتمزيق لحومهم، وفى البيت من البديع الجناس المحرف بين قوله قرم وقرم .

يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ ... تَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ

مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلّٰهِ مُحْتَسِبٍ ... يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ

البحر كناية عن الكثرة والخميس الجيش سمى بذلك لأنه خمس فرق المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة قاله فى القاموس وخيل سابحة إذا مدت يدها للجرى مأخوذ من السباحة وهى العوم فى الماء والأبطال جمع بطل بفتح الطاء وهو الشجاع وموج ملتطم أى دخل بعضه على بعض لكثرته والمنتدب المجيب يقال ندبه لكذا فانتدب أى دعاه فأجابه والمحتسب من يقدم الخير ويعده فيما يدخره ويسطو أى يصول ومستأصل للكفر أى يقلعه من أصله والاصطلام الاستئصال قاله فى الصحاح . [الاعراب] يجر بضم الجيم فعل مضارع وفاعله مستتر فيه يعود الى الضيف بحر بسكون المهملة مفعول به خميس بفتح الخاء المعجمة مضاف اليه فوق ظرف مكان منصوب بيجر سابحة بمهملتين بينهما باء موحدة مكسورة مضاف اليها والمنعوت بها محذوف تقديره خيل سابحة يرمى بفتح الياء المثناة .

(قوله كأنما الدين الخ) أى كأنما دين الإسلام ضيف حل ونزل ساحة الكفار فالضمير فى ساحتهم عائد على الكفار كما قاله بعض الشارحين وهو قضية السياق أو ساحة الصحابة فالضمير فى ذلك راجع للصحابة كما قاله بعض الشارحين وهو المسموع من المشايخ وقوله بكل قرم بفتح القاف وسكون الراء أى مع كل شجاع لأن هذا الضيف الذى وقع التشبيه به شجاع فلذا نزل مع شجعان أمثاله فالباء بمعنى مع والقرم بفتح فسكون الشجاع وقوله الى لحم العدا قرم بفتح القاف وكسر الراء أى شديد الشهوة الى لحم العدا المسلمين فالقرم بفتح فكسر شديد الشهوة والجار والمجرور متعلق به . وحاصل المعنى على جعل الضمير فى ساحتهم عائدا على الكفار كأنما دين الإسلام ضيف حل ساحة الكفار مع كل شجاع شديد الشهوة الى لحم العدا المسلمين ومن شأن الضيوف إذا كانوا كراما أن يشبعوا عند المضيف لهم مما يشتهون وفيه على هذا إقامة الظاهر مقام المضمر والا فكان مقتضى الظاهر أن يقول الى لحمهم ونكتته التصريح بوصفهم بالعداوة للمسلمين . وحاصل المعنى على جعل الضمير فى ساحتهم راجعا الى الصحابة كأنما دين الإسلام ضيف حل ساحة الصحابة مع كل شجاع شديد الشهوة الى لحم العدا المسلمين ومن شأن المضيف أن يشبع ضيوفه مما يشتهون وعلى كل فالغرض من ذلك الإخبار بكثرة القتل فى الكفار (قوله يجرّ الخ) أى يستتبع هذا القرم بفتح القاف وسكون الراء الذى هو الشجاع فالمراد بالجر هنا الاستتباع ليكون قد شبه الاستتباع بالجر واستعار اسم المشبه به للمشبه ثم اشتق منه يجر بمعنى يستتبع ويحتمل أنه شبه الخميس الذى كالبحر بدابة تجر برسن تشبيها مضمرا فى النفس وحذف اسم المشبه به ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو الجر فهو تخييل الاستعارة بالكناية وقوله بحر خميس أى خميسا كالبحر فى تموجه واهلاكه الكفار فهو من إضافة المشبه به للمشبه والخميس هو الجيش العظيم سمى بذلك لأنه مركب من خمس قوائم مقدمة وميمنة وميسرة وساقة وقلب وقوله فوق سابحة أى كائن فوق خيل سابحة أى مسرعة فى طلب الكفار كالسابح فى البحر وقوله يرمى بموج الخ صفة للخميس والمراد بالموج مايصل الى الكفار من الطعن والقتل وغيرهما فيكون قد شبه ذلك بمعنى الموج واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق التصريح وقوله من الأبطال أى صادر ذلك الموج من الأبطال وإنما لم يقل منهم مع أن الأبطال نفس الجيش لإفادة أن ذلك الجيش كله أبطال والأبطال جمع بطل وهو الشجاع وقوله ملتطم صفة لموج أى ملتطم بعضه ببعض (قوله من كل منتدب الخ) الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور قبله أى من كل مجيب الخ فالمنتدب بكسر الدال

التحتية فعل مضارع وفاعله مستترفيه يعود الى بحر بموج جار ومجرور متعلق يرمى من الأبطال نعت موج ملتطم بضم الميم الأولى وفتح التاء الفوقية وكسر الطاء المهملة نعت ثان لموج من كل بدل من الأبطال باعادة من منتدب بضم الميم وسكون النون وفتح المثناة الفوقية وكسر الدال المهملة مضاف اليه لله متعلق بمنتدب محتسب بضم الميم وسكون الحاء وكسر السين المهملتين نعت منتدب بكسر الدال دون فتحها يسطو بفتح الياء المثناة التحتية وسكون السين وضم الطاء المهملتين فعل مضارع وفاعله مستتر فيه يعود الى منتدب بمستأصل بضم الميم وسكون السين المهملة وفتح المثناة الفوقية وسكون الهمزة وكسر الصاد المهملة متعلق بيسطو على تقدير مضاف بين الجار والمجرور أى بسيف مستأصل للكفر متعلق بمستأصل على تقدير مضاف بين الجار والمجرور أى لأصل الكفر مصطلم بضم الميم الأولى وسكون الصاد وفتح الطاء المهملتين واللام نعت منتدب .

[ومعنى البيتين] يجر ذلك الضيف جيشا يموج كموج البحر الملتطم فوق خيل سابحة بكل فارس منتدب لله تعالى محتسب بعمله عند الله تعالى يصول بسيف قاطع قالع لأصل الكفر مهلك لأهله .

حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ ... مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ

مَكْفُولَةً أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ ... وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ

غدت صارت والملة الشريعة والغريبة البعيدة عن أهلها وصلة الرحم قرب ذوى الأرحام بعضهم من بعض فى تعاطفهم وتواصلهم والمكفول الذى يقام بحقه والأبد الدائم والبعل الزوج ويتم الصبى بالكسر ييتم بالفتح إذامات أبوه وآمت المرأة تئيم أيمة وأيما إذاخلت من زوج .

[الاعراب] حتى حرف ابتداء غدت بالغين المعجمة فعل ماض ناقص ملة اسمها الإسلام مضاف إليه وهى بهم مبتدأ وخبره وضمير بهم للأبطال والجملة حال من ملة مرتبطة بالواو والضمير من بعد متعلق بغدت غربتها بضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح الباء الموحدة مضاف اليها موصولة بالنصب خبر غدت الرحم بفتح بكسر الحاء المهملة مضاف اليها مكفولة بالنصب خبر بعد خبر أبدا ظرف زمان منصوب بمكفولة منهم بخير متعلقان بمكفولة والضمير للأبطال أب مضاف اليه وخير بالجر معطوف على خير المجرور بالباء بعل بالموحدة والمهملة مضاف اليه فلم تيتم بتاءين مثناتين من فوق مفتوحتين بينهما ياء مثناة تحتية ساكنة جازم ومجزوم ولم تئم بفتح المثناة الفوقية وكسر الهمزة جازم ومجزوم معطوف على ماقبله وفيه لف ونشر لأن نفى اليتم مع وجود الأبوة ونفى التأيم مع وجود البعولة . [ومعنى البيتين] لم يزل السيف قائما حتى صارت ملة الإسلام موصولة بعد أن كانت مقطوعة الوصلة ومكفولة بخير أب وخير زوج وهو النبى صلى الله عليه وسلم فلم يحصل لها يتم من جهة الأب ولا تأيم من جهة الزوج لأنه أبو الملة وبعلها فى الشفقة على أهلها .

على أنه اسم فاعل وضبطه بعض الشروح بفتحها على أنه اسم مفعول بمعنى مدعو وعلى كل فقوله لله متعلق به وقوله محتسب أى مدخر ثواب عمله عند الله وقوله يسطو أى يصول وقوله بمستأصل للكفر أى بآلة مستأصلة لأهل الكفر كالسيف وغيره من آلة القتال أى مزيل لهم من أصلهم يقال استأصله إذا أزاله من أصله وقوله مصطلم أى مهلك لهم يقال اصطلمه إذا أهلكه وفى الصحاح الاصطلام الاستئصال وعليه فهو توكيد (قوله حتى غدت الخ) أى ومازال هذا المنتدب يسطو بمستأصل لأهل الكفر الى إن غدت الخ فهو غاية لمحذوف وغدت بمعنى صارت وهو بالغين المعجمة وقوله ملة الإسلام أى ملة هى الإسلام فالإضافة فى ذلك من إضافة الأعم الى الأخص لأن الملة تشمل سائر الأديان وقوله وهى بهم أى وهى مصحوبة بالصحابة والجملة اعتراضية بين اسم غدت وهو ملة الإسلام وخبرها وهو موصولة الرحم وقوله من بعد غربتها متعلق بغدت بمعنى صارت والمراد بغربتها عدم شهرتها لقلة من ينتمى اليها وقوله موصولة الرحم بالنصب على أنه خبر لغدت كما علمت والمراد بكونها موصولة الرحم كثرة القيام بحقها بسبب كثرة من ينتمى اليها ويدخل فيها وقد شبه كثرة القيام بحقها بوصل الرحم واستعار اسم المشبه به للمشبه وأشار بذلك الى حديث مسلم بدأ الإسلام غريبا أى ظهر بين قوم لايقومون بحقه فهو مقطوع الرحم ثم قامت الصحابة بحقه فصار موصول الرحم (قوله مكفولة الخ) أى محفوظة الخ وهو خبر ثان لغدت وقوله أبدا ظرف لقوله مكفولة وقوله منهم أى من الكفار وقوله بخير أب وخير بعل وهو النبى صلى الله عليه وسلم فإنه أشفق على أمته من الأب على أولاده وأقوم بمصالحهم من البعل على زوجاته ومثله صلى الله عليه وسلم من يقوم مقامه من الخلفاء الراشدين والعلماء المهديين ولاشك أن المرأة التى كفلها خير أب وخير بعل فى غاية من المكانة ورفاهية من العيش وقوله فلم تيتم

هُمُ الجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ ... مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ

وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً ... فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ

الجبال جمع جبل وتصادم الفارسان إذا التقيا بأجسادهما والمصطدم موضع الاصطدام وحنين واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وبدر اسم ماء بينه وبين المدينة ثمانية وعشرون فرسخا على طريق مكة وأحد جبل عند المدينة الشريفة والمراد بهذه الأمكنة الثلاثة الغزوات عندها والفصول جمع فصل والمراد بها هنا أنواع الهلاك والحتف الهلاك وأدهى أفعل تفضيل من الداهية والوخم الوباء .

[الاعراب] هم الجبال بالجيم مبتدأ وخبر فسل فعل أمر وفاعل عنهم متعلق به مصادمهم بضم الميم الأولى وفتح الثانية وكسر الدال مفعول به والضمير للأبطال ماذا اسم استفهام مبتدأ ذا خبره وهو اسم موصول رأى بفتح الراء والهمزة صلة ذا وفاعله ضمير مستتر فيه يعود الى مصادمهم والعائد محذوف أى رآه ويحتمل أن تكون ماذا كلة واحدة فى موضع نصب برأى منهم فى كل متعلقان برأى مصطدم بضم الميم الأولى وسكون الصاد وفتح الطاء والدال المهملات مضاف اليه وسل حنينا بضم الحاء المهملة وفتح النون فعل وفاعل ومفعول وسل بدرا بفتح الموحدة فعل وفاعل ومفعول وسل أحدا بضم الهمزة والحاء المهملة فعل وفاعل ومفعول والجمل الثلاث معطوفة على سل مصادمهم من عطف الخاص على العام فصول بضم الفاء والصاد المهملة خبر مبتدأ محذوف أى هى فصول ويجوز نصبها على البدلية من الأمكنة الثلاثة لأن المراد بها زمن القتال فيها حتف بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة الفوقية مضاف اليه لهم متعلق بحتف أدهى اسم تفضيل نعت حتف من الوخم بفتح الواو والخاء المعجمة متعلق بأدهى . [ومعنى البيتين] هم الأبطال الراسخون فى القتال فاسأل عنهم من صادمهم فى الحرب ما الذى رآه منهم فى كل موضع من مواضع الاصطدام واسأل عنهم وقعة حنين ووقعة بدر ووقعة أحد تخبرك أنها كانت عليهم فصول وباء وهلاك .

بفتح التاءين وسكون المثناة التحتية بينهما أى من جهة الأب وقوله ولم تئم بفتح التاء وكسر الهمزة أى من جهة البعل ففى ذلك لف ونشر مرتب يقال يتم الولد بكسر التاء ييتم بفتحها إذا مات أبوه وهو صغير ويقال آمت المرأة تئيم كباعت تبيع إذا خلت من زوجها ومنه قوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم (قوله هم الجبال الخ) هذه الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا لأنها جواب عما يقال من الذين صارت بهم الملة الى هذه الحالة والكلام على التشبيه أى هم كالجبال فى الصبر والصلابة وهذا يسميه البيانيون تشبيها بليغا لا استعارة وقوله فسل عنهم مصادمهم أى إن ارتبت فى هذا فسل عنهم من صادمهم من أعدائهم ولعل مراده فسل عنهم مؤرخ أخبار مصادمهم أو فسل مصادمهم على تقدير حياته والا فكيف يتصور سؤاله الآن وقد مات من مدة مثين من السنين حتى عاد رفاتا والمصادمة اصطكاك الصفين وقوله ماذا رأى منهم أى من الشدة التى لا توصف لعظمها وما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول خبر أى أى شىء الذى رأى ويصح أن يكون ماذا بتمامها اسم استفهام وعلى هذا فهو مفرد بخلافه على الأول فهو جملة وقوله فى كل مصطدم بفتح الدال أى فى كل مكان الاصطدام الذى هو اصطكاك الصفين كما مر والمراد بالمصطدم الأماكن التى التقوا فيها مع أعدائهم وبين مصادمهم ومصطدم تجنيس الاشتقاق وهو ردّ الصدور على الأعجاز ومن هنا الى قوله طارت قلوب العدا الخ [خاصيتها] أن من كتبها على باب بلد أو دار أو بستان مادامت مكتوبة لا يصل الى ذلك سارق ولا دود ولا غير ذلك قال قائل هذه الفائدة قد جربت فى القمح والشعير وغيرهما وقال أيضا كتبت هذه الأبيات على باب دار فجاء السارق فسمع صوتا فى الدار فرجع ثم قال لأصحابه ذلك فأخبروه بأن صاحب البيت غائب جمعتين ثم رجع ثانى ليلة فسمع فيه صوتا يقول له ماغبت شيئا ومنعه الله ببركة هذه الأبيات (قوله وسل حنينا الخ) أى وسل زمن غزوة حنين وسل زمن غزوة بدر وسل زمن غزوة أحد ويحتمل أن يكون مراده وسل أهل حنين وسل أهل بدر وسل أهل أحد أو وسل مؤرخ وقعة حنين وسل مؤرخ وقعة بدر وسل مؤرخ وقعة أحد والتفسير الأول أولى لأن قوله فصول حتف بدل من حنين وما عطف عليه بدل مجمل من مفصل وبعضهم جعله خبر مبتدإ محذوف أى هى فصول الخ ومعنى قوله فصول حتف لهم أزمنة موت للكفار وقوله أدهى من الوخم أى أشد داهية عليهم لما يصيبهم فيه من الوخم الذى هو الوباء فإن ما يموت منهم فى زمن الوباء مع تطاوله لا يبلغ كثرة من يموت منهم

الْمُصْدِرِي الْبِيضَ حُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ مِنَ الْعِدَا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ
وَالْكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

المصدرى جمع مصدر من قولهم صدر عن الماء أى رجع عنه وأصدر غيره فهو مصدر والبيض جمع أبيض والمراد السيوف المصقولة وحمراء جمع أحمر والورود الاتيان والعدا اسم جمع عـدو ومسودّ اسم مفعول من اسود بتشـديد الدال واللمم جمع لمة وهى الشعر إذا جاوز شحمة الأذن فإذا بلغ المنكبين فهو جمـة والسمر الرماح والخط شجر يؤخذ منه خشب الرماح واسم موضع باليمامـة وهو خط هجر تجلب اليه الرماح من الهند فتقوّم به واليـه تنسب الرماح الخطية والأقلام جمع قلم والمراد أسنة الرماح والحرف والطرف والمنعجم من أعجمت الكتاب نقطته وحقيقة اللفظ أزلت عنه العجمة.

[الاعراب] المصـدرى بضم الميم وسكون الصاد وكسر الدال المهملتين بالجر نعت الأبطال فى البيت السادس قبله وحـذفت النون للاضافة البيض مضاف اليها حمرا بضم الحاء حال من البيض بعـد ظرف زمان منصوب بالمصدرى مامصدرية وردت صلتها من العدابكسر العين وضمها متعلق بوردت كل مفعول وردت مسود بضم الميم وسكون السين وفتح الواو وتشـديد الدال مضاف اليه من اللمم بكسر اللام وفتح الميم الأولى نعت مسود والكاتبين معطوف على المصـدرى بسمر بضم السين المهملة وسكون الميم متعلق بالكاتبين الخط بالخاء المعجمة والطاء المهملة مضاف اليـه مانافية تركت أقلامهم فعل وفاعل حرف بفتح الحاء وسكون الراء المهملتين مفعول به جسم بكسر الجيم مضاف اليه غير بالنصب نعت حرف منعجم بضم الميم وسكون النون وفتح العين المهملة وكسر الجيم مضاف اليه . [ومعنى البيتين] الراجعين أسيافهم المصقولة حمرا من دم القتلى بعد ماوردت كل شعر أسود وطعنت الرماح الخطية كل جسم فلم تترك طرفا منه بلا أثر طعنة وفى البيت الأول الجمع بين الصدور والورود وهو نوع من المطابقة والجمع بين البياض والحمرة والسواد وهو مراعاة النظير .

فى زمن مقاتلة المؤمنين لهم مع قصره كالساعة الواحدة وكانت غزوة حنين بعد فتح مكة سنة ثمان وهو اسم لواد بين مكة والطائف وفيه التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون مع المشركين فانهزم الكفار وقتـل منهم كثير وسبيت أموالهم ونساؤهم وكانت غزوة بدر من غير قصد من المسلمين اليها فى يوم الجمعـة سنة ثنتين وبدر اسم ماء على طريق مكة بينه وبين المدينة ثمانية وعشرون فرسخا وعنده كانت هذه الغزوة وقتل فيها من صناديد قريش سبعون وأسر منهم سبعون وكان عددهم نحو ألف والمسلمون نحو ثلثمائة وروى أنه نزل جبريل عليه السلام فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة فى صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤوسهم عمائم بيض قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم ولم تقاتل الملائكة فى سوى يوم بدر وإنما يكونون عددا ومددا وكانت غزوة أحـد فى شوّال سنة ثلاث وهو اسم الجبل بالمدينة كانت الوقعة فيه واستشهد فيها من المسلمين سبعون منهم حمزة وقتـل من المشركين اثنان وعشرون رجـلا وكان المسلمون سبعمائة والمشركون ثلاثة آلاف والحرب سجال واحدة لنا وواحـدة علينا (قوله المصدرى البيض الخ) أى أمدح المصدرى البيض الخ فهو مفعول لفعل محذوف وأصله المصدرين لكن حذفت نونه للاضافة إن جعلنا المصدرى مضافا للبيض أو للتخفيف إن جعلناه غير مضاف والمصدرين جمع مصدر بضم الميم من أصدر عن الماء رجع ويقال أصدره غيره أى أرجعه والمراد من البيض السيوف المصقولة فشبه السيوف المذكورة بابل بيض أوردت ينبوعا أسود يجرى بماء أحمر ثم أصدرت عنـه حمراء من تلبسها بالماء الذى وردته تشبيها مضمرا فى النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز اليـه بشىء من لوازمه وهو الإصدار ففيه استعارة بالكناية وتخييل وقوله حمرا أى من الدماء التى خالطتها وهو حال من البيض وقوله بعد ماوردت أى بعـد ورودها فما مصدرية وقوله من العـدا حال من قوله كل مسود الواقع مفعولا لقوله وردت وقوله من اللمم أى الشعر المجاوز شحمة الأذن فاللمم بكسر اللام جمع لمة وهى الشعر المذكور ومن زائدة لأن المعنى على الإضافة والتقدير كل مسود اللمم فحاصـل المعنى أمدح الصحابة الذين أصدروا أى أرجعوا السيوف البيض حال كونها حمرا من الدماء بعد ورودها كل شخص مسود اللمم حال كونه من العدا وفى ذلك دليـل على شجاعة الصحابة رضى الله تعالى عنهم حيث لا يرضون الا بقتل سود اللمم من العـدا وهم الشبان فى الغالب (قوله والكاتبين بسمر الخط) عطف على قوله المصـدرى البيض وأراد من الكاتبين الطاعنين فيكون قد شبه الطعن

الطعن بالكتابة بجامع التأثير فى كل واستعار الكتابة للطعن واشتق من الكتابة بمعنى الطعن الكاتبين بمعنى الطاعنين على طريق الاستعارة التصريحية التبعية والمراد بسمر الخط الرماح الخطية فالسمر جمع أسمر وهو الرمح والخط شجر تتخذ منه تلك الرماح وقيل موضع باليمامة تجلب اليه تلك الرماح من الهند وقوله ماتركت أقلامهم حرف جسم غير منعجم أى لم تترك أسنة رماحهم طرف جسم من أجسام الكفار غير مزال عجمته بل أزالت عجمته أى خفاءه بالطعن بأن طعنته ليتميز الكفار من المؤمنين فإن الأمر مختلط فى الحروب فيتميز الكافر بطعنه والمؤمن بسلامته كما يتميز الحرف المعجم بنقطه والمهمل بخلوه عن النقط فالمراد بأقلامهم أسنة رماحهم فيكون قد شبه أسنة رماحهم بالأقلام واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية والحرف بمعنى الطرف ومنه قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أى على طرف وجانب من الدين وفى هذا البيت لطائف منها تشبيه الصحابة بالكتبة وأسنة رماحهم بالأقلام وذلك دليل على غاية إحكامهم للطعن بها حتى إنها فى أيديهم كالأقلام فى يد الكتبة وليس عليهم كبير مشقة فى التصرف بها ومنها الإشارة الى أنهم لا يطعنون طعنة الا فى محلها كما لا تنقط الكتبة نقطة الا فى محلها ومنها الإشارة الى أنهم أعجموا حروف أجسام الكفار ليتميزوا من المسلمين ويوجد فى بعض النسخ بيت وهو :

إن قام فى جامع الهيجاء خاطبهم تصامت عنه أذنا صمة الصمم

اى إن قام فى مجتمع الحرب خاطب الصحابة تغافلت عنه أذنا صمة الصمم أى أشدهم شجاعة قال العلامة ابن مرزوق وهذا البيت لم يثبت فى روايتى وانما هو فى بعض النسخ والظاهر أنه ليس من كلام الناظم ولذلك وقع الاضطراب فى تفسيره وهذا شأن كثير مما أدخل فيه وفى ذلك دلالة على خلوص نيته وصدق محبته رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته (قوله شاكى السلاح الخ) أى حاديه كما عليه الجوهرى وبعضهم فسره بتاميه أى جامعين لأنواعه والمناسب لأخذه من الشوكة التى هى الحدة الأول وتركيب شاكى السلاح كتركيب المصدرى البيض فأصله شاكين السلاح لكن حذفت منه النون للاضافة أو للتخفيف وأصل شاكى شاوك فدخله القلب المكانى فصار شاكو ثم دخله القلب الذاتى فصار شاكى وقوله لهم سيما تميزهم أى لهم علامة تميزهم عن غيرهم قال تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال بعضهم يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقوله والورد يمتاز بالسيما عن السلم أى والورد يتميز من السلم بالعلامة من طيب الرائحة وحسن الخلقة وبهاء المنظر فإن السلم بضد ذلك فالورد والسلم وإن اشتركا فى أن كلا شجر مورق ذو شوك الا أن بينهما فرقا ظاهرا لكل ذى بصر وكذلك الصحابة وغيرهم فانهما وإن اشتركا فى أن كلا ذو سلاح الا أن بينهما فرقا ظاهرا لكل ذى بصيرة فالصحابة يمتازون من غيرهم بشرف المنزلة وطيب الرائحة وبهاء المنظر وحسن الخلقة فان غيرهم بضد ذلك فالمقصود من قوله والورد الخ توضيح لفرق (قوله تهدى اليك الخ) أى ترسل اليك الرياح التى

شَاكِى السِّلَاحِ لَهُمْ سِيمَا تُمَيِّزُهُمْ
وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيمَا مِنَ السَّلَمِ
تُهْدِى إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ
فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِى الْأَكْمَامِ كُلَّ كَمِى

شاكى من الشوكة وهى الحدة والشدة يقال رجل شاكى السلاح أى حاده والسلاح آلة الحرب والسيما العلامة تميزهم أى تعينهم عن غيرهم والسلم شجر له شوك يشبه شجر الورد ويمتاز الورد عنه بحسن الخلقة وبهاء المنظر وطيب الرائحة ويمتاز فى النور فإن شجرة الورد نوره أحمر غالبا والسلم نوره أصفر والهدية اسم مايهدى به والرياح جمع ريح والنصر التأييد وقهر الأعداء والنشر الرائحة الطيبة وتحسب تظن والاكمام جمع كم بكسر الكاف وهو الغلاف الذى يكون على الزهر وإنما خص الزهر فى أكمامه لكونه أعظم رائحة وأحسن منظرا والكمى الرجل الشجاع الذى يكمى جسده بالسلاح أى يستره .

[الاعراب] شاكى منصوب على الحال من الأبطال لأنه صفة مضافة الى معمولها واضافتها لاتفيد التعريف والأصل شاكين حذفت النون للاضافة السلاح مضاف اليه لهم خبر مقدم والضمير للأبطال سيما بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة التحتية والقصر مبتدأ مؤخر تميزهم بضم التاء الفوقية وكسر التحتية المشددة وبالزاى فعل وفاعل نعت سيما والورد بفتح الواو مبتدأ يمتاز بالزاى خبره بالسيما متعلق بيمتاز من السلم بفتح السين المهملة واللام متعلق بيمتاز أيضا تهدى بضم التاء الفوقية وسكون الهاء وكسر الدال مضارع أهدى اليك متعلق بتهدى رياح بالمثناة التحتية فاعل تهدى النصر مضاف اليه

نشرهم بفتح النون وسكون الشين المعجمة وفتح الراء المهملة وضم الهاء والميم مفعول تهد فتحسب فعل مضارع يتعدى الى اثنين الزهر بالزاى مفعوله الأول فى الأكام بفتح الهمزة حال من الزهر أونعت له لأنه معرف بأل الجنسية كل مفعول ثان لتحسب كمى بفتح الكاف وكسر الميم مضاف اليه وهو من باب القلب والأصل فتحسب كل كمى الزهر فى الأكام

[ومعنى البيتين] الأبطال فى حال كونهم شاكين السلاح لهم بذلك علامة تميزهم من غيرهم كما يمتاز الورد من السلم بعلامة وهى طيب الرائحة وبهاء المنظر وحسن الخلق تهدى اليك رياح النصر خبرهم الطيب فتظن أنت كل كمى منهم فى استتاره بسلاحه كأنه الزهر فى استتاره بكمامه لأنه فى كمامه أحسن منظرا وأطيب رائحة منه خارج كمامه وفى قوله الأكام وكمى الجناس الشبيه بالمشتق :

كَأَنَّهُمْ فى ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُبًا ... مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَامِنْ شَدَّةِ الْحُزُمِ

طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا ... فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْبَهْمِ وَالْبُهَمِ

الخيل اسم جمع واحده فى المعنى فرس وربا جمع ربوة بضم الراء وفتحها وكسرها المرتفع من الأرض الحزم بالسكون ضبط الأمر وقوة الثبات والحزم بضمتين جمع حزام مثل كتب وكتاب وهو مايشد به السرج أوغيره على ظهر الدابة وطارت أى اضطربت وبأسهم شدتهم فى الحرب وفرقا أى خوفا والبهم بفتح الباء وسكون الهاء جمع بهمة وهى السخلة والبهم بضم الباء وفتح الهاء جمع بهمة بضم الباء وسكون الهاء وهو الشجاع الذى لايدرى من أين يؤتى فى الحرب لشدة بأسه .

حصل بها النصرخبرهم السار على وجه الهدية فتهدى بمعنى ترسل وهو بضم التاء من أهدى والمراد برياح النصر الرياح التى حصل بها النصرفالإضافة لأدنى ملابسة ويحتمل أن المراد بها بركات النصر وثمراته وقديراد بالرياح الدولات كما فى قول الشاعر :

إذاهبت رياحك فاغتنمها ... فعقبى كل عاصفة سكون

والمراد بالنشر الخبر السار وإن كان فى الأصل الرائحة الطيبة وقوله فتحسب الزهر فى الأكام كل كمى كان حق الكلام أن يقول فتحسب كل كمى الزهر فى الأكام لكن المصنف قدجعله من التشبيه المقلوب على حد قوله :

ومهمه مغبرة أرجاؤه ... كأن لون أرضه سماؤه

والزهر نور الشجر كالزهر والأكام جمع كم وهو غلاف النور والكمى الشجاع فى سلاحه من كمى جسده بالسلاح إذا ستره به وأصله كمى بتشديد الياء حذفت منه الياء الساكنة وسكنت المتحركة للوقف . وحاصل المعنى أنه لما فتحت الأزهار فى رياض ملة الإسلام برياح نصرهم كان كلما تهب هذه الرياح من تلك الأزهار وتنشر الى الشام روائح نشرهم فتظن كل بطل فى الدروع الفاخرة زهرا فى الأكام الفاخرة وإنما قيد بكونه فى الأكام لأنه فى أكامه أحسن منظرا وأطيب رائحة منه فى خارج الأكام (قوله كأنهم فى ظهور الخيل الخ) أى كأن الصحابة حالة كونهم على ظهور الخيل نبت ربا فى الاستقرار والثبوت حتى إنهم لوتحركوا عليها لم ينقلعوا من ظهور الخيل وإنما يتحركون للطعن والاتقاء مع ثبوت أصلهم كما يتحرك نبت الربا إذاحركته الرياح فالضمير للصحابة وفى ظهور الخيل حال وفى بمعنى على كما فى قوله تعالى حكاية عن فرعون ولأصلبنكم فى جذوع النخل والربا جمع ربوة بتثليث الراء وهى ما ارتفع من الأرض ونبتها يكون أثبت من غيره لطول عروقه حتى يصل إلى الماء ويكون أحسن من غيره لأنه لايستقر عليه الماء فيأخذ حظه من الشمس والرياح فتجده أخضر يعجب حسنه الناظرين أما غيره فقد يستقر عليه الماء فيقتله أويضعفه فيصفر لونه وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم كالحبة فى حميل السيل وإنما لم يشبههم بالشجر لأن الكفار تشبهه فى عدم التحرك فانهم لايتحركون للطعن والاتقاء وأما النبت فالرياح تميله يمينا وشمالا وقوله من شدة الحزم بكسر الشين المعجمة وفتح الحاء المهملة وسكون الزاى أى وذلك أعنى استقرارهم وثبوتهم فى ظهور الخيل من قوة جودة رأيهم و تدبيرهم وقوله لامن شدة الحزم بفتح الشين المعجمة وضم الحاء والزاى أى لامن ربط الحزم التى يربط بها السرج أوغيره على ظهر الدابة وظاهر أن من فى الموضعين بمعنى لام التعليل (قوله طارت قلوب العدا الخ) أى اضطربت قلوب العدا الخ فشبه الاضطراب بالطيران

[الاعراب] كأنهم كأن واسمها فى ظهور حال من اسم كأن الخيل بفتح الخاء المعجمة مضاف اليه نبت بفتح النون وسكون الوحدة خبر كأن ربا بضم المهملة وفتح الموحدة والقصر مضاف اليه من شدة بكسر الشين المعجمة متعلق بكأن لما فيها من معنى التشبيه الحزم بفتح الحاء المهملة وسكون الزاى مضاف اليه لامن شدة بفتح الشين المعجمة للمرة من الشد معطوف على الجار والمجرور قبله الحزم بضم الحاء المهملة والزاى مضاف اليها طارت قلوب فعل وفاعل

جملة مستأنفة العدا بكسر العين المهملة والقصر مضاف اليه من بأسهم متعلق بطارت فرقا بفتح الفاء والراء والقاف مفعول لأجله فما حرف نفي تفرّق بضم التاء الفوقية وفتح الفاء وكسر الراء المشددة فعل مضارع وفاعله مستترفيه يعود إلى قلوب العدا بين ظرف مكان منصوب بتفرق البهم بفتح الموحدة وسكون الهاء مضاف اليه والبهم بضم الموحدة وفتح الهاء معطوفة على البهم .

[ومعنى البيتين] كأنهم في ثباتهم على ظهور الخيل مثل ثبات نبت الربا ونبتها أثبت في الأرض من نبت غيرها لطول عروقه حتى تصل الى الماء بخلاف نبت غيرها وثباتهم على ظهور الخيل من شدة حزمها لامن شد الحزم على السرج واضطربت قلوب الأعادي من ثباتهم في الحرب خوفا منهم حتى صارت من الخوف لاتفرق من دهشتها بين سخال الغنم وشجعان الفرسان وفي البيت الأول من البديع الجناس المحرف بين قوله شدة وشدة الأولى بالكسر وهي القوة والثانية بالفتح وهي المرة من الشد وهو الربط وبين قوله الحزم والحزم وفي البيت الثاني الجناس المحرف أيضا في قوله بهم وبهم والجناس الشبيه بالمشتق في قوله فرقا وتفرق .ثم أخذ يبين السبب الموصل الى ذلك فقال :

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ
إِنْ تَلْقَهُ الْأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ
وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ
بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمِ

النصرة التأييد والأسد جمع أسد وهو الحيوان المفترس والآجام جمع أجمة وهي الغابة وتجم مضارع وجم إذا أمسك عن الكلام وغيره لخوف أو هيبة أوغيرهما وترى تبصر ومن ولي أي صديق والمنتصر المنتقم والمنقصم بالقاف المنكسر المقطوع وبالفاء بلاقطع والرواية بالقاف .

[الاعراب] ومن بفتح الميم اسم شرط مبتدأ تكن بالفوقية والتحتية فعل الشرط خبر من فهي عاملة في لفظه الجزم وفي محل الجملة الرفع برسول الله خبر تكن مقدم على اسمها إن قرئ تكن بالفوقية نصرته اسم تكن مؤخر وإن قرئ يكن بالتحتية فاسمها مستترفيه يعود الى من الشرطية ونصرته مبتدأ خبره في المجرور قبله والجملة خبر يكن إن بكسر الهمزة وسكون النون حرف شرط تلقه فعل الشرط وعلامة جزمه حذف الألف والهاء يعود الى من الشرطية

بالطيران واستعار اسم المشبه به للمشبه واشتق من الطيران بعد استعارته للاضطراب طارت بمعنى اضطربت على طريق الاستعارة التصريحية التبعية وقوله من بأسهم أي من شدتهم وقوتهم في الحرب ومن في ذلك بمعنى لام التعليل وقوله فرقا بفتحات أي فزعا وهو مفعول لأجله أي لأجل الفرق والفزع الذي حل بهم وقوله فما تفرق بين البهم والبهم أي فبسبب ذلك حصل لهم دهش حتى صارت قلوبهم لاتفرق بين البهم بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء جمع بهمة وهي السخلة فالبهم هي السخال وهي أولاد الضأن وبين البهم بضم الباء الموحدة وفتح الهاء جمع بهمة بضم الباء وسكون الهاء وهو الشجاع فالبهم هم الشجعان ولايخفى أن تفرق في كلامه بضم التاء وتشديد الراء من فرق بالتشديد لامن فرق بالتخفيف (قوله ومن تكن برسول الله الخ) لما ذكر أنه حصل للعدا الفزع الشديد من بأس الصحابة أشار الى أن ذلك إنما هو بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ومن تكن برسول الله الخ أي ومن تكن نصرته برسول الله كالصحابة ومن حذا حذوهم الخ ولا تكون النصرة برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا باتباع سنته وترك ما كان على خلاف شريعته وذلك هو تقوى الله والحامل عليها خوف الله ومن خاف الله خاف منه كل شيء حتى الأسد في آجامها فمن حصلت له هذه المرتبة طارت قلوب العدا من بأسه وسلم من أعدائه وقوله إن تلقه الأسد في آجامها تجم أي إن تلق الأسد التي هي جمع أسد وهو الحيوان المعروف من تكون نصرته برسول الله صلى الله عليه وسلم حالة كونها في آجامها التي هي جمع أجمة وهي الغابات أي المحلات التي تستتر فيها كالأشجار الملتفة تجم بكسر الجيم بمعنى تسكت من هيبته فلايسمع لها صوت خوفا من أن يكون صوتها دالا عليها فيأتيها المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم فيقبض عليها وإنما قيد الأسد بكونها في آجامها لأنها فيها أجرأ منها في غيرها فإنه لا يقدر أحد على أن يدخل عليها فيها ولوانتزعت منه أعز ما يكون عليه لكن إن لقيت المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم انعكس الحال هذا ويحتمل أن المراد بالأسد الشجعان وبالآجام الحصون ويناسب حمل الأسد على حقيقتها قصة سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأسد وهي أنه خرج عليه سبع بالصحراء فقال أقسمت عليك برسول الله أن تسكن فسكن ، وهذا البيت واللذان بعده [خاصيتها] أن من كان خائفا في بحر أو بر وكتبها بريقه في كفه وأراها للسباع فإنها تذهب عنه بإذن الله تعالى (قوله ولن ترى من ولي الخ) ترى بصرية على مايقتضيه كلام بعض الشارحين ويحتمل أنها علمية ومن زائدة

الأسد بضم الهمزة وسكون السين فاعل تلقه في آجامها بمد الهمزة وبالجيم حال من الأسد تجم بفتح التاء الفوقية وكسر الجيم جواب إن وإن وجوابها جواب من ولن حرف نفي ترى منصوب بلن وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف وفاعله ضمير المخاطب من ولي مفعول ترى ومن زائدة في المفعول به غير بالجر نعت ولي على لفظه وبالنصب على محله إن كانت ترى بصرية وإن كانت علمية فهي المفعول الثاني منتصر بكسر الصاد مضاف اليه به متعلق بمنتصر والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم ولاحرف نفي من عدو معطوف على من وليّ غير نعت عدوّ وفيماتقدم منقصم بضم الميم وفتح القاف وكسر الصاد مضاف اليه .

[ومعنى البيتين] ومن تكن نصرته وتأييده بإعانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو المنتصر والمؤيد ولو لقيته السباع في غاباتها التي هي أشد فيها بالوثوب من غيرها سكنت وخضعت له فلذلك لاتبصر وليا وصديقا مسلما الا وهو به منصور ولاتبصر عدوا كافرا الاوهو به منقصم مقهور ولايخفى مافيه من الموازنة والتكرير :

أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ
كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجَمِ

أحل أنزل أمته أى أمة الإجابة في حصن حصين والملة الدين الذى أملى من السماء وهو دين الإسلام والليث الأسد والأشبال جمع شبل وهو ولد الأسد وأجم بفتحتين جمع أجمة وهي الغابة .

[الاعراب] أحل بفتح الهمزة والحاء المهملة فعل ماض وفاعله ضمير مستتر فيه يعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم أمته مفعول أحل في حرز متعلق بأحل ملته مضاف اليها كالليث في موضع الحال من فاعل أحل المستتر فيه حل فعل ماض وفاعله ضمير الليث المستتر فيه والجملة حال من الليث مع بفتح العين وكسرها متعلق بحل الأشبال بفتح الهمزة مضاف اليها في أجم بفتح الهمزة والجيم حال من الأشبال

[ومعنى البيت] أنزل النبي صلى الله عليه وسلم أمته في حرز دينه الحصين من نار الكفر كما ينزل الليث مع أولاده في الغابة للتحصين من عدوّ يطرقهم والتشبيه بالأسد في السلطنة وكمال الشجاعة ورفعة الهمة وشدة البطش لمن يتمرد عليه وعدم التعرض لمن يتذلل له والشفقة على أتباعه وشبه الأمة بالأشبال لأنه صلى الله عليه وسلم أصلهم في الإسلام وأزواجه أمهاتهم وسبب حياتهم الحقيقية ومنه نشؤهم :

كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ ... فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمِ

في المفعول والمراد بالولي من آمن به صلى الله عليه وسلم وكان على هديه وطريقته والعدو ضده وقوله به أى برسول الله فإن قيل مافائدة قوله ولامن عدو الخ بعد قوله ولن ترى من ولي الخ مع أنه إذا أخبر بأن الولي منتصر علم منه أن العدو منقصم لأن من المعلوم أن أحد المتقابلين إذا انتصر كان مقابله بضد ذلك ، وبضدها تتميز الأشياء. أجيب بأنا لانسلم أنه إذا أخبر بأن الولي منتصر علم منه أن العدوّ منقصم وإنما يعلم منه أنه غير منتصر وذلك أعم من كونه منقصما لجواز أن ينهزم مع سلامته والأعم لا إشعار له بالأخص وعلى تسليم علم ذلك منه فيعلمه منه باللزوم والمناسب لمقام المدح التصريح والمنقصم بالقاف وفي بعض النسخ بالفاء والأول أولى لأن الفصم بالفاء القطع من غير إبانة والقصم بالقاف القطع مع الابانة كما تقدم (قوله أحل أمته الخ) هذا البيت كالتعليل للبيت قبله فكأنه قال لأنه أحل أمته الخ وقوله في حرز ملته أى في ملته الشبيهة بالحرز فالإضافة في ذلك من إضافة المشبه به للمشبه كما في قول الشاعر :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ... ذهب الأصيل على لجين الماء

وإنما كانت ملته صلى الله عليه وسلم شبيهة بالحرز لأنها تحفظ من اتبعها من نار الكفر فهي كأعظم الحصون المنيعة التي لايدخلها الامن هو من أهلها وقوله كالليث حل مع الأشبال في أجم أى فالنبي صلى الله عليه وسلم حل مع أمته في ملته كالليث حل مع أشباله في الأجم فكما أنه لايستطيع أحد الدخول على الليث مع أشباله في الأجم لايستطيع أحد الدخول على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمته في ملته والليث هو الأسد والأشبال هي أولاده والأجم جمع أجمة وهي الغابة أى الشجر الملتف لايقال ماأفاده قوله كالليث الخ من أن الليث في هذه الحالة يخاف منه غيره يخالفه ماأفاده قوله سابقا إن تلقه الأسد في آجامها تجم لأنا نقول الأسد إنما تجم في آجامها من المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم كما استفيد مما تقدم وهذا لاينافي أن غيره يخاف منها كما استفيد مما هنا (قوله كم جدلت كلمات الله الخ) لما كانت النصرة تارة تكون بالسيف وتارة تكون بالحجج وقد تقدم الكلام على الحالة الأولى أخذ يتكلم على الحالة الثانية فقال كم جدلت كلمات الله الخ وكم خبرية في الموضعين بمعنى كثيرا

الجدالة وجه الأرض وجدّله أوقعه على الجدالة وكلمات الله القرآن والجدل بكسر الدال المهملة كثير الجدال أى الخصومة وخصم بفتح الخاء والصاد غلب فى الخصام والبرهان الدليل القاطع والخصم بكسر الصاد الألد الشديد الخصام . [الإعراب] كم خبرية موضعها نصب على المصدرية أو الظرفية جدّلت بفتح الجيم والدال المهملة المشددة فعل ماض وتاء التأنيث كلمات الله فاعل جدلت ومضاف اليه من جدل بفتح الجيم وكسر الدال المهملة مفعول جدّلت ومن زائدة فيه متعلق بجدل لأنه صفة مشبهة والهاء للنبى صلى الله عليه وسلم وكم خبرية معطوفة على كم المتقدمة خصم بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة المخففة فعل ماض البرهان بضم الموحدة فاعله من خصم بفتح الخاء المعجمة وكسر الصاد المهملة مفعول خصم ومن زائدة وتمييز كم فى الموضعين محذوف .

[ومعنى البيت] كم مرة رمت الى الأرض فى المجادلة آيات الله تعالى التى أتى بها من عند الله تعالى شخصا كثيرا الجدال وكم مرة غلب الدليل القاطع شخصا كثير الخصام وفيه الجناس الشبيه بالمشتق .

كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِى الْأُمِّىِّ مُعْجِزَةً
فِى الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِى الْيُتُمِ

الأمى منسوب الى الأم كأنه باق على أصل الخلقة وهو فى العرف من لايعرف الكتابة ولم يقرأ من الخط ولم يتعلم بطريق العادة من معلم والجاهلية عبارة عن زمان لاعلم فيه والتأديب مصدر أدّبه والأدب مايحصل للنفس من الأخلاق الحسنة ومايحصل من العلوم المكتسبة واليتم مصدر يتم فهو يتيم إذا مات أبوه وهو صغير .

[الاعراب] كفاك فعل ماض ومفعول بالعلم فاعل كفاك والباء زائدة فى الأمى حال من العلم معجزة تمييز فى الجاهلية متعلق بمحذوف حال من العلم والتأديب بالجر عطفا على لفظ العلم وبالرفع عطفا على محله والأول هو الرواية فى اليتم بضم التاء الفوقية على لغة لاتبعا للتحتية حال من التأديب . [ومعنى البيت] كفاك أيها المخاطب بالعلم الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم معجزة له مع كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب ومولودا جاء فى زمن الجاهلية الذين لاعلم عندهم يكتسبه منهم وكفاك بالتأديب الحاصل منه معجزة لكونه من غير مؤدّب مع أنه ربى يتيما لا أب له يؤدّبه .

كثيرا والمجرور تمييز لها وجدّلت بتشديد الدال ويجوز تخفيفها أى قطعت وأزالت جداله وكلمات الله هى القرآن والجدل بكسر الدال اسم فاعل من جدل جدلا أى أحكم الخصومة إحكاما وقوله فيه أى فى أمره صلى الله عليه وسلم وقوله وكم خصم البرهان من خصم أى وكثيرا خصم البرهان الذى هو الدليل القاطع من خصم بكسر الصاد وهو شديد الخصومة وفيه الحذف من الأواخر لدلالة الأوائل والتقدير من خصم فيه أى فى أمره صلى الله عليه وسلم . وحاصل معنى البيت كثيرا ما أزال القرآن جدال المجادل فى أمره صلى الله عليه وسلم وكثيرا ماأزال الدليل القاطع خصومة شديد الخصومة فى أمره صلى الله عليه وسلم والأول إشارة إلى ماوقع فى القرآن من جواب المعاندين السائلين له صلى الله عليه وسلم ومن ذلك مانقل من أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين فإن أجاب عن الكل أوسكت عن الكل فليس بنبى وإن أجاب عن البعض وسكت عن البعض فهو نبى فنزلت قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ونزل قل الروح من أمر ربى فأحال علمها الى ربه والثانى إشارة الى ماوقع منه صلى الله عليه وسلم من الآيات حين سألوه آية على رسالته كانشقاق القمر وغيره ولايخفى أن عطف الثانى على الأول من عطف العام على الخاص [وهذا البيت والذى بعده خاصيتهما] أن من كتبهما فى ورقة بيضاء لصغير وجعلها فى قصبة وربطها فى خيط حرير وعلقها عليه فإنه لايصيبه شيطان ولامرض ولاغير ذلك (قوله كفاك بالعلم الخ) لما ذكر أنه كثيرا ماخصم البرهان من خصم عقب ذلك بذكر برهانين حيث قال كفاك بالعلم الخ أى كفاك العلم فالباء زائدة فى الفاعل لأن زيادتها فى فاعل كفى كثيرة وقوله فى الأمى أى فى النبى الأمى وهو الذى لايقرأ ولا يكتب نسبة للأم كأنه على الهيئة التى نزل عليها من أمه وهذا وصف مدح بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لأنه دليل على أن القرآن من عند الله وأما بالنسبة لغيره صلى الله عليه وسلم فهو وصف ذم والجار والمجرور حال من العلم أوصفة له وقوله معجزة أى من جهة المعجزة فهو تمييز للنسبة فى كفى وقوله فى الجاهلية أى الزمن الذى لاعلم فيه والجار والمجرور تمثل الجار والمجرور قبله وإنما قيد بقوله فى الأمى وقوله فى الجاهلية لأن كلا من كونه أميا وكونه فى الجاهلية مظنة لعدم العلم لأنه لايكون إلا بمطالعة الكتب العلمية وهو لايقرأ ولا يكتب أو بملاقاة العلماء وهو منتف فى الجاهلية فتعين أن علمه صلى الله عليه وسلم ليس الابتعليم من الله تعالى وقوله والتأديب فى اليتم أى وكفاك بالتأديب فى اليتم معجزة

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ ... ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِى الشِّعْرِ وَالْخِدَمِ
إِذْ قَلَّدَانِىَ مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ ... كَأَنَّنِى بِهِمَا هَدْىٌ مِنَ النَّعَمِ

خدمته أى مدحته والهاء للنبى صلى الله عليه وسلم والمدح عدّ الفضائل وبيانها والمديح اسم لما يمدح به من الثناء الحسن وأستقيل أطلب الإقالة والذنوب جمع ذنب وهى الجرائم وعمر الانسان مدة حياته ومضى أى ذهب وقارب الفراغ والشعر الكلام الموزون من أىّ بحر كان والخدم جمع خدمة وهى ما يتقرب به إلى الغير وقلدانى من قلدته الأمر أى جعلته كالقلادة فى عنقه والخشية الخوف والعواقب جمع عاقبة وهى مايئول اليه الأمر آخرا وعاقبة كل شىء آخره والهدى مايهدى إلى الحرم من النعم وهى الإبل غالبا .

[الإعراب] خدمته بضم التاء فعل ماض وفاعل ومفعول بمديح متعلق بخدمته أستقيل بفتح الهمزة وكسر القاف فعل مضارع وفاعله ضمير المتكلم مستتر فيه وجوبا به متعلق بأستقيل والضمير للمديح ذنوب بضم الذال المعجمة مفعول أستقيل عمر بضم المهملة وسكون الميم مضاف إليه مضى بفتح الضاد المعجمة فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود الى عمر والجملة نعت له فى الشعر بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة متعلق بمضى والخدم بكسر الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة معطوف على الشعر إذ بسكون الدال المعجمة تعليل أستقيل قلدانى بفتح القاف واللام والدال وكسر النون وفتح الياء فعل وفاعل ومفعول أول وضمير التثنية وهو الألف يعود الى الشعر والخدم مانكرة موصوفة فى موضع المفعول الثانى أى أمرا تخشى بضم التاء الفوقية وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين فعل مضارع مبنى للمفعول عواقبه نائب الفاعل والجملة نعت ماورابطها الهاء من عواقبه كأنى

كأنى حرف تشبيه وياء التكلم اسمها بهما بكسر الموحدة حال من اسم كان هدى بفتح الهاء وسكون الدال خبر كأن من النعم بفتحتين نعت هدى . [ومعنى البيتين] مدحت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمديح أطلب من الله تعالى أن يقيلنى به من أوزار عمر انقضى غالبه فى إنشاد الشعر والخدم لأبناء الدنيا من الملوك وأصحاب الدولة فإن الشعر والخدم كلفانى ارتكاب أمور من المكاره تخشى عواقبها كأنها قلادة فى عنقى وكأنى فى التقليد كالنعم المقلدة للهدى الى الحرم وفى البيت الأول ردّ العجز على الصدر فى قوله خدمته والخدم وفى التشبيه بالهدى دقيقة وهى أنه خشى على نفسه الهلاك المتوقع للابل المقلدة .

فهو معطوف على قوله بالعلم لكن المراد بالمعجزة مطلق الأمر الخارق للعادة وإن لم يكن مقرونا بالتحدى الذى هو دعوى الرسالة فاندفع مايقال إن كونه صلى الله عليه وسلم مؤدبا فى حال يتمه لايعد معجزة لأن المعجزة هى الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدى وهو صلى الله عليه وسلم فى حال يتمه لم يتحدّ لأن التحدى لا يكون إلا بعد الأربعين والمراد من التأديب التأدب أو أنه مصدر المبنى للمفعول فهو بمعنى كونه مؤدبا ليكون وصفا للنبى صلى الله عليه وسلم وإنما قيد بقوله فى اليتم بضمتين كما هو لغة فى اليتم بضم فسكون لأن شأن اليتيم وهو الصغير الذى لا أب له أن لا يكون فيه من الأدب ما يكون فى غيره فإن الأب غالبا يهتم بتأديب ابنه ويسعى فى تكميله باكتساب الصفات الحميدة بخلاف غير الأب وهو صلى الله عليه وسلم قد مات عنه أبوه قبل ولادته وقيل بعدها وتربى عليه الصلاة والسلام فى كفالة عمه أبى طالب وكان صلى الله عليه وسلم مؤدبا بأحسن الأخلاق على خلاف العادة فى اليتيم وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله أدبنى فأحسن تأديبى وبالجملة فقد بلغ صلى الله عليه وسلم من العلوم مالايبلغه من تصدى لها ومن الآداب مالايناله من له مؤدب فدل ذلك على أنه رسول الله حقا (قوله خدمته بمديح الخ) أى خدمته صلى الله عليه وسلم بما تقدم من المدح أطلب من الله أن يقيلنى بسبب هذا المديح ذنوب عمر مضى فى الشعر مدحا لأبناء الدنيا والخدم بكسر الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة جمع خدمة فالمراد بالمديح ماتقدم من المدح والسين والتاء للطلب كما تقدمت الإشارة إليه وجملة قوله مضى الخ صفة لعمر وقد ذكر بعضهم أن الناظم كان فى مبدإ أمره كاتب إنشاء عند بعض السلاطين وقيل إنه كان وزيرا وهذا وإن كان مباحا إلا أنه قد يحوج إلى المحرم كما يؤخذ من البيت بعده [ومن هنا إلى آخر قوله ولم أرد زهرة الدنيا خاصيتها] للملسوع تكتب بماء المطر والورد وتمحى ويشربها فإنها تزول سريعا بإذن الله تعالى (قوله إذ قلدانى الخ) أى لأنهما قلدانى الخ فهذا البيت تعليل للبيت قبله والضمير الفاعل فى قلدانى للشعر والخدم وقوله ماتخشى عواقبه أى آثاما تخشى عواقبها من أنواع العذاب إن لم يغفرها الله تعالى فما واقعة على الآثام والمراد بعواقبها أنواع العذاب وقوله

أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الحَالَتَيْنِ وَمَا … حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الآثَامِ وَالنَّدَمِ
فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا … لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ
وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ … يَبِنْ لَهُ الغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ

أطعت امتثلت والغي الضلال والصبا حداثة السن والحالتين حالة الشعر وحالة الخدم والآثام الذنوب والندم الحسرة والخسارة ضد الربح والتجارة التقليب في المال لطلب الربح والسوم العرض للشراء والآجل بمد الهمزة ضد العاجل ويبع يعطي ويبن يظهر والغبن النقص والسلم صنف من البيع .

[الاعراب] أطعت بضم التاء فعل وفاعل غيَّ بفتح الغين المعجمة مفعول به الصبا مضاف اليه في الحالتين متعلق بأطعت وماحرف نفي حصلت فعل وفاعل إلاحرف إيجاب على الآثام بفتح الهمزة الممدودة والمثلثة متعلق بحصلت على الاستثناء المفرغ والندم بفتح النون والدال المهملة معطوف على الآثام فياحرف نداء خسارة نفس منادى على طريق التعجب أي ما أخسر نفسا في تجارتها متعلق بخسارة لم تشتر بالمثناة فوق جازم ومجزوم نعت نفس الدين بكسر الدال المهملة مفعول تشتر بالدنيا متعلق بتشتر ولم تسم بضم السين المهملة معطوف على لم تشتر ومن بفتح الميم اسم شرط مبتدأ يبع خبرها آجلا بمد الهمزة مفعول يبع منه نعت آجلا والضمير لمن بعاجله متعلق ببيع يبن بفتح الياء المثناة تحت وكسر الموحدة جواب الشرط له متعلق بيبن الغبن بفتح المعجمة وسكون الموحدة فاعل يبن في بيع متعلق بالغبن وفي سلم بفتح السين واللام معطوف على في بيع .

[ومعنى الأبيات الثلاثة] امتثلت أمر ضلال الصبا في حالة اشتغالي بالشعر وفي حالة اشتغالي بخدم الناس فما حصل لي إلا الاثم والندامة فما أخسر نفسي في تجارتها إذ لم تأخذ الدين بدل الدنيا ولم تتعرض لأخذه بل أخذت الدنيا وتركت الدين الذي تنجو به في الآخرة وما مثلها في الخسارة إلا مثل من باع عينا حاضرة بثمن غائب فإنه قد يتخلف الوفاء بالثمن فيؤدي إلى الغبن سواء وقع العقد بلفظ البيع أم بلفظ السلم فكيف من باع ماينفعه آجلا بمايضره عاجلا فإنه أشد غبنا ،

كأني بهما هدى من النعم أي كأني بسبب الشعر والخدم هدى من النعم التي هي الإبل والبقر والغنم ومن شأن الهدي أن يقلد بجعل شيء في عنقه من نعل ونحوه ليعلم أنه هدي . وحاصل المعنى أن الشعر والخدم جعلا الآثام التي تخشى عواقبها من أنواع العذاب قلادة في عنقي فصرت بسببهما أشبه الهدي من النعم فكما لايخفى حال الهدي على من رآه بما جعل في عنقه من نعل ونحوه كذلك لا يخفى حالي على من رآني وعرف حالي بما اكتسبته من الآثام التي تخشى عواقبها بسبب الشعر والخدم (قوله أطعت غيّ الصبا الخ) بين بهذا البيت سبب كون الشعر والخدم قلداه الآثام التي تخشى عواقبها وذلك السبب هو اطاعة غيّ الصبا والغي ضد الهدى وأضيف للصبا لأنه يدعو إليه فإنه زمن الجهل والبطالة وقوله في الحالتين أي حالتي الشعر والخدم وقوله وما حصلت إلا على الآثام والندم أي وما حصلت منهما الاعلى الآثام التي صدرت مني وعلى الندم على تلك الآثام (قوله فياخسارة نفس الخ) هذا البيت تحقيق للندم وتبكيت للنفس لأن فيه نداء عليها بالخسارة في تجارتها فكأنه قال ياخسارة نفس موصوفة بما ذكر احضري فهذا أوانك وهذا كناية عن استعظام خسارة هذه النفس والتعجب منها فإن عادة العرب إذا استعظموا شيئا وتعجبوا منه نادوه ليحضر وقوله في تجارتها متعلق بخسارتها وقوله لم تشتر الدين بالدنيا أي لم تأخذ الدين بدل الدنيا بل عدلت عن العظيم الباقي الى الخسيس الفاني وقوله ولم تسم بفتح المثناة الفوقية وضم السين المهملة أي ولم تتعرض لأخذ الدين بدل الدنيا بل أخذت الدنيا وتركت الدين الذي تنجو به في الآخرة وكأن الناظم نعى نفسه فنادى عليها بالخسارة حيث اتبعت الشعر والخدم لأبناء الدنيا ولوصحبها التوفيق لتركت ذلك واشتغلت بالدين لكن التوفيق بيد الله يعطيه من يشاء (قوله ومن يبع آجلا منه الخ) هذا البيت تتميم لتحقيق الندم وتبكيت النفس لأن فيه توعدا بالغبن حيث بين فيه أن من يبع الآجل بالعاجل يظهر له الغبن والمراد بالآجل الثواب الذي يكون في الآخرة المحققة الباقية وبالعاجل الذي يأخذه من الدنيا الذاهبة الفانية وهذا على مافي كثير من النسخ ممانصه ومن يبع آجلا منه بعاجله وفي بعضها ومن يبع عاجلا منه بآجله وعليه فالمراد بالعاجل الثواب الذي يكون في الآخرة المحققة الباقية وبالآجل الشيء الذي يأخذ من الدنيا الفانية الذاهبة وعلى هذا المثل المشهور برة عاجلة خير من درة آجلة ولما كان الثواب المذكور محققا ولابد أطلق عليه عاجل لأنه كأنه حاصل بالفعل ولما كان الشيء الذي يأخذه من الدنيا غير محقق أطلق عليه آجل والظاهر أن الضمير

إنْ آتِ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِى بِمُنْتَقِضٍ ... مِنَ النَّبِىِّ وَلاَ حَبْلِى بِمُنْصَرِمِ
فَإِنَّ لِى ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِى ... مُحَمَّداً وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ

العهد الميثاق ونقض العهد عدم الوفاء به والحبل الوصل والنصرم المنقطع والذمة الأمان قاله أبوعبيدة والتسمية جعل الاسم علما على الذات وأوفى اسم تفضيل من وفى بالعهد إذا رعى مقتضاه والذمم جمع ذمة .

[الإعراب] ان بكسر الهمزة وسكون النون حرف شرط آت بمد الهمزة وكسر التاء الفوقية فعل الشرط وفاعله مستتر فيه وجوبا ذنبا بفتح المعجمة وسكون النون مفعول آت فما حرف نفى عهدى اسمها بمنتقض بالقاف والضاد المعجمة خبرها من النبى متعلق بمنتقض ولاحرف نفى حبلى بفتح الحاء المهملة وسكون الموحدة اسمها بمنصرم بضم الميم وفتح الصاد وكسر الراء المهملتين خبرها والباء زائدة فى الموضعين وجملة فما عهدى الخ جواب الشرط على إقامة السبب مقام المسبب والأصل إن آت ذنبا فإنى أرجو ستره وغفرانه لأن عهدى ثابت ولايصح جعلها جوابا أصالة لفساد المعنى فإن مفهومه أنه إذا لم يأت ذنبا فإنه ينقض عهده وليس كذلك لأن عهده ثابت على كل حال سواء أتى ذنبا أم لا فإن بكسر الهمزة وتشديد النون حرف توكيد لى خبرها مقدم ذمة بكسر الذال المعجمة اسمها مؤخر منه نعت ذمة والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم بتسميتى متعلق بذمة والباء للسببية وتسميتى مصدر يتعدى لمفعولين وهو مضاف الى مفعوله الأول وهو ياء المتكلم محمدا مفعوله الثانى وهو أوفى بفتح الهمزة والفاء مبتدأ وخبر الخلق مضاف إليه بالذمم اسمه بكسر الذال المعجمة وفتح الميم الأولى متعلق بأوفى :

[ومعنى البيتين] إن عدت بعد توبتى وأتيت ذنبا فإنى أرجو غفرانه فإن نقض التوبة لاينقض عهدى من النبى صلى الله عليه وسلم ولايقطع سبب الوصلة به فإن لى أمانا منه بسبب تسميتى باسمه الشريف وارتكاب الذنب لايقطع التسمية فإنه أكثر الناس وفاء بالعهد .

فى منه راجع للدين فى البيت تبسله كذا قال بعض الشارحين والأظهر أنه راجع لمن يبع كالضمير فى عاجله وقوله يبن له الغبن أى يظهر له الخداع وقوله فى بيع وفى سلم كل منهما متعلق بالغبن والعطف فى ذلك من قبيل عطف التفسير لأن البيع المذكور فى كلام المصنف يسمى سلما فاندفع مايقال الذى تقدم فى كلام الناظم هو صورة السلم وأين صورة البيع غير بيع السلم وبعض الشارحين طرّق احتمال أن يكون فى كلام الناظم حذف والتقدير ومن يبع آجلا من متاع الآخرة بعاجله من متاع الدنيا أويشترى عاجلا من متاع الدنيا بآجله من متاع الآخرة فقوله فى بيع راجع للصورة الأولى وقوله وفى سلم راجع للصورة الثانية وفيه تكلف (قوله إن آت ذنبا الخ) هذا البيت تأنيس للنفس وترجّ لها فى رحمة الله تعالى وآت أصله أأت بهمزتين قلبت الثانية ألفا فصارآت بالمد وهو مجزوم بإن الشرطية وعلامة جزمه حذف الياء وقوله فما عهدى بمنتقض من النبى أى فما إيمانى بمنقطع عن النبى لأن الذنب لاينقض الإيمان فالمراد بالعهد الإيمان فتكون الإضافة فى قوله عهدى للعهد والمعهود هو الإيمان وقوله ولاحبلى بمنصرم أى ولاوصلى بمنقطع من النبى صلى الله عليه وسلم فالحبل مستعار للوصل وفى البيت الحذف من الثانى لدلالة الأول كمافى نظائره والتقدير ولاحبلى بمنصرم من النبى (قوله فإن لى ذمة الخ) هذا البيت تعليل للبيت قبله ووجه ذلك أن اختياره التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم دليل على محبته فيه فإنه لا يتسمى بالاسم إلا من أحب مسماه وأما من يكرهه فلايتسمى به وقوله وهو أوفى الخلق بالذمم أى وهو صلى الله عليه وسلم أشدهم وفاء بها فيقوم بحقها بأن يشفع لأهلها لعظم جاهه وعلو مكانته عند ربه وفى كلام المصنف ترغيب فى التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم وقد جاء فى ذلك أحاديث فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوقف عبدان بين يدى الله تعالى فيأمر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بم استأهلنا الجنة ولم نعمل عملا يجازينا الجنة فيقول الله عزّ وجل عبداى ادخلا الجنة فانى آليت على نفسى أن لايدخل النار من اسمه أحمد أومحمد وعن جعفر بن محمد إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد فيدخل الجنة كرامة لاسمه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ آخر ينادى يوم القيامة يامحمد فيرفع رأسه فى الموقف فيقول الله عزّ وجل أشهدكم أنى غفرت لكل من اسمه على اسم محمد وعن أبى أمامة من ولد له مولود فسماه محمدا تبركا كان هو ومولوده فى الجنة رواه صاحب الفردوس وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال مامن مائدة وضعت فحضر عليها من

إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي فضــلا وإلا فقل يا زلة القدم
حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه أو يرجع الجار منه غير محترم

المعاد العود إلى دار الجزاء والأخذ باليد الخلاص من الشدة والفضل التبرع وزلة القدم كناية عن الوقوع في الشدة وحاشاه أي تنزيه أن يحرم أي يمنع والرجاء الطمع في ممكن الحصول والمكارم جمع

مكرمة والمراد بها هنا الشفاعة والجار الداخل في الجوار والمحترم الموقر .

[الإعراب] إن حرف شرط لم حرف جزم يكن بالياء المثناة التحتية مجزوم بلم ولم يكن في محل جزم بإن واسم يكن مستتر فيها يعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم في معادي بفتح الميم والعين وكسر الدال المهملتين متعلق بيكن آخذا بهمزة ممدودة وخاء وذال معجمتين خبر يكن بيدي متعلق بآخذا فضلا مفعول لأجله منصوب بآخذا وإلا حرف شرط مقرون بلا النافية وفعل الشرط وجوابه محذوفان أي و إن كان آخذا بيدي فزت لأن نفي النفي إثبات والجملة مقترنة بواو الاعتراض بين الشرط الأول وجوابه وفي بعض الشروح تقديره وإن لم يكن آخذا بيدي وهو توكيد للشرط الأول وفيه نظر من جهة حذف الشرط والعطف بالواو فإن الحذف ينافي التوكيد والعطف في توكيد الجمل خاص بثم والأول قاله ابن مالك والثاني قاله أبو حيان ثم إني سمعت من يقول بين اليقظة والمنام قوله وإلا زائدة في الكلام فقل جواب الشرط الأول يا حرف نداء زلة بفتح الزاي منادى منصوب القدم بفتح الدال مضاف اليه أي يا زلة القدم تعالي فهذا أوانك حاشاه مصدر منصوب بفعل محذوف والهاء مضاف اليها والتقدير أحاشيه حاشا أي محاشاة أي أنزهه تنزيها أن بفتح الهمزة وسكون النون يحرم بضم أوله وكسر ثالثه مضارع أحرم مبني للفاعل وفاعله مستتر فيه يعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم الراجي بسكون الياء على لغة مفعوله الأول مكارمه مفعوله الثاني أو يرجع بالنصب عطفا على يحرم الجار بالجيم فاعل يرجع منه متعلق بيرجع والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم غير حال من الجار محترم بفتح التاء والراء مضاف إليه . [ومعنى البيتين] إن لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم في عودي يوم القيامة لدار الجزاء آخذا بيدي بأن يشفع لي فضلا منه وإحسانا إليّ وإلا فيا زلة قدمي عن الصراط المستقيم إلى نار الجحيم وإن كان كما أرجو فروح وريحان

اسمه أحمد أو محمد إلا قدس الله ذلك المنزل مرتين وبالجملة فالتسمية باسمه صلى الله عليه وسلم أمر مندوب إليه نسأل الله تعالى أن ينظمنا في سلك محبته بمنه وفضله ورحمته (قوله إن لم يكن في معادي الخ) أي إن لم يكن صلى الله عليه وسلم في يوم عودي الى الله تعالى آخذا بيدي بأن يشفع لي حال كون ذلك فضلا منه لا لسابقة مني تقتضي ذلك فقل يا زلة القدم وهو كناية عن سوء الحال والوقوع في الشدة وإلا أي وإلا لم يكن في ذلك اليوم آخذا بيدي بأن كان آخذا بيدي فقل بإثبات القدم وهو كناية عن حسن الحال وحصول النعمة فقوله خطابا لمن جرده من نفسه فقل يا زلة القدم جواب الشرط الأول وهو قوله إن لم يكن في معادي آخذا بيدي وجواب الشرط الثاني وهو قوله وإلا فإن أصله إن الشرطية المدغمة في لا النافية محذوف لدلالة المقام والسياق عليه والتقدير وإلا فقل يا إثبات القدم أي وإن انتفى لم يكن آخذا بيدي بأن كان آخذا بيدي فقل يا إثبات قدمي وبهذا يندفع استشكال هذا البيت بأن الظاهر منه أن قوله فقل يا زلة القدم جواب الشرط الثاني فيصير المعنى و إن انتفى لم يكن آخذا بيدي بأن كان آخذا بيدي فقل يا زلة القدم وهذا فاسد لا شك في بطلانه وهذا كله على ما في النسخ من قوله إن لم يكن في معادي الخ وقيل الرواية فإن يكن في معادي الخ وعليه فلا إشكال لأن جواب الشرط الأول محذوف للعلم به من المقام والسياق وجواب الشرط الثاني مذكور بقوله فقل يا زلة القدم وتقدير البيت على هذا فإن يكن صلى الله عليه وسلم في يوم عودي الى الله تعالى آخذا بيدي بأن يشفع لي حال كون ذلك فضلا منه لا لسابقة مني تقتضي ذلك فقل بإثبات القدم وإلا أي وإن لم يكن كذلك فقل يا زلة القدم وهذا ظاهر لا إشكال فيه (قوله حاشاه أن يحرم الخ) هذا البيت لزيادة تسكين النفس من خوفها وتقوية تطمينها من قلقها وحاشا هنا اسم بمعنى المحاشاة وهي التنزيه فهو واقع موقع المصدر فيكون منصوبا بفعل مضمر والتقدير أحاشيه حاشاه أي أنزهه تنزيها والضمير المتصل به في محل جر بإضافته إليه وأما حاشا المستعمل في الاستثناء فتارة يستعمل فعلا وتارة يستعمل حرفا كما هو مشهور وقوله أن يحرم الراجي مكارمه أي من أن يحرم النبي صلى الله عليه وسلم الراجي منه مكارمه فهو على تقدير من والفاعل ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم والراجي مفعول وسكنت ياؤه على لغة والمكارم جمع مكرمة والمراد منها الشفاعة ويجوز ضم ياء يحرم

على أنه مضارع أحرم وفتحها على أنه مضارع حرم فإنه يقال أحرمه يحرمه بضم الياء وحرمه يحرمه بفتحها ويصح بناء الفعل للفاعل وقد قدمنا الحل عليه ويصح أيضا بناؤه للمفعول وعليه فالراجي نائب فاعل وتسكين يائه حينئذ ظاهر وقوله أو يرجع الجار منه غير محترم الظاهر أن أو بمعنى الواو فالمعنى وحاشاه من أن يرجع الجار منه أى المستجير به الداخل فى جواره حال كونه غير محترم بل يرجع محترما بشفاعته صلى الله عليه وسلم فالجار بمعنى المستجير ومنه بمعنى به وغير محترم حال من الجار . جعلنا الله من أهل شفاعته أجمعين (قوله ومنذ ألزمت أفكارى الخ) هذا البيت استدلال على قوة رجائه وأنه لايخيب فى ظنه فكأنه قال إنما قوى رجائى وأنى لا أخيب فى ظنى لأنى منذ ألزمت أفكارى الخ ومنذ ظرف زمان وهو ظرف لوجدته وأفكارى مفعول أول لألزمت ومدائحه مفعوله الثانى والضمير العائد على النبى صلى الله عليه وسلم مفعول أول لوجدت وخير ملتزم بكسر الزاى مفعوله الثانى وبه يتعلق الجار والمجرور قبله وتقدير البيت وجدت النبى صلى الله عليه وسلم فى الزمن الذى ألزمت فيه أفكارى مدائحه خير ملتزم لخلاصى من جميع الشدائد التى تصيبنى والأفكار جمع فكر وهو حركة النفس فى المعقولات والمدائح جمع مديح وهو الثناء الحسن وإنما كان صلى الله عليه وسلم خير ملتزم لخلاصه من الشدائد لأنه وفى بخلاصه منها على أحسن الوجوه وأتمها وأشار المصنف بذلك إلى الداء الذى كان أصابه وهو داء الفالج والعياذ بالله تعالى منه وكان هو السبب فى إنشاء هذه القصيدة فإنه لما أصيب به عملها فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ومسح بيده الكريمة عليه فعوفى فلما استيقظ قال له بعض أصحابه الصالحين أسمعنى القصيدة التى مدحت بها النبى صلى الله عليه وسلم فلقد سمعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل مثل القضيب (قوله ولن يفوت الغنى الخ) هذه الجملة مستأنفة والغنى بالكسر مع القصر اليسار ومع المد تطريب الصوت مع سرور وبالفتح مع القصر الإقامة ومع المد الكفاية والضمير فى منه عائد على النبى صلى الله عليه وسلم والجار والمجرور متعلق بمحذوف إما صفة للغنى أوحال فالأول إن قدر معرفة والثانى إن قدر نكرة ومن للابتداء وقوله يدا مفعول وجملة قوله تربت صفة ليدا وتربت بكسر الراء أى التصقت بالتراب لكونها مفتقرة افتقارا حسيا بأن ضيعت ما كان فيها من الأموال أومعنويا بأن ضيعت ما كان لها من الثواب لاقترافها المعاصى وإنما لم يفت الغنى منه صلى الله عليه وسلم اليد المذكورة لعموم الغنى منه صلى الله عليه وسلم لجميع الأيدى التى تكون كذلك ومنها يد الناظم وقد استدل على ذلك بقوله إن الحيا ينبت الأزهار فى الأكم ووجه الاستدلال بذلك أنه كما يشاهد محسوسا أن الحيا بالقصر الذى هو المطر ينبت الأزهار جمع زهر فى الأكم بضمتين جمع أكمة ككتب جمع قصبة والأكمة هى الربوة أى المحل المرتفع من الأرض مع كونها ليست مظنة النبات لعدم استقرار الماء عليها لعلوها كذلك صلى الله عليه وسلم ينيل الغنى من ليس مظنة الغنى وهو اليد التى تربت وإنما أنبت الحيا الأزهار فى الأكم مع أنها مظنة عدم النبات بسبب عدم استقرار الماء

عليها

وجنة نعيم وحاشى قدره الجليل أن يحرم الراجى الدليل كرمه الجزيل وأن يرجع من التجأ إلى جواره المنيع وجنابه الرفيع محروما من نواله الوسيع .

وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِى مَدَائِحَهُ
وَجَدْتُهُ لِخَلَاصِى خَيْرَ مُلْتَزِمِ

وَلَنْ يَفُوتَ الغِنَى مِنْهُ يَدًا تَرِبَتْ
إِنَّ الحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِى الأَكَمِ

وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِى اقْتَطَفَتْ ‏ يَدَا زُهَــيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرِمِ

أأزمت نفسى الأمر أى جعلتها لازمة له والأفـكار جمع فـكر وهو قوة فى الإنسان يحصـل به التأمل والمدائح جمع مديحة لاجمع مديح لأن فعيلا لايجمع على فعائل والتزم تـكفل وأوجب على نفسه وفاته الشىء سبقه فلم يدركه والغنى الاستغناء بالشفاعة عن الأعمال ويدا ترتب أى افتقرت والحيا بالقصر المطر والأزهار جمع زهر والأكم جمع أكمة بفتح الـكاف الربوة وزهرة الدنيا نعيمها واقتطفت جنت وزهيرهو ابن أبى سلمى بضم السين المزنى بالزاى والنون وكان يمدح هرم بن سنان المرّى بالمهملة وهو من أجواد ملوك العرب حصل لزهير منه عطايا كثيرة خارجة عن العادات ، ومن مدحه له قوله :

قف بالديار التى لم يعفها القدم ❊ بلى وغيرها الأرواح والديم ‏ إن البخيل ملوم حيث كان ولـكنّ الجواد على علاته هرم

هو الجواد الذى يعطيك نائله ❊ عفوا ويظلم أحيانا فينظلم ‏ وإن أتاه خليـل يوم مسغبة ❊ يقول لاغائب مالى ولاحرم

[الاعراب] ومنذ ظرف زمان لدخولها على الجملة الفعلية فى محل (٨٩) نصب بوجدت ، أأزمت بضم التاء فعل وفاعل أفـكارى بفتح الهمزة مفعول أول لأأزمت مدائحـه مفعوله الثانى وجدته بالجيم فعل وفاعل ومفعول أوّل لخلاصى متعلق بوجـدت خير مفعول ثان لوجـدت ملتزم بكسر الزاى على الرواية الشهيرة مضاف إليه ولن يفوت بالفاء والمثناة الفوقية ناصب ومنصوب الغنى بكسر الغين المعجمة وفتح النون فاعل يفوت منه متعلق بيفوت والهاء للنبى صلى الله عليه وسلم يدا بفتح الياء التحتية مفعول يفوت تربت بفتح التاء الفوقية وكسر الراء وفتح الموحدة فعل وفاعـل نعت يدا إن بكسر الهمزة وفتح النون المشددة الحيا بفتح المهملة والياء المثناة التحتية والقصر اسم إن ينبت بضم الياء التحتية وسكون النون وكسر الموحـدة فعـل مضارع وفاعله مستتر فيه يعود الى الحيا الأزهار بفتح الهمزة وسكون الزاى مفعول به فى الأكم بفتحتين متعلق بينبت ولم أرد بضم الهمزة وكسر الراء فعل وفاعله ضمير مستتر فيـه وجوبا زهرة بفتح الزاى مفعول به الدنيا مضاف اليها التى اسم موصول اقتطفت صلة التى وعائدها محذوف أى اقطفتها يدا فاعل اقتطفت وحذفت النون للإضافة بناء على أنه مثنى ويجوز أن يكون مفردا مقصورا على لغة من قال : ‏ يارب ساريات ماتوسدا ‏ إلا ذراع العيس أوكف اليدا

زهير بضم الزاى وفتح الهاء مضاف إليه بما الباء للسببية متعلق باقتطفت وماحرف موصول أثنى بفتح الهمزة وسكون المثلثة وفتح النون فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود إلى زهير والجملة صلة ما على هرم بفتح الهاء وكسر الراء متعلق بأثنى .

[ومعنى الأبيات الثلاثة] ومنذ أأزمت أفـكارى مدائحه وجدته خير ملتزم لخلاصى من كل مكروه وعطاياه لاتفوت يد فقير ذى فاقة فان المطر إذا نزل الى الأرض عم الصالح منها وغير الصالح وأنبت الرياحين والأزهار على رءوس المنازل وأطراف الروابى وأنا على فقرى ومسيس حاجتى ماأريد على مدحه شيئا من حطام الدنيا مثل ماحصل لزهير من هرم بن سنان بسبب ثنائه عليه حيث مدحه لحطام الدنيا الفانية وإنما أريد الشفاعة من وزر البضاعة وأقول :

عنها وسرعة انحداره عنها لعمومه حتى للأكم والتشبيه المذكور إنما هو على سبيل التقريب وإلا فهو عليه الصلاة والسلام لايحيط بحقيقة كماله إلا الله تعالى (قوله ولم أرد زهرة الدنيا الخ) لما كان قوله ولن يفوت الغنى الخ يوهم التعريض بطلب شىء من حطام الدنيا دفع هذا التوهم بقوله ولم أرد زهرة الدنيا الخ أى وإنما أردت الغنى منه فى الآخرة بالشفاعة فى المذنبين والمراد بزهرة الدنيا مستلذاتها من المال وغيره وإنما عبر عنها بالزهرة تشبيها لها بالزهر الذى لايدوم التمتع به بل يتغير سريعا فيكون فى ذلك استعارة تصريحية والتعبير بالاقتطاف ترشيح لها وهو إما باق على حقيقته أومستعار للأخذ وقوله يدا زهير فاعل باقتطفت والمراد بزهير الشاعر المشهور وهو ابن أبى سلمى بضم السين أبو كعب صاحب بانت سعاد القصيدة المشهورة وله أخت تسمى الخنساء كانت شاعرة مشهورة وكان الشعر فيهم وراثة ولذلك كان زهير من الشعراء المقدمين على سائر الشعراء الجاهلية كامرىء القيس والنابغة الذبيانى وعنتر وطرفة بن العبد وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم نظر الى زهير وعمره مائة سنة فقال صلى الله عليه وسلم اللهم أعذنى من شيطانه فما لاك بعدها بيتا حتى مات وقوله بما أثنى على هرم أى بالمدح الذى أثنى به على هرم بكسر الراء وهو أحد أجواد العرب وكان أحد ملوكهم وهو ابن سنان بن حيان بالحاء المهملة وبعدها مثناة تحتية وكان يصل زهيرا بالصلات الجزيلة الخارجة عن العادة ومن جملة ماانفق

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ
سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِمِ
وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِي
إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

له معه إنه حلف أنه كلما مدحه أعطاه غرة عبدا أو أمة أوقيمتها وإنه كلما سلم عليه يعطيه كذلك حتى إنه من كثرة إعطائه له استحيا منه فكان إذا رآه فى قوم قال أنعموا صباحا غير هرم فكل هذا لم يرده الناظم إجلالا لمدحه صلى الله عليه وسلم عن ذلك إذ لايتوسل بالعظيم إلا لنيل عظيم (قوله ياأكرم الرسل الخ) لما مدح النبى صلى الله عليه وسلم على سبيل الإخبار عن الغائب أقبل بالخطاب عليه صلى الله عليه وسلم فقال ياأكرم الرسل وفى بعض النسخ ياأكرم الخلق ولكونه صلى الله عليه وسلم أكرم الرسل وأكرم الخلق اختص بالشفاعة العظمى وهى شفاعته صلى الله عليه وسلم فى فصل القضاء كما تقدم وقوله مالى من ألوذ به سواك أى ليس لى أحد ألتجىء إليه غيرك وقوله عند حلول الحادث العمم أى عند نزول الحادث العام أى الشامل لجميع الخلق والمراد بذلك الحادث هول يوم القيامة فإن كلا من الرسل يقول حينئذ نفسى نفسى ويخبر بأن الله غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولايغضب مثله بعده والنبى صلى الله عليه وسلم يقول أمتى أمتى وقيل المراد بذلك الحادث الموت (قوله ولن يضيق رسول الله جاهك الخ) أى بل هو رحب واسع يسعنى ويسع كل عاص مثلى لجد على بالشفاعة لتنقذنى مما أستحقه من العقاب والمراد من الجاه القدر والمنزلة وهو مأخوذ من الوجاهة وهى رفعة القدر وسعة المرتبة ويقال رجل وجيه اى معروف مشهور بحسن الذكر وجودة الرأى وقوله بى أى عنى وقوله إذا الكريم تحلى باسم منتقم أى وذلك أعنى عدم ضيق جاهه صلى الله عليه وسلم وقت كون المولى اتصف باسم هو منتقم واتصافه بذلك عند انتقامه بالفعل من العصاة وذلك الوقت هو يوم القيامة وتحلى بالحاء المهملة بمعنى اتصف وبالجيم بمعنى انكشف والأول أصح رواية والثانى أصح دراية وهذا الشرط لامفهوم له فهو مفهوم موافقة لأن جاهه عليه الصلاة والسلام لايضيق فى كل وقت وقد قيل فى كلام الناظم إشكال كبير وقلق عسير أما الإشكال فلأنه يقتضى أن الكريم يتصف فى المستقبل بالانتقام لأن إذا للاستقبال مع إن صفاته تعالى قديمة لم تزل ولاتزال وأما القلق فلأن الاسم عند أهل السنة هو المسمى وحينئذ فيكون التقدير إذا اتصف المسمى الذى هو الكريم بالمسمى الذى هو الاسم وهو المسمى الذى هو المنتقم وهو فى غاية القلق ورد ذلك بأن كلام الناظم مبنى على طريق أبى الحسن الأشعرى وهو الرضى من مذهب اهل السنة . وحاصله فى ذلك أن الكريم والمنتقم صفتان فعليتان فالكريم من له الكرم والمنتقم من له الانتقام والصفة الفعلية عند الأشاعرة حادثة لأنه لايرجع منها الى الفاعل معنى قائم به ولذا قال أئمتنا لايتصف البارى تعالى بكونه خالقا فى الأزل إلا مجازا ولانسلم أن كل اسم عين المسمى بل من أسمائه تعالى ماهو غيره وهو كل مادلت التسمية به على فعل كالخالق وبذلك اندفع الإشكال والقلق فى كلام الناظم نعم يرد عليه أنه يؤذن كلامه باجتماع صفتين متضادتين فى وقت واحد فى محل واحد فإن المراد بالكرم التجاوز عن الذنب أومايتضمن ذلك والمراد بالانتقام المؤاخذة بالذنب ولايتأتى اجتماعهما فى الوقت الواحد فى المحل الواحد ويجاب بأن المراد بالكريم من شأنه الكرم

والتجاوز

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

ألوذ ألتجئ سواك غيرك وحلول الحادث العمم وقوع هول يوم القيامة الشامل لجميع الخلق والجاه العز والكريم أى الخالق جلت عظمته وتعالى شأنه وتحلى بالمهملة أى اتصف والمراد وقع الانتقام لأن التحلية تجدد الصفة وهى فى حق الله تعالى محال والمنتقم المعاقب لمن عصاه وضرة للمرأة امرأة زوجها سميت بذلك لما بينهما من ضرر المعاشرة فلا تكادان تجتمعان على أمر واحد كما أن الدنيا والآخرة ضرتان لأنهما لاتجتمعان لطالب واحد لما بينهما من التنافى والعلوم جمع علم وإنما جمع باعتبار أنواعه وللناس أقوال شتى فى حقيقة اللوح والقلم والمراد هنا علم ما كتبه القلم وثبت فى اللوح . [الإعراب] يا حرف نداء أكرم الخلق منادى منصوب ومضاف إليه ماحرف نفى لى خبر مقدم من بفتح الميم مبتدأ مؤخر وهو نكرة موصوفة بمعنى أحد ألوذ بفتح الهمزة وضم اللام وبالذال المعجمة فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا به متعلق بألوذ والجملة صفة من وعائدها الهاء من به سواك بكسر السين والقصر بدل من النكرة أوصفة ثانية لها أى غيرك أوظرف مكان أى مكانك عند منصوب بما فى لى من معنى الاستقرار حلول بضم المهملة واللام الأولى مضاف إليه ومضاف أيضا الحادث بالمهملة والمثلثة مضاف إليه العمم بفتح المهملة وكسر الميمين نعت الحادث ولن يضيق بفتح الياء المثناة التحتية وكسر الضاد المعجمة ناصب ومنصوب رسول الله بالنصب منادى مضاف سقط منه حرف النداء جاهك بالجيم وضم الهاء فاعل يضيق ومابينهما اعتراض بى بكسر الموحدة متعلق بيضيق إذا بكسر الهمزة وفتح الذال المعجمة ظرف لما يستقبل من الزمان الكريم فاعل فعل محذوف يفسره تحلى والتقدير إذا تحلى الكريم على حد إذا السماء انشقت تحلى بفتح المثناة الفوقية والحاء المهملة واللام المشددة فعل ماض وفاعله مستتر فيه يعود إلى الكريم ويروى إذ بسكون الذال والكريم على هذا مبتدأ وتحلى خبره باسم متعلق بتحلى منتقم بكسر القاف مضاف إليه فإن حرف توكيد من جودك بضم الجيم خبرها مقدم الدنيا اسمها مؤخر وضرتها بفتح الضاد المعجمة والمثناة الفوقية معطوف على الدنيا ومن علومك معطوف على من جودك علم بكسر العين ونصب الميم معطوف على الدنيا من عطف الاسم على الاسم والخبر على الخبر وكرر من هربا من العطف على معمولى عاملين مختلفين ويحتمل أن يكون علم مرفوعا على الابتداء تقدم خبره فى المجرور قبله والجملة مستأنفة والأول أولى لما فيه من التأكيد بإن اللوح بالمهملة مضاف اليه والقلم بفتح القاف واللام معطوف على اللوح .

[ومعنى الأبيات الثلاثة] يا أكرم كل مخلوق مالى أحد غيرك ألتجئ إليه يوم القيامة من هوله العميم والخلق متطاولون الى جاهك الرفيع وجنابك المنيع ولن يضيق بى جاهك يارسول الله إذا اشتد الأمر وعيل الصبر وانتقم الله تعالى ممن عصاه فإنك أعظم الخلق على الله تعالى وخيرى الدنيا والآخرة من جودك وعلى اللوح والقلم من علمك وأنت الحقيق بذلك والمعول فى الشفاعة عليك ولا أقطع رجائى منك وأقول :

والتجاوز عن الهفوات والمراد بالمنتقم من اتصف بالانتقام بالفعل فصفته تعالى حينئذ الانتقام والأخذ بالجرائم بالفعل وهذا لاينافى أن شأنه تعالى الكرم والتجاوز عن الهفوات (قوله فإن من جودك الدنيا الخ) هذا البيت تعليل للبيت قبله فكأنه قال وإنما كان جاهك يارسول الله لايضيق بى بل يسعنى وغيرى من العصاة لأن من جودك الدنيا الخ ومن للتبعيض والمراد من الدنيا ماقابل الأخرى ولذلك جعلها الناظم ضرتها وفى كلامه تقدير مضاف أى خيرى الدنيا وضرتها التى هى الآخرة فمن خير الدنيا هدايته صلى الله عليه وسلم للناس ومن خير الآخرة شفاعته صلى الله عليه وسلم فيهم وقوله ومن علومك علم اللوح والقلم من جهة التعليل لكون جاهه صلى الله عليه وسلم لايضيق عنه لأنه لاشك أن العلم من أكبر أسباب عظم الجاه وعلوه ويجوز أن يكون مستأنفا ومن فى قوله ومن علومك للتبعيض أيضا فهى للتبعيض فى الموضعين والمراد بعلومه صلى الله عليه وسلم المعلومات التى أطلعه الله عليها فإنه تعالى أطلعه على علوم الأولين والآخرين والمراد بعلم اللوح والقلم المعلومات التى كتبها القلم فى اللوح بأمر الله تعالى فإنه ورد أول ماخلق الله القلم فقال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب مقادير كل شىء حتى تقوم الساعة من مات على غير ذلك فليس منى أى ليس على طريقتى . واستشكل جعل علم اللوح والقلم بعض علومه صلى الله عليه وسلم بأن من جملة علم اللوح والقلم الأمور الخمسة المذكورة فى آخر سورة لقمان مع أن النبى عليه الصلاة والسلام لايعلمها لأن الله قد استأثر بعلمها فلايتم التبعيض

يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ   إِنَّ الْكَبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ

٩٢ لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا   تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسَمِ

القنوط اليأس والزلة الذنب الشامل الكبير والصغير وعظمت أى كبرت والكبائر جمع كبيرة والغفران المغفرة واللمم صغار الذنوب وحسب بفتح السين القدر والعصيان ضد الطاعة يشمل الصغائر والكبائر والقسم جمع قسمة وهى مايقسمه الله تعالى لخلقه .

[الإعراب] ياحرف نداء نفس بكسر السين منادى مضاف لياء المتكلم حذف المضاف إليه واكتفى بالكسرة وإن قرئ بالضم فهو لغة قليلة إلا أن تكون نكرة مقصودة لاحرف نهى تقنطى بكسر النون مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون من زلة بفتح الزاى متعلق بتقنطى عظمت بضم الظاء المعجمة نعت زلة إن الكبائر إن واسمها فى الغفران متعلق بما تعلق به خبر إن كاللمم بفتح اللام والميم الأولى خبر إن فيتعلق بالاستقرار لعل حرف ترج رحمة اسمها ربى مضاف إليه حين ظرف زمان منصوب بتأتى يقسمها فعل وفاعل ومفعول فى موضع جر بإضافة حين إليها تأتى خبر لعل على حسب بفتح الحاء والسين المهملتين متعلق بتأتى العصيان بكسر العين وسكون الصاد المهملتين مضاف إليه فى القسم بكسر القاف وفتح السين متعلق بحسب .

[ومعنى البيتين] يانفس لاتيأسى من مغفرة ذنب كبير إن الذنوب الكبائر كالذنوب الصغائر فى جواز الغفران قال الله تعالى إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء لعل رحمة ربى إذا قسمها تأتى على قدر العصيان فتعم الكبائر والصغائر وأنا ذنبى كبير فأرجو أن يكون نصيبه من الرحمة بقدره .

المذكور . وأجيب بعدم تسليم أن هذه الأمور الخمسة مما كتب القلم فى اللوح وإلا لاطلع عليها من شأنه أن يطلع على اللوح كبعض الملائكة المقربين وعلى تسليم أنها مما كتب القلم فى اللوح فالمراد أن بعض علومه صلى الله عليه وسلم علم اللوح والقلم الذى يطلع عليه المخلوق فخرجت هذه الأمور الخمسة على أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا الابعد أن أعلمه الله تعالى بهذه الأمور . فإن قيل إذا كان علم اللوح والقلم بعض علومه صلى الله عليه وسلم فما البعض الآخر . أجيب بأن البعض الآخر هو ماأخبره الله عنه من أحوال الآخرة لأن القلم إنما كتب فى اللوح ماهو كائن الى يوم القيامة فقط كما تقدم فى الحديث (قوله يانفس لاتقنطى الخ) لما خاف الناظم على نفسه القنوط من رحمة الله تعالى بسبب شدة الخوف أقبل عليها يخاطبها بتحقيق رجائه ويؤنسها بعظم فضل ربه وأصل قوله يانفس يانفسى بالإضافة لياء المتكلم فحذفت ياء المتكلم ويجوز ضم السين وكسرها كما فى قولك ياعبد وقوله لاتقنطى أى لاتيأسى وهو بفتح النون على لغة كسرها فى ماضيه وبكسرها وضمها على لغة فتحها فيه وقوله من زلة عظمت أى من أجل زلة كبرت فمن للتعليل و يحتمل أنها للتعدية لكن على تقدير مضاف والأصل من غفران زلة عظمت والزلة بفتح الزاى وتشديد اللام الذنب وقوله إن الكبائر فى الغفران كاللمم أى إن الذنوب العظام التى ارتكبتها أيتها النفس فى جانب الغفران أى بالنسبة له كصغار الذنوب فالكبائر هى الذنوب العظام واللمم بفتح اللام المشددة وفتح الميم أيضا صغار الذنوب ومعلوم أنه تعالى يغفر الصغائر فكذا الكبائر قال تعالى إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وفى قول الناظم إن الكبائر فى الغفران كاللمم رد على من زعم أن الكبائر ليست كالصغائر كالمعتزلة فإنهم يقولون بأن الكبائر لاتغفر بل مرتكبها يخلد فى النار لأنه ليس مؤمنا ولا كافرا فيقولون إنه منزلة بين المنزلتين ويعذب بعذاب أخف من عذاب الكافر والحق مذهب أهل السنة أن الكبائر كالصغائر فى الغفران وهو الموافق للقرآن والسنة وللدليل العقلى لأنه تعالى لايجب عليه ثواب ولايتحتم عليه عقاب فالثواب من فضله والعقاب من عدله لايسئل عما يفعل وهم يسئلون (قوله لعل رحمة ربى الخ) لما نهى الناظم نفسه عن القنوط كأنها قالت له أنا لاأقنط لكن أخشى أن لا يكون حظى من الرحمة قدر ذنوبى التى ارتكبتها فأجابها بقوله لعل رحمة ربى الخ أى أرجو أن تكون رحمة ربى تأتى فى القسم حين يقسمها بين العصاة على قدر عصيانهم فمن حمل من العصيان حملا كبيرا كان ماناله من الرحمة شيئا كبيرا ومن حمل من العصيان حملا صغيرا كان ماناله من الرحمة شيئا صغيرا والمراد الرحمة التى تنال العصاة لا الرحمة العامة التى تنال المطيع أيضا فلا يقال إذا قسمت الرحمة بحسب العصيان لم يبق للمطيع منها حظ فإن قيل كلام الناظم يقتضى أن من كانت ذنوبه

يَارَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ   لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ
وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ   صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

أكثر كان ماناله من الرحمة أعظم وكيف يصح ذلك مع أن من كانت ذنوبه أقل كان أقرب للرحمة وأقرب منه من كان طائعا . أجيب بأن الكلام فى الرحمة التى تنال العاصين وقسمها على هذا الوجه ممكن لجواز العفو عما عدا الشرك . وأورد عليه أن مقتضى كلامه عدم دخول بعض عصاة المؤمنين النار مع أن المقرر فى علم الكلام أنه لابدّ من دخول طائفة منهم النار ثم يخرجون بشفاعته صلى الله عليه وسلم . وأجيب بأن الرحمة بالنسبة لهؤلاء هى الشفاعة العامة للاراحة من هول الموقف (قوله يارب واجعل رجائى الخ) لما اشتملت هذه القصيدة على أنواع التغزل وتوبيخ النفس والوعظ ومدحه صلى الله عليه وسلم وذكر بعض معجزاته ومدح القرآن ومدح الصحابة وذم الكفار والاقرار بالذنب ختمها بالدعاء ثم بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وقوله يارب أصله ياربى بالإضافة لياء المتكلم ثم حذفت ياء المتكلم للتخفيف وقوله واجعل رجائى الخ معطوف على محذوف والتقدير يارب ارحمنى واجعل رجائى للرحمة غير منعكس أى غير خائب بأن يحصل المرجو من عفوك عن ذنوبى كبائرها وصغائرها وقوله لديك أى عندك وهو ظرف لقوله اجعل أولمنعكس وقوله واجعل حسابى غير منخرم أى اجعل ماحسبته أى ظننته من الجميل فيك وهو أن تنيلنى من فضلك وكرامتك مايليق بى غير ناقص بأن يحصل المحسوب أى المظنون تاما كاملا وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الأول أى غير منخرم لديك وفى الحديث حكاية عن الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى إن خيرا فخير وإن شرا فشر وقد قال من غلب عليه الرجاء :

وانى لأرجو الله حتى كأننى   أرى بجميل اللطف ماالله صانع

وفسر بعضهم قوله واجعل حسابى غير منخرم بأن المعنى واجعل تعداد الأمور الصادرة منك ياألله لى غير منقطع ونوقش بأنه يلزم عليه أن الناظم طلب أن لاينقطع عذابه لأن من نوقش الحساب عذب فكيف بمن طال حسابه فكيف بمن دام حسابه ولوقال واجعل تعداد الأمور الصادرة منك ياألله لى غير معوج بأن يكون مستقيما لخلص من من هذه المناقشة (قوله والطف بعبدك الخ) هذا البيت من تمام الدعاء ومعنى الطف ارفق إذ اللطف معناه الرفق وعنى بالعبد نفسه واختار الوصف بالعبودية لما فيها من غاية الذلة والخضوع وذلك مناسب لمقام الدعاء وقوله فى الدارين أى دارى الدنيا والآخرة أى فيما قدّرت عليه فيهما ثم علل ذلك بقوله إن له صبرا أى إن لعبدك صبرا لايثبت بل متى تدعه الأهوال ينهزم أمامها فيصير العبد بلا صبر فيهلك وباللطف يندفع الهلاك وقد امتثل الناظم فى هذا الدعاء لأمره صلى الله عليه وسلم حين سمع رجلا يقول اللهم هب لى الصبر فقال له طلبت من الله البلاء فاطلب منه العافية (قوله وائذن لسحب صلاة الخ)

الرجاء بالمد الأمل وغير منعكس أى غير مخالف لظنى بك والحساب هنا الاعتقاد والمنخرم المنقطع والطف أى ارفق فى الدارين أى دار الدنيا والآخرة والأهوال جمع هول وهو الأمر العظيم للشقة والانهزام الهرب .

[الاعراب] يارب بحذف ياء المتكلم والاجتزاء بالكسر منادى واجعل رجائى بالمد جملة معطوفة على جملة مقدرة قبلها والتقدير يارب حقق ظنى واجعل رجائى غير بالنصب مفعول ثان لاجعل منعكس مضاف اليه لديك بفتح الدال المهملة متعلق بمنعكس واجعل فعل وفاعل حسابى مفعوله الأول غير مفعوله الثانى منخرم بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء مضاف اليه والطف بضم الطاء معطوف على اجعل بعبدك فى الدارين متعلقان بالطف إن له إن وخبرها صبرا بفتح الصاد المهملة وسكون الموحدة اسمها متى بفتح التاء الفوقية ظرف زمان متضمن معنى الشرط يجزم فعلين منصوب بتدعه وتدعه مجزوم به وعلامة جزمه حذف الواو الأهوال فاعل تدعه ينهزم بكسر الزاى جواب متى وكسر حرف الروى للقافية .

[ومعنى البيتين] يارب واجعل ماأملته فيك غير مخالف له واجعل مااعتقدته فيك من العفو غير منخرم عندك فإنك وعدتنى بالإجابة ، وقلت ادعونى أستجب لكم وارفق بعبدك فى الدنيا والآخرة فيما قدرته عليه فيهما فإن له صبرا ضعيفا لايقيم على مقاساة الأهوال والشدائد فمتى تدعه الأهوال لملاقاتها ينهزم منها من أول الأمر ولا يقابلها فهو مفتقر الى اللطف به والإحسان اليه

وَائْذَنْ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ   عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ

مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ الْبَانِ رِيحُ صَبًا ... وَأَطْرَبَ الْعِيسَ حَادِي الْعِيسِ بِالنَّغَمِ

وائذن أى مر والسحب جمع سحاب وهو الغيم والصلاة على الأنبياء طلب مزيد الرحمة والكرامة لهم ويكره إفرادها عن السلام نثرا وشعرا وخطا وانهل المطر سال بشدة وانسجم سال بشدة وغيرها ورنحت الريح الغصن أمالته وعذبات البان أغصانه والبان نوع من الشجر له أغصان لطيفة وهو المسمى بالخلاف بالتخفيف والصبا الريح الشرقية سميت صبا لأنها تقابل بهبوبها باب الكعبة كأنها تصبو اليها وتسمى القبول ويقابلها الدبور والطرب الخفة الحاصلة من شدة السرور مقتضية للهزة والحركة والعيس جمع الأعيس وهى الإبل التى يخالط بياضها الشقرة وقيل هى كرائم الإبل وحاديها هو الذى يسوقها والحدو سوق الإبل والحداء بالمد مع ضم الحاء وكسرها الغناء لها قال الشاعر :

فغنها وهى لك الفداء

إن غناء الإبل الحداء

والنغم الصوت الحسن يقال فلان حسن النغم أى حسن الصوت والنغمة فى العرف صوت يقصد به الاطراب .

[الإعراب] وائذن بسكون الهمزة وفتح المعجمة فعل وفاعل لسحب بضم السين وسكون الحاء المهملتين متعلق بائذن صلاة مضاف اليها منك نعت صلاة دائمة بالجر نعت صلاة وبالنصب حال منها على النبى متعلق بدائمة لا بصلاة لأن المصدر المنعوت قبل العمل لا يعمل بمنهل بضم الميم وفتح الهاء وتشديد اللام نعت سحب على تقدير موصوف بين الجار والمجرور أى بمطر منهل والباء للمصاحبة ومنسجم بضم الميم وسكون النون وفتح السين وكسر الجيم معطوف على منهل مامصدرية ظرفية رنحت بفتح الراء والنون المشددة والحاء فعل ماض وتاء تأنيث عذبات بفتح والاطراب
العين المهملة والذال المعجمة والباء الموحدة وكسر التاء الفوقية مفعول رنحت البان بالموحدة مضاف إليه ريح بكسر الراء وسكون التناة التحتية فاعل رنحت صبا بفتح الصاد المهملة والباء الموحدة والقصر مضاف إليه من إضافة العام إلى الخاص وأطرب بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء والباء الموحدة معطوف على رنحت العيس بكسر العين المهملة وسكون الياء التحتية وبالسين المهملة مفعول أطرب حادى بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين فاعل أطرب العيس وفى نسخة الركب مضاف اليه بالنغم بفتح النون

لا يخفى أن قوله ائذن فعل دعاء والإذن فى حقه تعالى بمعنى الاباحة واللام للتعدية والسحب بسكون الحاء كما هو لغة فى السحب بضمها وإن جعله بعض الشارحين للتخفيف وهو جمع سحاب الذى هو الغيم وإضافة سحب للصلاة من إضافة المشبه به للمشبه أى للصلاة الشبيهة بالسحب فى أن كلا رحمة وقوله منك صفة لصلاة وقوله دائمة صفة أيضا لصلاة ويحتمل أنه صفة لسحب وقوله على النبى أى صادرة على النبى المعهود وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والباء فى قوله بمنهل ومنسجم متعلقة بائذن فهى للتعدية وفى الكلام موصوف محذوف والتقدير بمطر منهل ومطر منسجم والمنهل المنصب لشدته والمنسجم السائل لعدم شدته (قوله مارنحت عذبات البان الخ) أى مدة ترنيح عذبات البان الخ فما مصدرية ظرفية والترنيح التمييل وعذبات البان أغصانه والبان شجر معروف طيب الرائحة وقوله ريح صبا بفتح الصاد فاعل برنحت والمراد بريح الصبا الريح الشرقية التى تهب صوب باب الكعبة وإنما سميت بذلك لأنها تصبو أى تميل اليها وتسمى قبولا بفتح القاف لأنها تقابل بهبوبها المشرق وأصول الرياح أربعة الأولى الصبا وقد علمتها والثانية الدبور وهى الريح الغربية التى تأتى من مغرب الشمس وإنما سميت بذلك لأن من استقبل المشرق استدبرها والثالثة الشمال بفتح الشين وهى الريح البحرية التى يسار بها فى البحر على كل حال وإنما سميت بذلك لأنها عن شمال من استقبل المشرق والرابعة الجنوب بفتح الجيم وهى الريح القبلية وعامة المصريين يعبرون عنها بالمريسى لأنها تهب من بلاد المرس وهم طائفة من السودان حسان الوجوه وكل ريح جاءت بين مهب ريحين يقال لها النكباء سميت بذلك لأنها نكبت أى عدلت عن مهب تلك الرياح الأربعة وقد نظم الشيخ السجاعى حاصل ما تقدم بقوله :

أصول رياح أربع سم بالصبا ... قبولا أتت من مطلع الشمس شرقيه
دبورا أتت من مغرب الشمس فاعلمن ... لذا عند مصر سم ياصاح غربيه
شمال تجى من عن شمال مشرق ... يسار بها فى البحر تدعى ببحريه
جنوب تسمى بالمريسى نسبة ... لبلدان سودان وتنمى لقبليه
ومابين ريحين تهب فسمها ... بنكباء تجرى كالأصول بلا مريه

وقوله وأطرب العيس الخ أى ومدة إطراب العيس الخ فهو معطوف على قوله رنحت

والإطراب إحداث الطرب وهو خفة تنشأ عن سرور مقتضية للحركة والنشاط والعيس بكسر العين مناسبة لسكون الياء بعدها وإن كان أصلها الضم وهى إبل بيض يخالطها شقرة أى حمرة شديدة وهى من كرام الإبل ويقال للذكر أعيس وللأنثى عيساء والمراد بحادى العيس سائقها فهو من حدا يحدو إذا ساق الإبل وقوله بالنغم متعلق بأطرب والنغم بفتح النون الصوت الحسن وللإبل خاصية عظيمة فى حصول الطرب لها عند سماع صوت الحادى وكلما كان الصوت أحسن كان طربها أكثر حتى إنها لتقطع المسافة الكثيرة فى الزمن القليل بسبب ما يحصل لها من النشاط عند سماع الصوت الحسن ولا يخفى أن الترنيح والإطراب المذكورين لا ينقطعان ما بقيت الدنيا فلذلك أقت الصلاة بهما ويحتمل أنه أراد بذلك التأييد فكأنه قال دائما وأبدا وإنما خص البان والعيس لأنهما من مألوفات الأحبة وتخصيص ريح الصبا أظهر من ذلك لأنها تصبو إلى باب الكعبة التى هى أعظم مكان فى البلد الذى هو مسقط رأس حبيبه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم يحتمل أنه أشار بالعذبات إلى عذبة النبى صلى الله عليه وسلم لتمايلها بتمايله صلى الله عليه وسلم عند سماعه المديح وأشار بالبان إلى ذاته الشريفة لطيب رائحتها كطيب رائحة البان بل أعظم وأشار بالعيس إلى أمته لطربهم عند سماع المديح كطرب العيس عند سماع صوت الحادى وأشار بالنغم إلى المديح . وحاصل المعنى على هذا ما تمايلت عذبة النبى صلى الله عليه وسلم عند سماع المديح وأطرب المادح أمته بمديحه صلى الله عليه وسلم وفى هذا البيت والذى قبله براعة الختام وتسمى حسن المقطع وحسن الخاتمة وهي فى الشعر عبارة عن ختم القصيدة بأجود بيت يحسن السكوت عليه لأنه آخر ما يبقى فى الأسماع وربما حفظ دون غيره لقرب العهد به ويوجد فى بعض النسخ أبيات لم يشرح عليها أحد من الشارحين لكن لا بأس بها وهى :

ثم الرضى عن أبى بكر وعن عمر | وعن على وعن عثمان ذى الكرم
والآل والصحب ثم التابعين فهم | أهل التقى والنقا والحلم والكرم
يارب بالمصطفى بلغ مقاصدنا | واغفر لنا ما مضى ياواسع الكرم
واغفر إلهى لكل المسلمين بما | يتلوه فى المسجد الأقصى وفى الحرم
بجاه من بيته فى طيبة حرم | واسمه قسم من أعظم القسم
وهذه بردة المختار قد ختمت | والحمد لله فى بدء وفى ختم
أبياتها قد أتت ستين مع مائة | فرج بها كربنا ياواسع الكرم

فرج الله الكرب عنا وعن سائر المسلمين بجاه سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

وكان الفراغ من جمع هذه الحاشية المباركة فى يوم الاثنين المبارك من أيام شهر شوّال من شهور سنة ألف ومائتين وتسعة وعشرين من الهجرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية
والحمد لله رب العالمين

والغين المعجمة متعلق بأطرب والباء للاستعانة .

[ومعنى البيتين] يامن هو الرب اللطيف بعباده أسألك أن تأمر لسحب الصلوات والتسليمات الدائمات على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم الذى جمعت فيه بين المكارم والخيرات بحذافيرها ، وجعلته حائز الفضائل كبيرها وصغيرها ، مادامت الصبا تميل أغصان البان ، ومادام الحادى يطرب العيس بالنغم والألحان ، ويذكرها العهد بالحمى والأوطان ، فإنك أمرتنا بالصلاة والسلام عليه قديما ، فقلت إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما .

القصيدة المضرية

للشيخ البوصيرى فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

يارب صلّ على المختار من مضر   والأنبيا وجميع الرسل ماذكروا
وصل رب على الهادى وشيعته   وصحبه من لطى الدين قد نشروا
وجاهدوا معـه فى الله واجتهدوا   وهاجروا وله آووا وقد نصروا
وبينوا الفرض والمسنون واختصموا   لله واعتصموا بالله وانتصروا
أزكى صلاة وأنماها وأشرفها   يعطر الكون منها نشرها العطر
معبوقة بعبوق المسك ذاكية   من طيها أرج الرضوان ينتشر
عد الحصى والثرى والرمل يتبعها   نجم السما ونبات الأرض والمدر
وعد وزن مثاقيل الجبال كما   يليه قطر جميع الماء والمطر
وعد ماحوت الأشجار من ورق   وكل حرف غدا يتلى ويستطر
والوحش والطير والأسماك مع نعم   يليهم الجن والأملاك والبشر
والذر والنمل مع جمع الحبوب كذا   والشعر والصوف والأرياش والوبر
وما أحاط به العلم المحيط وما   جرى به القلم المأمور والقدر
وعد نعمائك اللاتى مننت بها   على الخلائق مذ كانوا ومذ حشروا
وعد مقداره السامى الذى شرفت   به النبيون والأملاك وافتخروا
وعد ما كان فى الأكوان ياسندى   وما يكون الى أن تبعث الصور
فى كل طرفة عين يطرفون بها   أهل السموات والأرضين أو يذروا
ملء السموات والأرضين مع جبل   والفرش والعرش والكرسى وماحصروا
ماأعدم الله موجودا وأوجد مع   دوما صلاة دواما ليس تنحصر
تستغرق العد مع جمع الدهور كما   تحيط بالحد لاتبقى ولاتذر
لاغاية وانتهاء ياعظيم لها   ولا لها أمد يقضى فيعتبر
وعد أضعاف ماقدمر من عدد   مع ضعف أضعافه يامن له القدر
كما تحب وترضى سيدى وكما   أمرتنا أن نصلى أنت مقتدر
مع السلام كما قدمر من عدد   رب وضاعفهما والفضل منتشر
وكل ذلك مضروب بحقك فى   أنفاس خلقك إن قلوا وإن كثروا
يارب واغفر لقاريها وسامعها   والمسلمين جميعا أينما حضروا
يارب أعظم لنا أجرا ومغفرة   فإن جودك بحر ليس ينحصر
ووالدينا وأهلينا وجيرتنا   وكلنا سيدى للعفو نفتقر
والطف بنا ربنا فى كل نازلة   لطفا عميما به الأهوال تنحسر
بالمصطفى المجتبى خير الأنام ومن   جلالة نزلت فى مدحه السور
صلى وسلم ربى دائما أبدا   عليه أضعاف ماقدمر ينتشر
والآل والصحب والأتباع قاطبة   واختم بخير لنا إذ ينتهى العمر

تم الكتاب والحمد لله